

ماوتسي تونغ

العملاق الأصفر الذى أخرج المارد الصيني من قمقمه

د. وجيه احمد عبد الكريم

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة



مَاوتْسِي تُونْجْ

العملاقُ الأصْفَرُ الذي أخرجَ الماردَ الصينيَّ مِنْ قمقمِهِ

دكتور / وجيه أحمد عبد الكريم

خبير الشؤون الآسيوية

ومدير مركز الدراسات الاستراتيجية

لشرق آسيا



إهداء

إلى . . . .

من كانت حياتهم ثمن حرية غيرهم.

إلى . . . .

من حملوا أرواحهم على أيديهم.

إلى . . . .

شهداء ثورة مصر العظيمة .

وشهداء الثورات العربية.

المقدمة

تعد القارة الآسيوية نموذجاً فريداً في التنوع والتعدد المادي والفكري، وتحمل حضاراتها أنساقاً فكرية لشخصيات مُحرِّكة وفاعلة في التاريخ البشري.

إلا أن التساؤل الحقيقي يكمن في : هل ظلت آسيا «القارة الممتدة والمتنوعة» تُثري الفكر الإنساني من مخزون أفكارها السياسية في القرن العشرين الذي شهدنا خاتمته وافتتاح الألفية الثالثة ؟ وهل قدمت أفكاراً أو شخصيات أصحاب (كاريزما) أو عبقرية سياسية ، كان لهم تأثيرهم الأكبر ، ولا يزال ؟ وهل تعدت تلك الأفكار - فاعلية وتأثيراً - القارة الآسيوية إلى المعمورة بأسرها ؟

نحن أمام تساؤل مركب؛ كان الفضل للتنويه عنه والتنويه إليه ناشط سياسي وصاحب شخصية ثورية قومية الأستاذ/ عادل الجوجري رئيس تحرير جريدة الغد العربي ، والذي صاغ رؤيته في سؤال: هل في الإمكان رصد تلك الشخصيات الآسيوية العبقرية في المجال السياسي والتنويه عنها وعن أهم عناصر تأثيرها الممتد في الزمان؛ المتعدي إلى المكان ؟.

من هنا كانت فكرة هذا الكتاب الذى يعد النواة الأولى لسلسلة شخصيات آسيوية، تضم مجموعة من الزعماء والمفكرين وما حملوه من أفكار لا يمكن أن يتجاوزها أي راصد يهتم بتاريخ الأفكار السياسية . وتلك الشخصيات هي: ماوتسي تونج ، وغاندي ، وكيم إيل سونج ، وباراك تشونج ، ومحمد إقبال ، والخميني ، وغيرهم من ذوي الأفكار المؤثرة والفاعلة والممتدة التأثير والعمق.

ولقد كان الباعث على اختيار الشخصية الأولى لتلك السلسلة هو ما حدث في مصر يوم الخامس والعشرين من يناير، من ثورة شعبية قامت بالقضاء على عصر يمكن أن نطلق عليه «عصر الديكتاتور وأعوانه» أو «عصر الفساد والمفسدين» . لم ينظر إليها العالم نظرة احترام وتقدير فحسب ، بل دعت الولايات المتحدة الأمريكية على لسان رئيسها

«أوباما» الشعب الأمريكى للتعلم والاستفادة من الثورة المصرية.

هذا في الوقت الذي قامت فيه الكثير من جامعات دول أوربا بتوثيقها وتدريسها ضمن مناهجها الدراسية. وهذا ما استشفه الباحث فيما حدث في الثورة الصينية على يد الزعيم «ماوتسي تونج» والتي تجاوزت حدود مكانها وعبرت حواجز زمانها. وكتبت بنجاحها بناء الدولة الصينية الحديثة. مع الوضع في الاعتبار التباين في الظروف الموضوعية الخاصة لكلتا الثورتين.

ومما لاشك فيه أنه بمجرد ذكر شخصية «ماوتسي تونج» تتداعي إلى الأذهان أمور عدة : إنه زعيم قاد ثورة شيوعية تحت لواء الماركسية اللينينية في بلد فقير أكثره من الفلاحين ، فكان أن خرج بذلك على مقولات آباء الماركسية الأوائل التي شككت في نجاح الثورات الاشتراكية – وخاصة في البلدان المتخلفة شبه المستعْمَرة – ما لم تنعقد فيها القيادة للعمال الحضريين .

إنه أيضاً القائد الذي لم يخش مناطحة الدولة السوفيتية – صاحبة أول تجربة لتطبيق الاشتراكية في العالم – فدخل مع قيادتها في مناقشات هادئة تارة وصراعات سافرة تارة أخرى حول قضايا نظرية وعملية في الممارسة الاشتراكية.

وهو أخيراً رجل الدولة الذي قام بشن أغرب ثورة في تاريخ الدول الاشتراكية. الثورة الثقافية التي عَنْوَنَ هدفَها الرئيسي بقوله «انسفوا القيادة العليا» وهو يقصد بذلك تدمير الحزب الشيوعي ، صاحب المكانة العليا في الأطروحات النظرية للماركسية اللينينية بوجه خاص، أو في ممارسات الدول الاشتراكية على وجه العموم .

والواقع أنه لا يمكن فهم أو تفسير هذه المواقف كلها إلا في وجود إطار عام يمثل الباعث وراء معظم الأفكار والسياسات التي عبر عنها «ماوتسي تونج» منذ أصبح قائداً للثورة الصينية وحتى وفاته .

أما هذا الإطار ، فيتمثل في اعتقاده وإيمانه اللذيْن لم يتزعزعا يوماً بأن نجاح الثورات – بما فيها الثورة الاشتراكية – هو أمر لا تتحكم فيه المقولات النظرية مهما كانت درجة

إحكامها وشمولها ، وإنما وضْع تحدده أولاً ظروف الواقع الموضوعي أو المعطيات الواقعية التي تنشط في ظلها تلك الثورات . فإذا ما نجحت الثورة الاشتراكية وانتصرت ، فإنه لا ينبغي النظر إليها فقط باعتبارها مجرد «وسيلة» لإرساء قواعد المجتمع الإنساني الجديد الذي بشر به رواد الماركسية ، وإنما هي أيضاً «هدف» لابد من تحري كل السبل لإنجاحه واستمراره حتى يمكن المحافظة على بقاء هذا المجتمع الجديد متى ظهر إلى الحياة .

لهذا ، فإننا قد لا نحيد عن جادة الصواب إذا قررنا أن الإسهام الأشد تأثيراً والأعمق أثراً لماوتسي تونج – في الفكر الإنساني عموماً والفكر الآسيوي خصوصاً – كان فيما قدمه من أفكار وممارسات خاصة بنظرية الثورة الاشتراكية وبكيفية تطبيقها .

وإذا كان هذا الإسهام يربطه بالضرورة بمقولات النظرية الماركسية –اللينينية حول هذا الموضوع ، إلا أن تحليلاته وتفسيراته الخاصة لهذه المقولات تبدو واضحة التميز مما يجعل من المشروع حقًّا الحديث عن إضافات (ماوية) خاصة في نظرية الثورة الاشتراكية.

والواقع أن ماوتسي تونج نفسه لم يتردد في وصف بعض ما قدمه في هذا الصدد بأنه عملية «تصيين» للماركسية – اللينينية ، أي إكساب مقولاتها وتحليلاتها طابعاً خاصًّا مستمدًّا من الواقع الصيني الذي تفاعلت معه هذه المقولات والتحليلات .

وقد كان لإسهامات ماوتسي تونج وإضافاته نجاحاتها الباهرة التي يأتي في مقدمتها دون شك تأمين الانتصار للثورة الاشتراكية في الصين ، وذلك في ظل ظروف داخلية ودولية شديدة الوطأة على الثوار هناك . وبفضل هذا النجاح الكبير ، كان لابد لأفكار «ماو» أن تلهم تجارب ثورية أخرى في العالم رأت فيها مخزوناً يمكن أن تنهل منه لحفز حركات التحرر فيها . ولم يكن التأثير قاصراًعلى الدول التي تشابهت ظروفها مع الصين فحسب ، وإنما امتد هذا الأثر أيضاً إلى بعض المجتمعات الغربية المتقدمة التي تبنت جماعات من مواطنيها أفكار «ماو» وممارساته . ومع ذلك ، فكما كان لإسهامات «ماوتسي تونج» آثارها الإيجابية الواضحة ، كان لها كذلك ثغراتها وسقطاتها . وقد

ساعدت ظروف داخلية ودولية في بعض المراحل التاريخية على وضع حدود لهذه الإسهامات وإظهار سلبياتها على المستويين الداخلي والدولي .

ومن هنا جاءت تقسيمات هذا الكتاب في ستة فصول مترابطة في وحدة الهدف ، للوصول إلى فهم وتحليل وتفسير الحقائق المرتبطة بشخصية الزعيم الصيني «ماوتسي تونج» وذلك على النحو التالي :

الفصل الأول : يتناول الصين تاريخيا وحضاريا كمدخل للدراسة، مع تحليل مدى تأثر شخصية الزعيم الصيني ماوتسي تونج بالتاريخ والحضارة الصينية.

الفصل الثاني : نلقي الضوء فيه على الفكر الاجتماعي في الصين قبل «ماوتسي تونج» من خلال محورين. أولهما أسس الفكر الصيني ، والآخر ارتباطه بفلسفة كونفوشيوس. والتى كانت لها آثارها فى تكوين أفكار ماوتسى تونج خاصة ما يتصل منها بمبدأ الطاعة وسلطة ورضاء الشعب ودور الحكام فى الإصلاح .

الفصل الثالث : يكشف عن نشأة وبيئة الزعيم «ماو»، مع تحليل ومناقشة اتجاهاته الفكرية، والعوامل المؤثرة على تفكيره، وصولاً إلى طبيعة الإضافات التي قدمها في نظرية الثورة الاشتراكية .

الفصل الرابع : يرصد مسيرة العمل الثوري لماوتسي تونج، وصراعه السياسي والعسكري مع قادة حزب الكومنتانج، فضلاً عن إظهار دوره في قيادة الثورة الصينية وتأسيس جمهورية الصين الشعبية .

الفصل الخامس : يتناول بالمناقشة والتحليل إصلاحات الزعيم «ماو» الاقتصادية ، مع بيان أثر ذلك في مسيرة تحديث المجتمع الصيني.

الفصل السادس والأخير: يكشف عن سياسة «ماو» الاجتماعية في المساواة بين أقليات المجتمع الصيني ، من خلال إقراره حزمة سياسات تتمثل في

التمسك بالمساواة ، وحرية الاعتقاد الدينى ، والحكم الذاتى ، وحرية استخدام اللغة المحلية ، و احترام العادات والتقاليد للأقليات القومية الصينية.

وبعد ....

أرجو أن يشفع لي القارئ الكريم من أي خطأ أو نسيان في هذا الكتاب ، فهو عمل متواضع لجهد فردي يتواصل مع جهد من سبقوني ، داعياً الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وُفقت في هذا الإصدار مساهمة في إثراء المكتبة العربية بما ينفع ، وأن يكون بمثابة البداية لدراسات أخرى تغطي جوانب أكثر من الفكر السياسي الآسيوي .

المؤلف
د/ وجيه أحمد عبد الكريم
القاهرة
٢٠١١/٦/١

المدخل التاريخي

الزعامة ذات العبقرية السياسية تتجلى دائماً بعوامل مؤثِّرة على تفكيرها تستمد طاقتها من الإحاطة التامة بتاريخ أمته ، وتاريخ العالم بوجه عام ومعرفته للإمكانيات الحقيقية لاقتصاديات الأمة واجتماعياتها وسياستها العسكرية والإدارية ، فضلاً عن العديد من المبادئ والآراء والمُثل العليا التى عاصرها بنفسه. الأمر الذي يفرض على الباحث إلقاء الضوء على الصين تاريخيا وحضاريا كمدخل لدراسة شخصية الزعيم الصيني ماوتسي تونج.

فالحضارة الصينية من أقدم الحضارات الإنسانية وأرقاها ولا تعدلها بحق إلا الحضارة المصرية العريقة ، وقد أشاد الباحثون بهذه الحضارة وبالشعب الذى أنتجها وقدمها للإنسانية .

وفي هذا السياق يقول «جيفرى بارندر» : (تقف الصين وحدها وسط حضارات العالم العظيمة ، فقد تطورت فى عزلة تامة، تقريبا عن بقية الحضارات ، ولهذا كانت إنجازاتها فريدة ، وهذه الخاصية الفريدة جعلتها ممتعة لمن يشاهدها ، محيرة لمن يحاول فهمها[1] . ويقول الدكتور «إيفار ليسنر» : (إن الأمر لا يقتضي أكثر من مجرد الخمسين أو الستين أو السبعين عاما التى يحياها الإنسان على الأرض حتى يتسنى فهم تلك البلاد بسكانها .. وتاريخها الذى يمتد إلى خمسة آلاف سنة خلت) [2]

١ - جيفرى بارندر : المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، ترجمة د/ إمام عبد الفتاح إمام ، عالم المعرفة عدد ١٧٣ ، الكويت ، ١٩٩٣، صـ٢٦٧.

٢ - ووبن : الصينيون المعاصرون : الجزء الأول ، ترجمة د/ عبد العزيز حمدى ، عالم المعرفة (عدد ٢١٠) ، الكويت - آيار - ١٩٩٦ ،صـ١٢.

ولقد أسهم الصينيون بقدر كبير فى تقدم البشرية فى مختلف الفنون والعلوم ، ولا شك فهم أول من قدموا للعالم الاختراعات الأربعة العظيمة[١] وغيرها من المنجزات العلمية .

ولعل السؤال الذى يُطرَح : ما هى الخلفية التاريخية والحضارية للشعب الصينى؟وما مدى تأثر ماوتسى تونج بالتاريخ والحضارة الصينية ؟ .

وللإجابة على هذا السؤال سوف نتناول ثلاثة عصور من التاريخ الصينى ، حيث قسم المؤرخون التاريخ الصينى إلى [٢] :

١- تاريخ العصر القديم .

٢- تاريخ العصر الحديث .

٣- تاريخ العصر المعاصر .

١-التاريخ الصينى القديم :

ويبدأ التاريخ الصينى بظهور خمسة أباطرة أسطوريين اعتبرهم الصينيون أنصاف آلهة وعبدوهم[٣] ، ونسبوا إليهم كشف الزراعة وتنظيم الرى وابتكار الأدوات الزراعية والمركبات ذات العجلات والقوارب وغيرها من المنجزات الحضارية، واعتبرهم الفيلسوف الصيني كونفوشيوس ومريدوه أبطال أزهى عصور الماضى المجيد [٤] وبعد مراحل طويلة من المجتمع البدائي ظهرت فى القرن ٢١ق.م تقريبا ، أول أسرة فى تاريخ

١- قدمت الحضارة الصينية القديمة العديد من الاختراعات والاكتشافات وكان أهمها مايعرف (بالاختراعات الأربعة) وهى البوصلة - صناعة الورق - فن الطباعة - البارود . لمزيد من التفاصيل انظر : ووبن : مرجع سابق ، صـ٢..) .

٢- جيان بوه تسان وآخرون : موجز تاريخ الصين - دار النشر باللغات الأجنبية - بكين ، ١٩٨١ ، صـ١ .

٣- الصينيون ينسبون خلق السماء والأرض والمدنية الإنسانية إلى (بان كو) الأعظم أول الخلق وإلى اثنى عشر ملكاً سماويًّا وتسعة ملوك من البشر . لمزيد من التفاصيل انظر : تشسترابين : الشرق الأقصى ، ترجمة/ حسين الحوت ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص٣) .

٤- فؤاد محمد شبل : حكمة الصين ، الجزء الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٢٠.

الصين وهى أسرة «شيا» أو«هسيا» التى بدأ يطبق فيها نظام العبودية[١] ، وبعد أسرة «شيا» ظهرت أسرة شانج (Shang) كان أول أباطرتها يسمى تانج (Tang) وكان يمارس سلطته فى العاصمة (تشينج – تشو) التى تقع على نهر الهوانجهو [٢].

وتميز عصر أسرة شانج باستمراره فى ممارسة نفوذه لعدة قرون فى صهر المعادن واستخدام المركبات ذات العجل التى تجرها الخيول ، وهذا هو الذى دفع عنهم غارات الغزو من ناحية الشمال والغرب من جانب القبائل الهمجية التى كانت تتحين الفرصة لمداهمة الحضارة المزدهرة فى وادي النهرالأصفر.

ومن الملاحظ أن الصينيين استطاعوا صنع المركبات ذات العجل والمحاور واستخدموها فى حياتهم اليومية فى زمن مبكر.

ومن ناحية أخرى فقد كان الصينيون لهم مكانة الصدارة فى ذلك الوقت حيث تنوعت برونزيات مملكة الشانج، وشملت أدوات الطبخ وأواني الشرب والأسلحة، فالبرونزيات مثل الملاعق والكؤوس والحراب فهي رائعة الصنع لا مثيل لها فى العالم من حيث عددها وتنوع أشكالها ودقة صنعها وجمال رسومها [٣] .

ومما هو جدير بالذكر أنهم أول من اهتدوا إلى سر غزل الحرير من شرنقة دودة القز واحتفظوا بهذا السر لعدة مئات من السنين. ولقد حاولت بقية الحضارات الاهتداء إلى هذا السر فى صناعة الحرير فلم يتوصلوا إليه فاقتنعت باستيراده من الصين. ومما يدل على ما سبق تلك المكتشفات الأثرية التى تم العثور عليها وهى متعلقة بأسرة الشانج.

ولم تكن الصين حينذاك دولة متحدة ، إذ تألفت من عدة دول متفرقة تحارب إحداها الأخرى لكنها دانت جميعها بالولاء لأسرة «تشو» ويعتبر عصر هذه الأسرة أطول العصور فى تاريخ الصين[٤] .

١- Encyclopedia Apllo: Vol.3-New York.1971.p.366.

٢- فوزى درويش : الشرق الأقصى (الصين واليابان) – مطبعة غباشى – طنطا ، ١٩٩٤ ، ص ١٤ .

٣- جيان بوه تسان وآخرون : مرجع سابق، ص٦ .

٤- Encyclopedia Apllo: op.cit.p.366.

وفى أثناء حكم أسرة «تشو» ظهر عدد من المفكرين والفلاسفة كان أبرزهم كونج فو تزى (Kung-Fu-Tzc) حوالى عام (٥٥١ قبل الميلاد)، وهو ذلك المفكر والمصلح المشهور كونفوشيوس (Confucius)، وتقلد منصب القاضي لمعظم حياته.

وكونفوشيوس له من التعاليم التربوية الأخلاقية والسياسية والاجتماعية ما جعله حكيم الحكماء فى نظر الصينيين. وأصبحت فلسفته حينذاك هى الديانة الرسمية للدولة فى بلاد الصين والمرشد الخُلقي للصينيين فى حياتهم اليومية.

وتميز العصر الأخير لأسرة تشو بالاضطراب السياسى، فاستقر الأمر بعد أن اعتلت أسرة «تشين» عرش الحكم (Chin)، وسيطرت على كامل أراضي الصين ومن هنا اتخذت الصين اسمها [١].

وفى أثناء حكم هذه الأسرة تعرضت أراضي الصين لغزو القبائل الرعوية القادمة من أواسط آسيا، وخاصة منغوليا لذا شرع أحد أباطرة أسرة تشين وهو «تشين شيه هوانج» فى بناء سور الصين العظيم لحماية أراضي الدولة من جحافل هذه القبائل المغيرة [٢].

ففى عام (٢١٤ قبل الميلاد) تم تشغيل المحكوم عليهم فى ربط المتاريس القديمة لعمل السور العظيم [٣]، الذى بلغ طوله عند الانتهاء من تشييده (١٥٠٠) ميلٍ، ويعد ذلك أروع مشروع دفاعي فى العصور القديمة[٤].

وأسرة تشين (Chin) تعد أول إمبراطورية إقطاعية ذات سلطة مركزية فى تاريخ الصين، وعصرها أقصر العصور [٥]. ثم قامت على أنقاضها أسرة هان (Han)، وورثت عنها

١- New Age Encyclopedia: Vol. 5-New York- 1971.p.393.

٢- محمد خميس الزوكة: دراسة فى الجغرافيا الإقليمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٢، صـ٢١٤.

٣- وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، أشرف على الترجمة د./ محمد مصطفى زيادة، ج١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٢، ص ٣٦٣.

٤- فاروق عثمان أباظة: محاضرات فى تاريخ الشرق الأقصى، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية، ١٩٩٨، ٢٨.

٥- New Age Encyclopedia : op.cit. p. 393.

حكومة مركزية قوية لدولة موحدة مستقرة واستمر حكم الهان قرابة أربعة قرون ، وتعتبر من أكبر الأسر الإقطاعية فى تاريخ الصين من (٢٠٦ قبل الميلاد) إلى (٢٢ ميلادية)[١].

ومما يذكر فى هذا السياق أنه في عصر أسرة الهان تمكن الصينيون من اكتشاف مشروب الشاى ، الذى انتقلت عادة شربه إلى الممالك الإسلامية فى عهد المغول وإلى أوربا فى القرن الخامس عشر الميلادى[٢] .

ومن المظاهر الأخرى التى أثارت انتباه المؤرخين وجعلتهم ينظرون باحترام إلى حضارة الشعب الصينى ؛ هو اختراع الورق والحبر الجاف ، ففى أواخر أسرة هان بدأت الكتب الكونفوشية المقدسة تكتب على لوحات وتوضع فى الجامعة الإمبراطورية فى العاصمة باعتبارها نسخة نهائية ليتعلم منها المثقفون [٣] ، ونجد أنه باختراع صناعة الورق زاد الإنتاج الأدبي ، ومما يجدر الإشارة إليه تلك الخرائط الورقية التى ترجع إلى عهد أسرة هان الغربية التى تم اكتشافها عام (١٩٨٦م) ، وهي عبارة عن قصاصات ورقية رقيقة لينة سطحها منبسط وناعم .

وفضلا عن ذلك تمكن الصينيون خلال حكم الهان من اكتشاف البارود وإن كانوا لم يستخدموه إلا فى الألعاب النارية ، كما نهضت الموسيقى والرسم وارتقت الزراعة باستخدام الدورة الزراعية فى زراعة البقول ، وتعلم الصينيون طلاء الخزف وأدخلوا تحسينات على التقويم ، كما اخترعوا آلة لقياس الزلازل (سيسموجراف) لتسجيل الهزات الأرضية[٤] .

ثم توالت بعد ذلك الأسر الحاكمة وحاولت كل منها أن تقلد الإمبراطورية التى

١- جوناثان هموند : الصين «الأرض والناس» - ترجمة د./ سلوى محمد لبيب - الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٨ .

٢- بدر الدين حى الصين : العلاقات بين العرب والصين - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ٣١١ .

٣- سون جى : الطباعة فى العصور القديمة - دار النجم الجديد - بكين ، ١٩٩٧ ، صـ٤ .

٤- تشستراين : مرجع سابق ، ص ٩ .

قامت على أنقاضها وأطلق على هذه الفترة (٢٢٠م - ٥٩٠م) العصر المظلم ، وذلك لأنها كانت فترة اضطراب سياسى بين عدة أُسَرٍ .

وفى بداية القرن السابع الميلادي استولت أسرة تانج (Tang) على السلطة فى الصين ، وبدأ بذلك عصر جديد من عصور الحضار الصينية تميز بموجة جديدة من الاختراعات الصينية فظهرت الطباعة بالحروف الخشبية (الألواح الخشبية) [١].

وذلك إلى جانب الطواحين الهوائية والأوانى الرائعة دقيقة الصنع من البورسلين ، واشتهر عصر أسرة تانج بجمال النقوش والرسوم .

وظهرت مجموعة مختارة من رجال العلم والفن ، حيث كانت تنحت التماثيل من الياقوت ، وأجسام الأثرياء من الموتى تدفن على فرش من اللؤلؤ . ومما هو جدير بالذكر أن الحرير الذى كان يباع فى أوروبا بما يعادل وزنه ذهباً ،كان هو الكساء المألوف لنصف سكان المدن الصينية الكبرى فى ذلك الوقت[٢].

ومن ناحية أخرى فقد انتشرت ديانات جديدة فى بلاد الصين فى عهد أسرة تانج ، منها المسيحية بمذاهبها والمنوية والزرادشتية والإسلام ، وذلك عن طريق التجار الوافدين إلى الصين ، وكانت البوذية أوسع الديانات انتشارا فى بلاد الصين .

وأطلق على عهد أسرة تانج العصر الذهبى للشعراء ، فمن أقوال أحد النقاد الصينيين فى هذا العصر قوله: «ذلك عصر فيه كل رجل بحق شاعر» ورفع أباطرة أسرة تانج الشعراء والمصورين (أصحاب الفنون) إلى أعلى المناصب وأعطوهم الرعاية الكاملة .

ومما يذكر فى هذا الصدد أن أباطرة أسرة (المانشو) أو (تشينج) فى القرن الثامن عشر أمروا بوضع سجل يحوى ما قاله شعراء أسرة تانج (Tang) فكانت النتيجة أن وصل هذا السجل إلى ثلاثين مجلدا تحوى (٤٨٩٠٠) قصيدة قالها (٢٣٠٠) شاعر وذلك مما أبقى عليه الدهر .

١- سون جى : مرجع سابق صـ ٢ .

٢- ول ديورانت : قصة الحضارة - ترجمة/ محمد بدران ، الجزء الرابع ، المجلد الأول ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ، ١٩٥٧ ، صـ ١١١ .

وفى هذا يقول مردك Murdack : «ولا جدال فى أن الصين كانت فى ذلك الوقت أرقى البلاد حضارة فقد كانت وقتئذ أعظم الإمبراطوريات قوة وأكثرها استنارة وأعظمها رقيا وأحسنها حكما على ظهر الأرض» ، ومن أقوال (آثروبلى) فى فترة أسرة تانج : «وقد شهد ذلك العصر أرقى ما شهده العالم من الثقافات» وقال كذلك : «لقد كانت الصين بلا جدال أعظم دول العالم وأكثرها حضارة» [١] .

وبالرغم من ازدهار الصين أثناء حكم أسرة تانج ، إلا أنها تعرضت للغزوات والحروب الأهلية وتم انهيارها فى أوائل القرن العاشر الميلادى وانتقلت بذلك الصين إلى عصر الاضمحلال (عصر الأسر الخمس ٩٠٧م-٩٦٠م) ، ومن العادات السيئة التي انتشرت في البلاد خلال هذه الفترة عادة (ربط الأقدام) ، حتى تصبح صغيرة ناصعة البياض ، وعمت هذه العادة جميع طبقات المجتمع ، ولم يتم التخلص منها إلا فى أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين ، وظلت الفوضى تعم البلاد إلى أن تولت أسرة «سونج» (Song) الحكم (٩٦٠م- ١٢٧٩م).

وفى بداية القرن الثالث عشر قامت أسرة يوان (Yuan) المغولية على أنقاض أسرة سونج ، وحكمت الصين قرابة قرن من الزمان حيث تولى الحكم بعد جنكيزخان أحد أحفاده (كوبلاى خان) وهو من أعظم ملوك المغول الذين حكموا الصين .

ونظرا لتفوق الحضارة الصينية على حضارة المغول الفاتحين ، فإن هؤلاء الغزاة لم يستطيعوا التأثير فى الحضارة الصينية بل ذاب العنصر المغولى فى العنصر الصينى ، ولم ينقضِ وقت طويل حتى أصبح هؤلاء الغزاة صينيين فى عاداتهم وتقاليدهم وحضارتهم أيضا [٢] .

وفى أثناء حكم الإمبراطور المغولى (كوبلاى خان) ، زار الصين الرحالة الأوروبى ماركو بولو (Marco Polo) وذلك فى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى (١٢٧٥ م- ١٢٩٢ م) ، ووصف الصين بأنها أحرزت تقدما ورخاء فى عهد الإمبراطور كوبلاى خان ، وزارها من

١- المرجع السابق : صـ١١٢ ، صـ ١١٤.

٢- حسن محمد جوهر وعبد الحميد بيومى : الصين ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٩ ، صـ ٢٩ .

بعده الرحالة (ابن بطوطة) فى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادى.

وفى نهاية عهد الملوك المغول الذين حكموا الصين تطرق الانحلال إلى نظام الحكم وظهرت أسرة «مِنج» (Meng) ، (١٣٦٨ م- ١٦٤٤م) وكانت سياستها قومية تقوم بوجه عام على إعادة بعث روح الثقافة الصينية ،وعملت على سن القوانين وإصلاح نظام الحكم ، وتمتعت الإمبراطورية الصينية فى ظل هذه الأسرة بسلام ومقصد عيش دائمين يكاد لا يكدر صفوهما شىء[١] .

وفى ظل هذه السياسة القومية التى اتبعتها أسرة منج ، فُرضت العزلة الكاملة على الإمبراطورية الصينية ، وهذا على النقيض من سياسة الحكام المغول ، حيث إن أوروبا لم تعرف شيئا عن بلاد الصين لمدة قرنين من الزمان ، وهذا كان سببا فى عدم استجابة الصينيين لمعاملة الأوربيين فى القرن الثامن والتاسع عشر الميلادي ، مما دفع الأوروبيين إلى الدخول فى حروب مع بلاد الصين [٢].

وبالرغم من ازدهار بلاد الصين فى عصر أسرة منج ، إلا أنها تعرضت إلى غزوة مغولية جديدة ، وكان هؤلاء الغزاة الجدد هم عنصر المانشو (Manshus) ، وسيطروا على عرش الصين بادئين نظام أسرة جديدة ظلت تحكم بلاد الصين من حوالى (١٦٤٤م-١٩١١م)[٣] .

وتميزت الحضارة الصينية بازدهارها فى ذلك العصر إلا أن حكام المانشو اتبعوا سياسة العزلة ، ويتضح ذلك من الرسالة التى أرسلها الإمبراطور (شين لونج) سنة ١٧٩٦م ، إلى الملك جورج الثالث ملك إنجلترا ردا على اقتراحه بتوسيع العلاقات التجارية بين البلدين ، إذ جاء فيها:

١- بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية : ترجمة / عبد العزيز توفيق جاويد - دار المعارف ، مصر ١٩٦٢ ، ص ص ٦٩ - ٧٠.

٢- السير جون أ.هامرتن : تاريخ العالم ، المجلد ٦ ، ترجمة / إدارة الثقافة بوزارة التعليم العالى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، (د.ت) ص٢٦٠.

٣- إسماعيل أحمد باغى : تاريخ شرق آسيا الحديث - مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٩٩٤ ، ص ٧٦ .

«إننا نملك كل شيء ، وأنا لا أقيم وزنا للأشياء الغربية أو الزائفة الصنع ، فلا فائدة إذن من مصنوعات بلادكم عندنا» [1] .

وحيث إن أسْرَتَيْ منج ومانشو اتبعتا سياسة العزلة ببلاد الصين ، إلا أنه كانت هناك محاولات من التجار الأجانب فى صورة فردية وليست جماعية تفد إلى الموانيء الصينية ، فلم تكن العزلة بمعناها الواسع الشامل ، بل كانت هناك بعض الصلات بين الصين وبعض الدول ولكن فى أضيق الحدود ، وذلك لما تخشاه السلطة الإقطاعية فى بلاد الصين من التغيير، ومن التيارات الفكرية الجديدة التى قد تأتى نتيجة الاتصال بالعالم الخارجى .

وخلال هذه الفترة من التاريخ القديم برع الشعب الصينى فى الزراعة وتربية الدواجن والصناعات اليدوية مثل صناعة الفخار والحرير ، إلى جانب أهم الاختراعات العلمية ومنها صناعة الورق والطباعة والبوصلة والبارود وغيرها ، وذلك أيضا إلى جانب ظهور مجموعة من المفكرين والفلاسفة والشعراء الصينيين كان لهم أعظم الأثر فى تشكيل قوة وشخصية الرجل الصينى والمجتمع الصينى فيما بعد .

٢- التاريخ الصينى الحديث .

تعد حرب الأفيون من أبرز أحداث الصين خلال هذه الفترة من التاريخ ، والتى فرضتها بريطانيا على الصين ، وذلك فى عهد أسرة المانشو التى ظلت فى الحكم حتى قيام جمهورية الصين بقيادة الدكتور «صن يات صن» (Sun Yet Sen) عام ١٩١١م .

حيث كانت تجارة الأفيون قد راجت فى بلاد الصين عن طريق الهند فى القرن الخامس عشر الميلادى ، ولكن نطاق هذه التجارة لم يتسع إلا على يد التجار الأوربيين خصوصًا شركة الهند الشرقية التى كانت تحتكر التجارة البريطانية [2].

١- أ . أبشتاين : مولد الصين الشعبية - ترجمة / حسنى تمام - مطبعة الديار المصرية - القاهرة ، ١٩٥٧، ص ٥ .

٢- فاروق عثمان أباظة : مرجع سابق ، ص ٣٨ .

ونتيجة لقرار حكومة الصين فى عام ١٨٠٠ م، بحظر استيراد الأفيون ومعاقبة المواطنين المتعاملين مع تجار الأفيون فقد شنت بريطانيا الحرب ضد الصين عام ١٨٤٠ م، واستمرت لمدة ثمانية عشر شهرا[١] .

ووقعت الصين معاهدة نانكينج التى أرغمت الصين على فتح موانيها فى وجه التجارة الأجنبية ، وخاصة تجارة الأفيون ، واستولت بريطانيا على جزيرة هونج كونج القريبة من مقاطعة كانتون .

وكرد فعل من الشعب الصينى للتعبير عن عدم رضائه فى التدخل البريطانى ، قامت ثورة التايبنج وراح ضحيتها الملايين من أبناء الشعب الصينى . وبتوقيع الصين معاهدة نانكينج فتحت الباب أمام كل من فرنسا والولايات المتحدة وغيرهما لعقد معاهدات تجارية مع حكومة الصين تحت ما عرف باسم سياسة الباب المفتوح فى الصين.

وكانت الصين حينذاك تحت حكم امرأة مستبدة تدعى (يهونالا) والتى اشتهرت باسم الإمبراطورة الأرملة تزوهسى أو بالاسم الدارج (البوذا العجوز) ، وقد ظلت تحكم الصين من عام ١٨٦٠م ، يوم أصبحت أحد الأوصياء على العرش إلى موتها فى ١٥ نوفمبر١٩٠٨م[٢] .

حيث وافقت الحكومة الصينية على امتيازات الدول الأجنبية ، فقد حصلت بريطانيا العظمى على تنازل أو امتياز فى منطقة شنغهاى فى عام ١٨٤٥م ، ثم فرنسا فى عام ١٨٤٩م ، وألمانيا فى منطقة كانتون وتيان تسين وهانيكو عام ١٨٦١م ، وروسيا فى منطقة تيان تسين فى سنة ١٨٦٦م ، ثم أدمجت مناطق الامتياز الإنجليزية والأمريكية من أجل إنشاء منطقة امتياز دولية .

وقد كان الصينيون يخضعون فى هذه الأماكن سالفة الذكر ، وغيرها من أماكن الامتيازات الأخرى للإدارة الأجنبية أو صاحبة الامتياز رغم سيادة حكومة الصين

١- جلال يحيى : الشرق الأقصى الحديث والمعاصر ، دار المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٨٥ ، ص ٤٤ .
٢- بانيكار : مرجع سابق ، ص ١٣٦.

النظرية لا الفعلية على تلك المناطق(١) .

وتجدر الإشارة إلى أن حرب الأفيون كانت تحولا فى التاريخ الصينى الحديث ، حيث كان المجتمع الصينى مجتمعا إقطاعيا ، لكنه سرعان ما تحول إلى مجتمع شبه إقطاعى وشبه مستعمَر .

وفى الحقيقة كانت حرب الأفيون فى حقيقتها هى القضاء على انعزال الصين قهرا ، وإجبارها على تبادل التجارة مع الأمم الأوروبية ، فلم تكن الحرب تتعلق بإجبار الحكومة الصينية على استيراد الأفيون بقدر ما تتعلق بفرض توسيع التبادل التجارى .

- ثورة الصين والتغيير:

بالنظر إلى الظروف الداخلية والخارجية للصين في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، يلاحظ أنها قد ساعدت على حدوث ثورة الصين ، فالضغط الداخلى من قبل الأسر الحاكمة (أسرة المانشو) ، والضغط الخارجى المتمثل فى تقسيم الصين إلى مناطق نفوذ بين الدول الكبرى ، أدى إلى قيام ثورة فى الصين كانت نتيجتها سقوط حكم أسرة المانشو الذى استمر قرونا عديدة ، وبدأ العهد الجهورى (١٩١١ -١٩٤٩م).

وتولى الدكتور صن يات صن (Sun Yet Sen) رئاسة الجمهورية سنة ١٩١١م ، ثم انتقلت رئاسة الجمهورية إلى القائد العسكرى يوان شى كاى (Yuan Shin Kai) الذى أعلن مبادئ حركة الحياة الجديدة (٢) . وأخذ يوان شى كاى يعمل على جمع السلطة فى يديه ، وتكوين أسرة إمبراطورية حاكمة جديدة ، وذلك بمساعدة الدول

١- جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ص ١٤١ ، ١٤٢ .

٢- شيانج كاى شيك : حركة الحياة الجديدة فى الصين - ترجمة / فور محمد ناهين ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٩٤٣ ، ص١٧ (مبادئ حركة الحياة الجديدة ، ترمى إلى انشاء حياة منظمة قوامها الفضائل الأربع (لى . أى. لينج . شي) وتعني «آداب المعاشرة ، العدالة ، الاستقامة ، الذمة» وليأخذ الشعب هذه الفضائل ويطبقها الناس فى حياتهم اليومية على المأكل والملبس والمسكن ، المعاملة ، وهذه المبادئ ضرورية للسمو بالأخلاق ومن هذه المبادئ يتعلم الفرد كيف يعامل الناس ، ويعالج الأمور ، وكيف يساير الزمن ، ويكيف نفسه وفقا للبيئة ، ومن يتعدى على هذه المبادئ فمصيره السقوط والدولة التى تهملها لن تعيش .

الأجنبية مما دفع الشعب إلى مزيد من الحروب الأهلية .

ومما يذكر فى هذا السياق أن حركة أو ثورة ١٩١١م ، كانت ذات مغزى كبير حيث أطاحت بالحكم المانشورى الإقطاعى الذى استمر عدة قرون وجعلت من المستحيل عودته مرة أخرى ، وكان ذلك سببا فى يقظة الشعب الصينى. وفى ذلك الوقت تأسس الحزب الشيوعى الصينى سنة ١٩٢١م ، وقام بنضالات واسعة إلى أن أعلن فى أول أكتوبر سنة ١٩٤٩م تأسيس جمهورية الصين الشعبية فى احتفال كبير فى ميدان (تيان آن) فى بكين بقيادة الزعيم الصيني «ماوتسى تونج» ، وبدأ عصر التحول والبناء الاشتراكى فى الصين .

٣-تاريخ الصين المعاصر :

منذ أن تولت الحكومة الصينية الحكم فى سنة ١٩٤٩م ، بقيادة الرئيس ماوتسى تونج سعت إلى إجراء تغييرات جذرية فى الكيان الاقتصادى الوطنى ، وتركزت مهمة الحكومة فى مصادرة المؤسسات الرأسمالية وتحويلها إلى مؤسسات حكومية وإلغاء نظام الملكية الإقطاعية للأراضى الزراعية وتوزيعها على الفلاحين الذين لا يملكون أراضيَ زراعية أو يملكون مساحاتٍ قليلة[1] .

فيلاحظ أن الثورة الاشتراكية فى الصين المعاصرة تميزت عن الثورة الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى بعدة خصائص نابعة من طبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع الصينى .

فالتجربة الاشتراكية فى الصين مستمدة من الواقع الذى يعيشه الشعب الصينى ، وأن أكبر ميزة اقتصادية فى التخطيط الاشتراكى الصينى هو الاعتماد على النفس وعدم انتظار المساعدات الخارجية لتطوير البلاد .

---

١ - تشينج تشو يوان : اقتصاد الصين الشيوعية ، دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين ، ١٩٦٤ ، ص ١١ .

- ماوتسى تونج والثورة الثقافية :

وضعت الصين مبادئ التخطيط الاشتراكي وفق خطة موحدة تهدف لتطوير الاقتصاد الوطني الصيني ، تجسد سياسة الحزب الشيوعي ، وفى هذا يتجلى مبدأ الحزبية فى حل القضايا الاقتصادية .

وقد لخص ماوتسى تونج مؤسس الثقافة الجديدة ، تاريخ الثقافة الحديثة تلخيصاً باهرا ، وأشار إلى أن الثقافة الجديدة ينبغى أن تكون «وطنية وعلمية وشعبية فى طبيعتها ومعادية للإمبريالية والإقطاع»[1] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الفترة قبل حركة الرابع من مايوعام ١٩١٩م ، والفترة التى أعقبتها تشكل عهدين مختلفين فى الميدان الثقافى بالصين ، فقبل الرابع من مايو كان النضال فى الميدان الثقافى بالصين جاريا بين الثقافة الجديدة للبرجوازية والثقافة القديمة لطبقة ملاك الأراضي الإقطاعية ، ولكن سرعان ما تغيرت الأمور بعد حركة مايو ، وظهرت قوة ثقافية نشطة وهى الثقافة الشيوعية التى من خلالها استمدت الصين ثقافتها المعاصرة.

وفي أغسطس من عام ١٩٦٦م، كتب الزعيم «ماو» مقالا بعنوان «انسفوا القيادة العليا» . وكان هو إشارة البدء الحقيقية لبدء ما عرف في تاريخ الصين المعاصر باسم الثورة الثقافية الكبرى . والتي هاجمت تناقضات أفكار قادة الحزب الشيوعي من أجل إنقاذ الثورة الاشتراكية.

وبالطبع كان المغزى من وراء تسمية الثورة الثقافية بهذا الاسم واضحاً ، فهي ثورة تحدث في البناء الفوقي ، وهي تتعلق بإعادة الأفكار والقيم الاشتراكية (أو الثقافة الاشتراكية) والتي تعرضت لتراجع واضح من قبل قادة الحزب الشيوعي ، الذين هم في الأساس دعاة هذه الأفكار والأمناء عليها ، فإن تراجعهم عنها يتطلب القيام من وجهة نظر «ماو» بحملة تعاد فيها الأمور إلى نصابها، وبحيث تعود مكونات البناء الفوقي

١- ماوتسى تونج : الثورة الصينية وبعض قضاياها - ترجمة / إلياس مرقص ، دار دمشق للنشر ، دمشق، ١٩٥٨ ، ص ٢٩ .

(وعلى رأسها الحزب) إلى لعب دورها في حفز المسار الاشتراكي .

وإذا كان الفلاحون في المناطق الريفية هم قادة الثورة الاشتراكية إلى النجاح والنصر ، فإن أبناءهم في المناطق الحضرية من طلاب المدارس الثانوية والجامعات هم الذين سينهضون بمهمة الثورة ضد قيادات الحزب ليعودوا بأفكارهم إلى الطريق القويم .

لذا كان مولد الثورة الثقافية في إحدى المدارس الثانوية التابعة لجامعة «تسنجهوا» في بكين . وهناك ظهر لأول مرة «الحرس الأحمر» للثورة الثقافية ، والذي تكون أعضاؤه من طلبة المدارس والجامعات . وما إن أعطى «ماو» شرارة البدء للثورة ، حتى انطلق الطلاب يهاجمون القيادات الحزبية في كل مكان تطاله أيديهم ، كما عقدوا لهم المحاكمات - هم وأسرهم - في الشوارع والمدارس والمؤسسات الحزبية على السواء .

وقد مكنت الثورة «ماو» من إعادة هيكلة الحزب الشيوعي بالصورة التي رأي أنها أكثر ملاءمة عن ذي قبل ، كما أتاحت له التخلص من أهم «سالكي الدرب الرأسمالي في الحزب» كما أسماهم ، وكان على رأسهم «ليوشاوشي» رئيس الجمهورية وعضو اللجنة العليا للمكتب السياسي بالحزب ، وكذلك «دنج شياو بنج» الذي كان في ذلك الوقت سكرتيراً للحزب الشيوعي الصيني .

ولذلك يمكن القول : إن «ماو» كان أول ماركسيٍّ لا يؤمن بالحزب الشيوعي كتنظيم يمكن للثورة والدولة الاشتراكيتين أن تثقا فيه بصورة مطلقة لإنجاز مهامهما . فالحزب - شأنه شأن أي ظاهرة سياسية إنسانية - عرضة للتحول والتغير والتبدل ، وهو لابد أن يخضع للمراقبة باستمرار حتى تمنع أية بادرة لتحوله ضد الثورة الاشتراكية وضد جماهير الشعب .

لذا لم يكن غريباً أن يتصور «ماوتسي تونج» أن مكانة الحزب الحقيقية تكمن في الالتزام بفكره هو وبسياسته هو . فعلى الأقل كان هذا الفكر وتلك السياسات هما المسؤولان عن نجاح الثورة الاشتراكية الصينية والوصول بها إلى ضفاف الأمان .

وعندما قاد حركة تدمير الحزب الشيوعي في أثناء الثورة الثقافية ، لم يكن هدفه هو استئثار ديكتاتوري بالسلطة لذاتها ، وإنما كان يعبر في حقيقة الأمر - ومرة أخرى - عن عدم ثقته بالحزب وضرورة قيامه هو بعملية الضبط والتصحيح ، كما كان عليه الحال في الماضي .

وقام «ماو» بإحلال التنظيمات الحزبية في مختلف المستويات الإدارية بتنظيمات أخرى جديدة عرفت باسم اللجان الثورية ، وقد تكونت هذه اللجان من تحالف ضم العناصر الثورية من الطلاب وجنود جيش التحرير فضلاً عن الثوريين في جهازي الحزب والدولة من غير سالكي الطريق الرأسمالي .

وهاجم الثوار كذلك الأدب القديم بما يحمل من أخلاق ومبادئ وقيم ، وبدءوا ينظرون إليه على أنه نشأ فى مجتمع إقطاعى ، وأنه لا يتفق مع الحياة الصينية الحديثة .

وبالنظر إلى المجتمع الصينى قبل ماوتسى تونج ، نجد أن أفكار كنفوشيوس وتلاميذه هى التى كانت مسيطرة على الفكر الصينى ، إلى أن ظهر «ماوتسى تونج» بآرائه التى أصبحت نقطة تحول خطيرة فى مسيرة الفكر الصينى. هذا في الوقت الذي لم ينقد فيه «ماو» التراث والفكر الصيني بجملته .

وفى الحقيقة كانت فترة الثورة الثقافية فترة ركود وخسائر ، يتضح أثره فى المجال الاقتصادى والاجتماعى ، وقد كان لها أثر بالغ الأهمية على حياة المجتمع الصينى ، فلم تكن الثورة إلا أداة لاستعادة الزعيم ماوتسى تونج نفوذه السياسى في هيكلة الحزب الشيوعي والقضاء على الأفكار الرأسمالية التي لا تتفق ومبادئ الثورة الصينية.

ومع نهاية الثورة الثقافية اتجهت الصين إلى الانفتاح على العالم الخارجي فى عام ١٩٧٩م ، وعملت على تطبيق سياسة الانفتاح الخارجى ، وتعد تلك الفترة من أزهى عصور الصين فى الاستقرار والرخاء الاقتصادى والتقدم الحضارى ، حيث بدأت تضع نفسها فى مسار الدول المتقدمة .

ومما يذكر فى هذا الصدد قول نابليون ذات مرة «الصين ... هناك ينام عملاق ، دعوه

يَنَمْ لأنه إذا ما آفاق فسوف يحرك العالم»[1] .

ومما سبق يلاحظ أن المجتمع الصينى فى الوقت الراهن بدأ يتحرك ، ليس فقط لتحريك العالم ، كما قال نابليون وتنبأ له ، ولكن للمساهمة فى صناعة مرحلة جديدة من التاريخ البشري.

١- شوقى أبو شعيرة : انتحار الحضارة «فوضى القرن العشرين» الأهالى للنشر والتوزيع - دمشق ، ١٩٩٤ ، ص ٢٦١.



الفكر الاجتماعي قبل ماوتسي تونج

أولاً : أسس الفكر الصينى:

يظهر من خلال تتبع تطور الفكر الحضارى الصينى ، أن الإبداعات الفلسفية والفكرية العديدة فى الصين قبل ماوتسي تونج ، قد تجلت واضحة فى القرون الثلاثة الأخيرة من سيطرة أسرة «تشو» ، وقبل إنشاء الإمبراطورية الموحدة للصين.(أى من القرن السادس إلى الثالث قبل الميلاد) ، ففى هذه الفترة لمع العديد من مفكرى الصين وفلاسفتها من أمثال: «لاتزو» و «موتزو» و«كونفوشيوس» و«منشيوس» و«هسون تزو» وغيرهم ممن كونوا المئة مدرسة فلسفية.

وكان محور إبداعاتهم الفكرية يدور أساسا حول الاهتمام بالشؤون العملية للإنسان والمجتمع على حد سواء . فقد اهتم بعضهم بالإنسان الفرد الفلاح البسيط ، كما اهتم غيرهم بالطبقة النبيلة ، بهدف توجيهها ومساعدتها على حسن قيادة السلطة وحكم الشعب .

هذا في الوقت الذي اعتقد فيه الصينيون من خلال وعيهم الثقافى والاجتماعى -حتى القرن التاسع عشر الميلادى- بأنهم أصل الحضارة والرقى ، بعكس كل الشعوب الأخرى التى يصفونها بالبربرية ، وكانوا حتى سنة ١٨٦٠م ، يترجمون لفظ كلمة «أجنبى» بالبربرى أو بالهمجى ، ويعتبرون أنفسهم أعظم الأمم وأرقاها طباعًا .

ويرجع الصينيون كما يرى بعض المفكرين الغربيين تاريخ الحضارة الصينية وثقافتها إلى أكثر من سبعة آلاف سنة ، كما يعتبرونها أول حضارة فى التاريخ القديم ، غير أن أبحاث المؤرخين لا ترجع الثقافة الصينية وبدء نموها وتطورها الحضارى إلى أكثر من

ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة أى إلى حوالى ألف وخمسمائة سنة ق.م وبالتالى فإنهم يعتبرون حضارة الصين لاحقة لحضارات الشرق الأدنى ومصر الفرعونية بعدة آلاف من السنين.

ويلاحظ من خلال الواقع الاجتماعى والثقافى عبر تاريخ الصين ، رغم توحدها سياسيا منذ اثنين وعشرين قرنا ، وجود ثقافات ثانوية محلية معبر عنها بلغات مختلفة ، إلى أن الكتابة الصينية المبنية على الصور والأشكال الرمزية ، مازالت اللغة المكتوبة الجامعة لكل الصينيين باعتبارها تسمح للمتعلمين منهم فى جميع أنحاء الصين بفهمها ولو أنهم يقرأونها أو ينطقونها بأشكال مختلفة تبعا للغة المحلية أو اللهجة المعتمدة لديهم[1].

توصل الصينيون ، من خلال اهتمامهم الكبير بالتعلم والتعليم ونتيجة عمل الإداريين الكبير والمرهق بكتابة النصوص الإدارية والثقافية المختلفة ، إلى أن يكونوا هم أول من اخترع الورق المصقول فى التاريخ البشرى ، وذلك فى حوالى العام ١٠٥ ق.م[2] كما توصلوا أيضا إلى اختراع طريقة النسخ ، عبر نقش النصوص الدينية على قوالب خشبية ثم حجرية (حوالي عام ١٧٥ م) وطبعها على الورق ، لتفادى أخطاء النساخ ، ولما تم اكتشاف أول كتاب طبع فى التاريخ ، تبين بأنه كتب بالصينية ، ويرجح بأنه يعود إلى العام ٨٦٨م . وهو محفوظ فى المتحف البريطانى (وتم أيضا العثور فى اليابان حوالى عام ٧٧٠م ، على أقدم طباعة ، وقد حفرت على لوح بحروف صينية) .

كذلك توصل الصينيون سنة ١٠٤١م ، إلى اختراع الطباعة المنفصلة المتنقلة من

١- لقد مرت كتابات اللغة الصينية بثلاث مراحل متلاحقة من التطور بعد استخدام الحبل المعقود الذى شكل أولى محاولات استخدام الأشكال الرمزية المادية لحفظ المعلومات فبدأت الكتابة الصينية أولا بمرحلة الأيدلوغرافى ثم انتقلت إلى مرحلة تمثيل أو تصوير الأصوات ثم إلى المرحلة الأخيرة والأهم وهى المرحلة التصويرية الصوتية التى تشكل حوالى ٩٠٪ من الكتابة الصينية (راجع حول اللغة الصينية كتاب جوزيف نيدهام: موجز تاريخ العلم والحضارة فى الصين ترجمة محمد غريب جودة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٥ - ص ٢٣ - ٤٠) .

٢- حول اكتشاف الورق والطباعة : انظر : الكسندر ستيفيتش ، تاريخ الكتاب ، القسم الأول ، ترجمة / محمد الأرناؤوط ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد (١٦٩) الكويت ١٩٩٣ ، ص ص ٤٨ - ٥٥.

الخزف ، مما يعنى بأنهم سبقوا بذلك «جوتنبرج» بحوالى الخمسة القرون ، ولكنهم لم ينتفعوا بها كثيرا ، بسبب عدم وجود الأحرف الهجائية فى اللغة الصينية ، وطبعوا أوراق اللعب حوالى العام ٩٦٩م . كما ظهرت فى بلادهم العملة الورقية المطبوعة فى القرن العاشر الميلادى وتحديدا فى العام ٩٣٥م ، فى ولاية «سيشوان» شبه المستقلة ، وباتت العملة الورقية من أهم أعمال الحكومة الصينية . وتم فى الصين وضع موسوعات ضخمة فضلا عن معاجم لغوية واسعة كانت قد وضعت وطبعت قبلها. وكانت أول موسوعة فى العالم هى الموسوعة التى أصدرها «ووشو» عام ٩٤٧ م، ثم ظهرت موسوعة أوسع من الأولى سنة ٩٧٧م . بلغ تعداد مجلداتها عشرة آلاف ، لم ينج منها ، بعد الاحتراق فى فتنة عام ١٩٠٠ م، إلا مئة وستون مجلدا[١] .

والواضح أن هذا النتاج الفكرى والثقافى الكبير الذى أنتجته الحضارة الصينية فى مجال الكتابة والكتاب ، يدل على مدى اهتمام الصينيين بالفكر ونشره على أوسع نطاق ، وكان نتاجهم الفكرى ، دون أدنى شك ، محل اهتمام الكثيرين من الملوك والأباطرة الذين عملوا على تشجيع المفكرين والكتاب ، فجميع الملوك والأباطرة ، منذ حكم أسرة «شانج» فى النصف الثانى من الألف الثانى ق.م ، اهتموا بكتابة التاريخ ، وكثيرا ما أحاطوا أنفسهم بالمؤرخين لتدوين كافة الأمور ووصف جميع الأحوال التى تحيط بالبلاد وبالسلطة ، لذلك شغف الصينيون بالتاريخ منذ المراحل الأولى لبدء تطورهم الحضارى ، حتى غدت الكتابات القديمة المتعلقة بأعمال الملوك ، وإلى يومنا هذا أهم ما يقرؤه ويسمعه الصينيون.

ولعل الكتب الخمسة الأكثر شهرة فى كل تاريخ الصين ، هى تلك المتعلقة بتاريخهم وثقافتهم ، وهى تعتبر المصادر الأولى للفكر والفلسفة الصينية ، وتحمل العناوين الأغانى- التاريخ-الطقوس - حوليات الربيع والخريف - التغيرات . وكان المفكر الكبير «كونفوشيوس» هو الذى عمل على توليفها والتعليق عليها فى الحواشى العديدة.

١- ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة/ محمد بدران ، الجزء الرابع ، المجلد الأول ، الطبعة الثانية والثالثة، القاهرة ١٩٩٩ ، ص ١٥٩ .

أ- الكون والآلهة عند الصينيين:

انشغل الفكر الصينى منذ القدم ، مثل باقى الشعوب الأخرى ، بالتساؤل عن الطبيعة وتنظيمها ، وآمن الصينيون مثل العديد من الشعوب الأخرى بأن الظواهر الطبيعية المختلفة تتحرك وفق إرادة السماء ، ولكنهم لم يهتموا كثيرا بالبحث عن أصل الكون والإنسان والغاية من وجودهما.

غير أن الأساطير الصينية ، مثل أساطير الشعوب الأخرى ، اهتمت كل واحدة منها بقصة الخليقة بنسب مختلفة ، فروت أسطورة الخليقة كيف أن الإله «بان كو» ظل يعمل على فصل السماء عن الأرض بصبر وأناة مدة ثمانية عشر ألف سنة . ووصفت كيف أنه بعد انتهائه من هذا العمل الجبار، بدأ يستسلم للموت!!

وتتابع الأسطورة بأنه حين لفظ أنفاسه الأخيرة ، توزعت أعضاؤه لتكون كل ما فى الوجود من شمس وقمر ونجوم وجبال وسهول وأنهار وأشجار ونبات ، وكذلك تحدثت أيضا الأساطير الصينية عن قصة خلق الإنسان ضمن أسطورة «نيووا» حيث ذكرت كيفية صنعه البشر من تراب ، وهى تشبه بذلك أساطير الكثير من الشعوب القديمة (كشعوب بلاد ما بين النهرين) التى آمنت بصنع الآلهة للبشر من التراب[1].

غير أن ما يميز الفكر الأسطورى الصينى عن غيره من كثير من أساطير الشعوب هو تركيزه الكبير على الآلهة - السماء والأرواح ودورها فى تنظيم وترتيب أعمال البشر، إذ آمن الصينيون بأن الأرواح تسكن السماء، وبأن هناك دائما علاقات مستمرة بين هذه الأرواح والعالم المادى الطبيعى الذى يعيش فيه البشر، كما آمنوا بأن هناك علاقات لا تنقطع بين أرواح الأسلاف والأحياء من بنى البشر[2] .

لذلك عبد الصينيون الأسلاف ولم يقتنعوا فى المقابل بالديانات التوحيدية الواعدة

١- حسن شحاته سعفان : الكتب الخمسة لكونفشيوس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٥ ، ص ٥ .

٢- كونفوشيوس : كتاب الحوار ، ترجمة/ محمد مكين الصينى ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٥٤هـ ، ص ١٠.

بالآخرة، باستثناء أقلية منهم. وتمسكوا بعبادة الأسلاف المرتكزة على العادات والشعائر التقليدية وعلى أهمية دور الأسرة فى تأمين سعادة الإنسان، وآمن الصينيون بأن البشر يستطيعون معرفة ما تريده الآلهة والأرواح عن طريق السحرة والعرافين وهم الوسطاء بينهم وبينها. إذ اعتقدوا بأن مصائر البشر والمجتمعات خاضعة لما تخطط له الأرواح وتعمل على تنفيذه، أى أنهم ربطوا ما بين إرادات الأرواح وفعل الإنسان، ومن هذا الاعتقاد تكونت عادات وتقاليد وشعائر وطقوس تؤمن بنظرهم ، أفضل وسائل الاتصال بالأرواح لمعرفة رغباتها من أجل تحقيق غاياتها بالخير والهناء والسعادة للإنسان وللمجتمع، ومن أجل الوصول إلى تأمين المقدرة للحاكم على الاستمرار فى الحكم ، بغية نشر هذا الخير وتحقيق هذه السعادة.

ومع نمو المعارف وتطور المجتمع الصينى، ذبلت هذه المعتقدات، وكانت بداية مرحلة جديدة منذ القرن السابع ق.م ، وهى مرحلة ازدهار الفلسفات المختلفة التى أخذت بالتشكيك ثم برفض المعتقدات القائمة على الإيمان بالأرواح، وروجت بالتالى لفكرة أن الرجوع إلى الأرواح هو إفساد لأمور الإنسان والمجتمع والحكم، وهكذا فقد شكك «كونفوشيوس» بالأرواح ، حينما أجاب عن سؤال يتعلق بها قائلا: «إنك ما تزال عاجزا عن القيام بواجبك تجاه الناس، فكيف تستطيع تأدية واجبك تجاه الأرواح» كما تركزت كتابات المفكر «هسون تزو» (عاش بين ٢٩٨ - ٢٣٨ ق.م) على مناهضة الخرافات والسحر والشعوذة والمطالبة بالاحتكام إلى العقل.

تطور الفكر الصينى مع مرور الزمن ونمو أنماط التفكير وتنوع المعارف وتراكمها ، فتحول من الارتكاز على فكرة خلق الآلهة للكون ، إلى الفكرة القائلة بأن أصل الكون عائد إلى وجود القوى الخمس التى يرجع إليها كل الوجود ، وقد عددها الفكر الصينى فى تحديد رمزى بالعناصر الخمسة الآتية: الخشب ، النار ، المعدن ، الماء ، والتراب ومن تراكيب هذه العناصر الخمسة ومن خلال التماسك بين مختلف أجزائها وباختلاف نسبها ، تتكون كل الأشياء فى الوجود ، ويحددها الصينيون بعشرة آلاف .

وفسر المفكرون الصينيون وجود الظواهر الطبيعية المتعددة بتشكل النسب ما بين

العناصر المختلفة فأرجعوا ظاهرة تبدل الفصول إلى سيطرة عنصر على العناصر الأخرى، فحين يسيطر عنصر الخشب ، يكون فصل الربيع ، وحين تسيطر قوة النار، يكون فصل الصيف ، وحين يسيطر التراب ، يكون آخر الصيف ، وحين يسيطر المعدن ، يكون الخريف ، وحين يسيطر الماء، يكون فصل الشتاء ، وهكذا فقد قالوا بوجود خمسة فصول بدل الأربعة المعروفة، وذلك بإضافتهم فصل آخر الصيف على الفصول الأخرى . وأتت نظرية «اليانغ» و «الين» لتقول بأن وجود الكون راجع للتفاعل ما بين اليانغ والين . فاليانغ يمثل قوة الوجود الإيجابى، بينما تمثل الين العدم السلبى ، ومن خلال تفاعل اليانغ - الوجود والين - العدم يتحقق الوجود والعالم الطبيعى المتغير بقوة قوانين التاو - أو الطريق[1].

ب-القواسم المشتركة فى الفكر الصينى:

بدأ الفكر الفلسفى الصينى بالارتكاز والتأسيس على فكرة» التاو» وعلى فكرة «اليانغ» و «الين» التى تمثل لب الفلسفة الصينية منذ انطلاقها حتى الآن. فجميع المفكرين الصينيين بدءا بـ «لاوتز» و «كونفوشيوس» حتى «ماوتسى تونج» (مؤسس الصين الشيوعية سنة ١٩٤٩م) قد أخذوا بأفكار التاو واليانغ والين بأشكال مختلفة تتناسب ورؤيتهم الفلسفية للإنسان والمجتمع هذا مع التأكيد بأن الفكر الصينى لم يعرف التعارض العنيف بين المدارس والمفكرين وذلك بالرغم من تباين المدارس الفلسفية فى طروحاتها الفكرية والمنهجية، فالفكر الصينى كان يأخذ بالاتجاه المؤدى

١- عمر عبد الحى : الفلسفة والفكر السياسى فى الصين القديمة ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٩٩ ، ص ٥٨ ، ص ٥٩ ، ٤٢) تنبثق فكرة «ماوتسى تونج» عن الثورة الدائمة أو المستمرة التى كانت وراء الثورة الثقافية فى الصين سنة ١٩٦٦ من فكرة «اليانغ» و «الين» اللتين تمثلان عنده تناقضًا مع فكرة ماركس القائلة بتحقيق العالم المثالى الشيوعى وبزوال الصراع الطبقى والدولة فعند «ماوتسى تونج» كل شيء متغير مما يؤدى إلى استمرار التناقض حتى بعد زوال الطبقات ، لأن التحول والتغير سيستمر مع قوى الإنتاج الجديدة بفعل ظهور عناصر التناقض بدل الصراع بتحول نوع من التناقض إلى آخر ، فكل ما فى الوجود متغير ولا شيء يبقى على حاله إطلاقاً . لمزيد من التفاصيل انظر: عمر عبد الحى : مرجع سابق ، ص ٦٠.

دوما إلى اعتبار الفكر الإنسانى وحدة فكرية ، يستطيع كل مفكر أن يأخذ منها ما يريده دون إزالة الفكر الآخر. فكل المفكرين أخذوا بفكرة التاو واليانغ والين ، وهى لب الفكر الصينى وجوهره أو منبعه ، ولكن كل واحد منهم تناولها بشكل أخذت معه أبعادا مختلفة عما أخذته مع الآخرين منهم ، هذا ولم يحاول أى منهم إلغاء فهم الآخر لها.

١- **الـ «تاو»** : الـ «تاو» أى «الطريق» أو «المنهج» هي الكلمة أو التعبير الذى يقصد به التناغم والتناسق الذى يتبعه الوجود فى ترتيب عملية الوحدة بين جميع عناصره لتحقيق ذاته الفعلية والحقيقية. وهكذا يتحقق الوجود فى كل مظاهره المتعلقة بالكون والطبيعة والمجتمع ، من خلال ذلك التناغم الأبدى من الوحدة الكلية لكل مظاهره، أى أن للوجود طريقه الخاص فى تحقيق الانسجام بين جميع ظواهره ، وفى تحقيق كل ما يتحقق فعلا فى كل مظاهره دون أن يستطيع الإنسان إدراك الأسرار الحقيقية الكامنة وراء تحقق ما يتحقق ، باستثناء ما إذا كان من الحكماء الذين يتوصلون إليها فى حالات التجلى . لذلك أطلق الفكر الصينى على هذا الفهم للوجود ولطريقة الأبدى فى صيرورته المستمرة، تعبيرا واحدا هو «تاو» .

أخذ المفكرون، مع تطور الفكر الفلسفى الصينى ، يتوسعون فى مفهوم الـ «تاو» حتى وصلوا إلى نقطة الخلاف الكبير حول الدور المُعْطَى له فى فهم الوجود وفى طريقة التعامل الإنسانى معه ، كما اختلفوا أيضا فى فهم معنى التاو نفسه[١] .

ففى حين نظر الفكر التقليدى إلى «التاو» على أنه الطريق الذى تأخذه الطبيعة فى تحقيق ذاتها ، نظر البعض الآخر إلى فحواه الإنسانى بمعنى أنه يتوجب على الإنسان ، حسب التاو ، أن يعمل وفق طبيعته الفكرية ، فيترك نفسه على سجيتها فى اتباع القيم الخُلُقية الحميدة التى فُطِر عليها حسب مشاعره الإنسانية التى تحددها التاو الإنسانية.

وكان المفكر لاوتزو ، قد أخذ فى نظرته إلى «التاو» باتجاه آخر ركز فيه على الطبيعة ، وقال

١- حسن نعمة : موسوعة الأديان السماوية والوضعية ، دار الفكر اللبنانى ، بيروت ١٩٩٤ ، ص١٨٥ .

بأن على الإنسان التعايش حتى التوحد مع التاو العظيم للطبيعة، لأن الـ«تاو» يمثل الثوابت الكونية ، وفى معرفتها، يكمن الانتصار الإنساني فى تحقيق الحكمة وفى حصول الإنسان على رضا النفس والسلام الداخلي ، وفى جهلها ، تحل الكارثة على الإنسان والمجتمع. أما «كونفوشيوس» فكان قد فهم «التاو» بطريقة مغايرة أخرى، نتيجة عدم اهتمامه بالمواضيع المتعلقة بالماورائيات، وإيمانه بالوحدة الشاملة بين الإنسان والمجتمع والطبيعة فقد نظر «كونفوشيوس» إلى «التاو» على أنه الطريق الذى سلكه الأباطرة الأسطوريون القدماء، والذى يمكن تحديده باتباع طريق الأخلاق الصحيحة، أى باتباع «التاو» الإنسانية .

وهكذا فإن نظرة «كوفوشيوس» إلى «التاو» جاءت مختلفة عن نظرة «لاو تزو» التى عالجتها من زاوية علاقتها بالطبيعة، إذ فهم كونفوشيوس «التاو» على أنها الطريق أو النهج ، بمعنى الـ «جين» «الإنسانية» أى طيبة القلب الإنساني وحب الآخرين الذى يتحقق باتباع جوهر إنسانية الفرد، كما يتحقق كل الخير والسعادة والفضيلة، فى حال التقيد بشروطها.

توسعت مفاهيم التاو مع الفلسفات الصينية المختلفة، حتى برزت نظريات عديدة بشأنها كان من أهمها على الإطلاق فلسفة «لاو تزو» وأتباعه الذين عُرفوا بأصحاب الفلسفة «التاوية» لأن فلسفتهم قامت بالأساس على فكرة «التاو».

٢- **الـ «يانغ والين»** : أخذ جميع المفكرين الصينيين بفكرة اليانغ والين بأشكال مختلفة واعتبروها أساس الانطلاق فى أى بحث فلسفي يدور حول الطبيعة والمجتمع والإنسان ، ومع نمو وتطور البحث الفكري، تحولت فكرة «اليانغ» و«الين» لتصبح مع الزمن نظرية بل نظريات أو بالأحرى فلسفات يمكن على أساسها تفسير كل شيء. كما يمكن القول بأن فكرة «اليانغ» و«الين» تمثل البعد الواعى واللاواعي فى كل التفكير الصيني منذ ما قبل لاوتزو وكونفوشيوس وبعدهما وحتى يومنا هذا.

وتروى الحكايات الصينية الشبيهة بالأساطير بأن نظرية «اليانغ» و«الين» قد ظهرت فى كتاب «التغيرات» الذى وضعه «ون وانغ» أحد مؤسسى أسرة «تشو» فى سجنه (وهو

الكتاب الذى أعاد وضعه كونفوشيوس وعلق عليه) ويستمد مبادئه من الإمبراطور الأسطورى «فوشى» (سنة ١٨٥٢ ق.م) وهو الأول ما بين الأباطرة الأسطوريين الخمسة فى التواريخ القديمة. ويعتبر هذا الكتاب من أهم المراجع الصينية فى البحث الميتافيزيقى على الإطلاق.

والواضح مما سبق أن الفكر الصينى يرتكز على نظرية «اليانغ» و«الين» في تفسير وتعليل وفهم كل الوجود الطبيعى والمجتمعى والإنسانى . فالثنائية الرمزية المتمثلة في «اليانغ» و «الين» وملحقاتها أو أسسها المختلفة ، تعتبر الركيزة والقاعدة أو الأساس فى تفسير وتعليل وحدوث كل الحقائق أيا كانت هذه الحقائق، لا بل يمكن القول بأن كل اتجاهات الفكر الفلسفى والدينى فى الصين القديمة، كان يقوم على قاسم مشترك لعدد من الأفكار الأساسية، ومنها «اليانغ» و«الين» و«التاو» .

ج-المدارس الفلسفية الصينية الكبرى:

كونت أواخر مراحل الصراع والحروب الداخلية فى فترة الربيع والخريف(٧٢٢-٤٨١ ق.م) كما فى فترة عصر الدول المتحاربة (٤٠٣ -٢٢١ ق.م) العصر الذهبى الفكرى فى الصين القديمة ، إذ نما الفكر وتطورت طرق التفكير وتغير البناء الذهنى بشكل أدى إلى وضع قواعد للغة وإلى الترقى فى مستويات الآداب والفنون والفلسفة. فالأوضاع السياسية والاقتصادية أخذت بالتبدل والابتعاد التدريجى عن الأنظمة الاقتصادية والسياسية السابقة، فى وقت بدأ فيه الملوك يأخذون بأساليب جديدة من الإدارة القائمة على الموظفين ، وذلك على حساب النظام الإقطاعى القائم على سيطرة الطبقات النبيلة، وكلما كانت الممالك تبتعد عن النظام القديم وتأخذ بالأساليب الجديدة، كانت الأوضاع تتبدل وتتغير لصالح الملوك على حساب رجال الإقطاع، مما أدى بالنتيجة إلى زيادة سيطرتهم واغتنائهم. وقد أحدث ظهور الملكية الخاصة للأرض وإمكانية بيعها وشرائها، تطورا اقتصاديا واجتماعيا كبيرا، وأعطى مؤشرا على نهاية نظام قديم وظهور

نظام جديد، قوامه سيطرة الموظفين وهم كبار ملاك الأرض[1].

أظهرت الأبحاث فى هذه المرحلة من تاريخ الصين القديم، على أنه سادت - فى كثير من الولايات الصينية وخاصة من مناطق الشمال - موجة من الاهتمام بالتعلم والتعليم، وانصب التوجه العام ناحية الاهتمام بالآداب والفلسفة، وهو ما دفع بالملوك وكبار مالكى الأراضى، لأن يجمعوا فى قصورهم الشعراء والفنانين والمفكرين الذين شاركوا جميعا فى الإبداع الفكرى الصينى. فكان فى كل قصر من قصور الأباطرة والأمراء وفى آلاف المدن والقرى، شعراء ينشدون القصائد، وصناع يديرون عجلة الفخار أو يصبون الآنية الفخمة الجميلة، وكتبة ينمقون على مهل حروف الكتابة الصينية، وسفسطائيون يعلمون الطلبة المجدين أساليب الجدل والمحاجة الذهنية، وفلاسفة يتحسرون ويائسون لنقائض البشر وتدهور الدول[2] فنشط أهل المدن الأثرياء بطلب المعلمين لإنارة عقولهم. ونشطت حركة البحث العقلانى فى كل الأمور، ومنها المثل العليا والكمال المطلق والمقاييس النسبية للأخلاق، بحيث جرى اعتبار الحق والباطل أمرين نسبيين، وهو ما جعل الحكام يقدمون على إعدام بعض المفكرين الذين أخذوا بالنسبية الأخلاقية، لأنهم رأوا فيها إفسادا للأخلاق والنظام فى المجتمع.

وواقع الأمر أن الحروب الداخلية كانت لها نتائج مهمة وعميقة فى مختلف جوانب الحياة الصينية كما فى مختلف اهتمامات الفكر الصينى، وتأرجح الفكر الصينى ما بين الحنين إلى الماضى برؤية مُسْتَحْدَثَة متطوِّرة كما عند «كونفوشيوس»[3] الذى ينظر إلى

١- عن المفهوم الماركسى للبنية الاجتماعية والاقتصادية للصين القديمة، انظر كتاب حول نمط الإنتاج الآسيوى - تأليف مجموعة من المفكرين - دار الحقيقة - ط ١ - بيروت ١٩٧٢ . كذلك راجع كتاب نمط الإنتاج الآسيوى فى فكر ماركس وأنجلز - تأليف كارل ماركس وهلموت رايش - ترجمة بو على ياسين - دار الحوار للنشر - ط ١ - اللاذقية - سوريا ١٩٨٨ .

٢- ول ديورانت : مرجع سابق، ص ٢٣ .

٣- كونفوشيوس : ولد فى قرية «لو» Loo الصغيرة عام ٥٥١ق . م وتوفى عام ٤٧٩م ق . م وعندما بلغ الثالثة من عمره توفى والده وعاش حياة فقيرة واتجه نحو إصلاح المجتمع، وشعر أن السماء عهدت إليه بمهمة جليلة وهى البحث عن دواء لعلل الأمة الصينية، وقد جمعت تعاليم «كونفوشيوس» فى كتاب أطلق عليه اسم «الحوار» . لمزيد من التفاصيل انظر : عبد الرحيم شعبان :التعاليم التربوية عند كونفوشيوس، الدار للنشر والتوزيع، القاهره ٢٠٠٩، ص٢٢ وما بعدها.

«النبيل» بمعناه الخلقى، ورؤية أخرى متشائمة غير مبالية كما عند «لاو تزو» ، أو رؤية ثالثة نفعية تأخذ بالأمر الواقع وتستند إلى السلطة الملكية المطلقة كما عند مفكرى المدرسة القانونية، ولكن مهما يكن من أمر هذه الخلافات الفكرية، فإن جميع هذه المدارس الفكرية المختلفة كانت تبحث فى المجال السياسى عن البديل للأرستقراطية، أى أنها بمعنى آخر ، كانت تبحث عن قاعدة وأساس للنظام الجديد الذى قام على أنقاض النظام الإقطاعى التقليدى المتداعي أو المنهار.

وضمن هذا الإطار ، ظهرت بدايات المدارس الفكرية الفلسفية المختلفة والمتنافسة فى عصور الفوضى والاضطراب. وراحت كل مدرسة من المدارس تحاول إيجاد الإجابات للأسئلة العديدة المطروحة واستنباط الحلول للأزمات المستجدة وحتى القديمة المتعلقة بجوانب الحياة المختلفة، ولذلك اتجه الفكر الصينى بقوة وعمق واهتمام كبير ناحية البحث فى الحياة العملية التى يعيشها الإنسان، من دون الاهتمام بالميتافيزيقيات وبالعلم كعلم، أى من دون الاهتمام بالتأملات وفى البحث المعمق فيما وراء الظواهر والأحداث. ومن هنا جرى الاهتمام بالإنسان، كعضو فاعل وأساس فى المجتمع، أكثر من كونه إنسانا مفكرا أو ذا عقل وروح فقط وبعبارة أخرى، لقد اقتصر الفكر على البحث فى الظروف الضاغطة والمتغيرة للأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وعلى العمل من أجل إيجاد الأسس والركائز النظرية للنظم الجديدة وللغايات المتوخاة منها.

وهكذا ظهرت تباعا فلسفات عديدة ابتدأت متألقة مع «لاو تزو» و«كونفوشيوس» لحقتها فلسفات أخرى ناقضتهما معا، ومهدت بذلك لنشوء فلسفات جديدة غيرها. وإذا كان هناك من مفكرين قبل «لاو تزو» و«كونفوشيوس» فإن التاريخ لم يحفظ لهم إلا القليل من الفكر. لذا اعتبرت بداية الفكر الفلسفى والإبداعى فى الصين، مرتبطة بظهور المفكرين «لاو تزو» و«كونفوشيوس» ولهذا يمكن تقسيم الفلسفة الصينية إلى مدارس أو فلسفات متعددة أهمها: أولا الفلسفة «التاوية» أو «الطاوية» المتمثلة بمنشئها ومعلمها

الأول «لاو تزو» . ثانيا الفلسفة الكونفوشيوسية المتمثلة بمنشئها «كونفوشيوس» . ثالثا الفلسفة الموهية مع «مو تزو» ورابعا مدرسة المشرعين. كان لها أثر كبير في الروافد الفكرية الفلسفية للزعيم الصيني ماو تسي تونج، ولعل أكثرها تأثيراً ليس في فكر ماوتسي تونج فحسب ، بل على الشعب الصيني هي الفلسفة الكونفوشيوسية . التي تمثل أهم وأعظم الإبداعات الفكرية الصينية على مدار التاريخ الصيني القديم والمتوسط والحديث، وحتى المعاصر منه ، وإن يكن فى حدود ضيقة . إذ لايزال هذا الفكر الكونفوشيوسي يؤثر بشكل واضح فى الاتجاهات الفكرية المعاصرة مع مراحل التحديث فى الصين وفى جنوب شرقي آسيا، كما لايزال يؤثر عمليًّا فى الحياة اليومية للناس. الأمر الذي يستوجب معه إلقاء الضوء على الفلسفة الكونفوشية التي توصف بأنها مرآة عاكسة لأفكار الشعب الصيني خاصة، وشعوب دول شرق آسيا عامة.

ثانياً : الفكر الصيني والفلسفة الكونفوشيوسية:

جُبِلَ الفكر الصيني منذ نشأته الأولى على التفكير الفلسفي واستخلاص الحكمة. وصار التفكير الصيني الأخلاقي فى اتجاهين متوازيين النظري والعلمي، ولذلك ظلت الأخلاق الصينية من أهم معالم التفكير الصينى قروناً طويلة دون ثمة تغيير يذكر. فالصين دولة تتمتع بأساس أخلاقي عميق وتعد الفلسفة الخلقية أهم وأنجح جزء فى الثقافة الصينية التقليدية. وقد تشكل فى الصين تدريجيا نظام مقاييس الأخلاق الصارم والمحدد الذى توارثته الأجيال المتعاقبة فى التطور التاريخى البطىء للمجتمع الصيني التقليدي. وما كان لحكماء الصين أن يبلغوا مبلغهم المناظر له من الفلسفة العقلية. فبدايات التفكير النظري للصينيين انتجت بدايات موازية لها من الأخلاق النظرية. فلا أخلاق نظرية بغير تفكير نظري سابق عليها أولا. ولقد تجاوز حكماء الصين حدود الأخلاق العملية إلى آفاق الأخلاق النظرية لأنهم شبوا عن الطوق واستقلوا بالرأى والفكر والنظر[1] .

وقد تغذت الثقافة الصينية على مر التاريخ من إبداع الفيلسوف الصيني الشهير

---

١ - عبد العزيز حمدي : التجربة الصينية ، أم القرى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٩٧ ، ص ٢٣ .

«كونفوشيوس» Conficus والذى كان له عظيم الأثر فى الفكر الصينى، ولعب دوراً بارزاً فى تشكيل الهوية الصينية، وظل الفكر الكونفوشيوسى هو المسيطر على الحياة الاجتماعية حتى آخر أسرة إقطاعية حكمت البلاد وهى أسرة «تشينج» Ching [(١)].

تمثل الفلسفة الكونفوشيوسية أهم وأعظم الإبداعات الفكرية الصينية على مدار التاريخ الصيني القديم والمتوسط والحديث ، وحتى المعاصر منه وإن كان فى حدود ضيقة . إذ لايزال هذا الفكر الكونفوشيوسي يؤثر بشكل واضح فى الاتجاهات الفكرية المعاصرة مع مراحل التحديث فى الصين وفى جنوب شرقي آسيا ، كما لايزال يؤثر عمليًّا فى الحياة الاجتماعية .

فالمفكر والفيلسوف الصيني الكبير «كونفوشيوس» هو واضع أسس المدرسة الكونفوشيوسية التى اشتقت تسميتها الواضحة من اسمه . كما أن عدداً من المفكرين اللاحقين له والمتأثرين به ، على امتداد الخمسة والعشرين قرناً الماضية من أمثال المفكر «مونشيوس» المعلم الثانى «للكونفوشيوسية»، والمفكر هسون تزو شاركه أيضا فى بلورة هذه الفلسفة . ويعتبر المفكر «جوشى» من المفكرين الذين جددوا فى الفكر الكونفوشيوسي وأحيوه فى القرن الثانى عشر بعد الميلاد.

يمثل فكر كونفوشيوس ومريديه البعد الثقافى للصينيين على مدار تاريخهم الطويل منذ بداية القرن الخامس ق . م . حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. إذ تعبر الفلسفة الكونفوشيوسية بشكل مباشر أو غير مباشر ، عن الثقافة الصينية بكل أبعادها الفكرية الواعية وغير الواعية بحيث أصبحت الكونفوشيوسية تمثل العامل المؤثر الكبير على كل اتجاهات الفكر والثقافة عند الصينيين ، فضلا عن القسم الأكبر من سكان جنوب شرقي آسيا واليابان.

وترجع سيطرة الفكر الكونفوشيوسى على امتداد التاريخ الصينى، إلى جملة من

١- أسرة تشينج : أصلها قبائل من التتار أطلق عليها اسم «المانشو» «Manchu» وقد حكمت هذه الأسرة الصينية فى الفترة من ١٦٤٤ - ١٩١١ ، انظر: فوزى درويش: مرجع سابق، ص٢٦ .

الأسباب التى ربما أهمها على الإطلاق، هو أن هذا الفكر كان التعبير الواضح عن العقلية الصينية التقليدية النابعة من مؤثرات الواقع الاجتماعى الزراعى القائم على الإنتاج الأسرى ، وقد تميز هذا الإنتاج الأسرى بسيطرة الأساليب الزراعية التقليدية القديمة البسيطة ، وبقوقعة وانغلاق المناطق الزراعية على بعضها البعض، وذلك فى ظل سيطرة نوع من الإقطاع الزراعى القائم على هيمنة الطبقات النبيلة فى البداية ثم على سيطرة طبقة الإداريين فى المراحل اللاحقة .

وواقع الأمر أن الوضع الاجتماعى والاقتصادى فى الصين كان مبنيًّا على أساس مفاهيم العلاقات والتقاليد العشائرية لأسرة «تشو» التى بقيت مسيطرة على الواقع الصينى مدة قاربت حوالى الألف عام . لذلك فإن القناعات الفكرية «الكونفوشيوسية» كانت قد تركزت على مفاهيم التقاليد العشائرية ، وقامت بعقليتها عبر أبحاثها الفكرية المتعددة والمعمقة . وعلى هذا النحو ، أصبح الفكر الكونفوشيوسي المهيمن ، ليس فقط على فكر الصينيين ، بل أيضا على كل تفاصيل حياتهم اليومية ، من خلال التقاليد الإيجابية السابقة ورفضه العادات والتقاليد غير المناسبة ، بحسب المرحلة التى عاش فيها كل مفكر كونفوشيوسي .

ويعد تبنى الملوك والأباطرة بشكل عام ، للفكر الكونفوشيوسي منذ بداية القرن الثانى قبل الميلاد ، سبباً هامًّا آخر لسيطرة هذا الفكر دون أفكار المدارس الأخرى ، إذ دعا الفكر الكونفوشيوسي إلى وحدة الدولة مشبهاً إياها بالأسرة ، وقال بضرورة خضوع الناس لسلطة الحاكم كخضوع أفراد الأسرة لسلطة الأب ، وهذا ما جعل الحكام يجدون فى هذا الفكر سبباً هامًّا لتبنيهم له . وللعمل على نشره بين الناس ، وعلى هذا النحو ، أصبحت الكونفوشيوسية الداعمة الأساسية للتقاليد الصينية ، والمعبرة عن الثقافة الصينية برمتها ، وحظيت فى المقابل بالتأييد الرسمى والتقدير والدعم فى ظل كل الأسر المالكة تقريبا (١) .

ويذكر «أ.توينبى» أنه فى فترة لاتتجاوز المائة والعشرين من السنين - أى مدة

١- ووبن : مرجع سابق، ص١١٧ .

أربعة أجيال أو خمسة ، ظهر خمسة من كبار الحكماء فى «أويكومين» (العالم القديم) (تعبير يقصد به وحدة العالم القديم اكتشاف أمريكا) أكثرهم تأثيراً على الإطلاق العالم كونفوشيوس[1].

تربع كونفوشيوس Confucious على عرش الأيديولوجية الصينية زهاء ألفى سنة ونيف ، وتلفعت الصين «بالوشاح» الكونفوشيوسي ، وتغلغلت تعاليم الكونفوشيوسية وأفكارها داخل نفوس أبناء الأمة الصينية. وأثرت تعاليم كونفوشيوس النظرية على الأجيال، واعتنق أفكاره السواد الأعظم من الشعب الصينى واعتبر تفكيره هو تقليدهم الثوري، وبلغ شدة أعجابهم بآراء كونفوشيوس إلى درجة التمجيد والتبجيل ونقشوا تعاليمه على الحجارة وشيدوا له الهياكل والمعابد، واعتبروا رسالته من رسالات السماء، وهو من الأنبياء ولم يكن كونفوشيوس سوى فيلسوف منحته الطبيعة ذخائر الحكمة والفلسفة.

ويقول الكثيرون إن أفضل طريقة لفهم تفكير الشعب الصينى هو أن تحاول أن تفهم كونفوشيوس وأفكاره . فالكونفوشيوسية هى مرآة تعكس أفكار الشعب الصيني وثقافته وطريقة حياته طوال الأحقاب التاريخية الماضية . ويرى البعض أن كونفوشيوس هو الصين ، وأن الصين صاغت نفسها فى قوالب نظريات كونفوشيوس.

كان كونفوشيوس على اقتناع كامل بالإنسان الفاضل الذى يعمل على إيجاد المجتمع المنظم القائم على الأخلاق الفاضلة. وهو بذلك لم يكن يميز مابين المجال الأخلاقي والآخر السياسي، لأن الناس إذا كانوا صادقين مع أنفسهم وعارفين بالفضائل، فإنهم سيجسدونها فى أفعالهم الاجتماعية . وإذا قام كل إنسان فى المجتمع بتجسيد الفضائل ، فمن المحتم والطبيعى أنه سيكون هناك مجال سياسي فاضل ذو حكم جيد ونظام اجتماعى يؤمن بالسعادة. فالإنسان لا يبدأ التفكير بالانصياع إلى القوانين واحترامها، قبل التفكير فى كيفية احترام القِيَمِ الخُلقية وأداء واجباته تجاهها. ذلك أن من واجباته أن يكون «الأب

١- أرنولد توينبي : تاريخ البشرية ، الجزء الأول ، ترجمة/ نقولا زيادة الدار الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨١، ص ١٧٩ .

الحنون» الابن البار، الأخ الطيب، الأخ الصغير المتواضع، الزوج العادل، الزوجة المطيعة، المسن الكريم، النشء المطيع، الوزير المخلص»[1].

انطلق كونفوشيوس فى رؤيته لإصلاح الأوضاع من فكرة أن المجتمع لا يقوم إلا على الأخلاق الفاضلة ، لأن الأخلاق هي أساس النظام الاجتماعي، ورأى بأن أسباب الفوضى فى المجتمع، راجعة إلى الفوضى الخُلقية وإلى التخلي عن العادات والتقاليد القديمة الفاضلة المحددة للخير والشر أو للصواب والخطأ فاستقرار النظام الاجتماعي والسياسي، لا يقوم إلا على الأخلاق الفاضلة التى يتحلى بها الناس، لأن عن طريقها يأمن اتقاء الشر والقسوة والعنف. وكونفوشيوس لا يريد بذلك العودة فقط إلى القيم الأخلاقية السابقة، بل يتعدى ذلك إلى علاج تلك القيم الأخلاقية وتطويرها، بواسطة المعرفة المعمقة القائمة على البحث عن حقائق الأشياء، وهو النهج نفسه الذى اتبعه الأولون برأيه، عندما نظموا مجتمعاتهم، ولذلك ردد هو ما فعله الأولون من قبله (مستخدماً النهج الاستدلالى القياسي المنطقي المتتابع) فقال «إن القدامى الذين أرادوا أن ينشروا أرق الفضائل فى أنحاء الإمبراطورية، قد بدأوا بتنظيم ولاياتهم أحسن تنظيم، لما أرادوا أسرهم ، بدأوا بتهذيب نفوسهم ، ولما أرادوا أن يهذبوا نفوسهم ، بدأوا بتطهير قلوبهم ، ولما أرادوا أن يطهروا قلوبهم، عملوا أولا على أن يكونوا مخلصين فى تفكيرهم ، ولما أرادوا أن يكونوا مخلصين فى تفكيرهم، بدأوا بتوسيع دائرة معارفهم إلى أبعد حد مستطاع. وهذا التوسع فى المعارف لا يكون ، إلا بالبحث عن حقائق الأشياء. ثم نراه يكمل تسلسله المنطقي بالقول «فلما أن بحثوا عن حقائق الأشياء أصبح علمهم كاملا، ولما كمل علمهم، خلصت أفكارهم ، فلما خلصت أفكارهم ، تطهرت قلوبهم، ولما تطهرت قلوبهم ، تهذبت نفوسهم، ولما تهذبت نفوسهم، انتظمت شؤون أسرهم، ولما انتظمت شؤون أسرهم، صلح حكم ولاياتهم، ولما صلح حكم ولاياتهم أضحت الإمبراطورية كلها هادئة سعيدة[2] .

١- ووبن : مرجع سابق : ص ١٥٠.

٢- ول ديورانت : مرجع سابق ، ص ١٥ .

وعندما يبحث كونفوشيوس في الأوضاع العامة السائدة في بلاده المقطعة الأوصال والمستمرة فى الحروب فيما بينها ، يجد بأن السبب فى ذلك يعود أساسا إلى فساد الحكم الناتج بدوره عن انهيار نظام الأسرة ، وانهيار أخلاق الأفراد وتحكم الشهوات الدنيئة بهم ، لذلك رأى ضرورة تنظيم الأسرة عن طريق المعرفة والإخلاص والقدوة الصالحة والتقيد بالمبادئ والقواعد الأخلاقية.

- ماو تسي تونج وفلسفة كونفوشيوس:

لعل من الأهمية بمكان عرض بعض ملامح الفكر الاجتماعي والسياسي الصيني من خلال فلسفة كونفوشيوس والتى كانت لها آثارها فى تكوين أفكار ماوتسي تونج خاصة ما يتصل منها بمبدأ الطاعة وسلطة ورضاء الشعب ودور الحكام فى الإصلاح وذلك على النحو التالي:

١-مبدأ الطاعة:

أكد كونفوشيوس على أهمية اتباع النظام فى كل الأشياء والأمور، لاسيما أصول المراسم والأخلاق ، باعتبارها المعيار الهام فى حكم الشعب وإدارة شؤون البلاد . فالنظام يتحقق عن طريق احترام الناس للقيم الأخلاقية وليس عن طريق الخوف من عقوبات الحكام ، إذا استخدمنا الأوامر للتوصل إلى الحقيقة (الطريق العظيم) والعقوبات لفرض النظام ، فإن عامة الشعب لا تعرف الحياء والخجل ، ولكن يستخدم الأخلاق للحصول على الطريق العظيم، وآداب المجتمع من أجل أن يعم النظام ، وذلك حتى يعرف الناس الحياء والسلوك الحسن» (١).

وكان يرى أن السياسة الحكيمة هى التى تقوم على الأخلاق ، وأن أي نظام سياسي أو اجتماعي مستقر لا يتحقق إلا إذا كان الأفراد الخاضعون له متحلين بالأخلاق الفاضلة ، فإذا وصلت الأخلاق لدى الحكام والأفراد إلى حد الكمال فإنها تقوم مقام

١- ووبن : مرجع سابق ، ص ١٢١ .

القانون ، وكان هذا هو الأساس فى أن يمقت الكونفوشيوسيون التشريعات والقوة كأساس للحكم السياسي[١].

والملاحظ أن كونفوشيوس «والفلاسفة الكونفوشيوسيين» اهتموا بوضع أسس النظام الأخلاقى Ethical system وكتبوا الكثير من الكتب السياسية التى تتعلق بالعلاقة بين الحكام ووظائفهم ، وقد عبر الزعيم الصيني «ماو» عن ذلك بقوله : «إن الأخلاق للسياسيين تأخذ من فلسفة كونفوشيوس»[٢] .

٢-السلطة وإرضاء الشعب:

عرف كونفوشيوس الحكومة الصالحة بأنها: الحكومة التى تعمل على إسعاد رعيتها وأكد أهمية حق المواطنة المستنيرة Enlightened Citizency واعتبرها ركناً أساسياً وضروريًّا للدولة. ونفى أن يكون العقاب رادعاً فعالاً لمنع حدوث الجريمة ، وارتأى أن الالتزام الأخلاقي يأتي في مرتبة متقدمة على القوانين والقرارات الحكومية فى تهذيب أخلاق الشعب وتثبيت دعائم الاستقرار فى البلاد ، ويقول فى هذا الخصوص: إن قيادة الشعب بالقرارات الحكومية والقوانين، وتأديبه بالعقوبات يجعله يكبح جماح نفسه قط، ولا يعرف أن ارتكاب الجريمة عار وخزي. أما قيادته بالأخلاق وتهذيبه بالطقوس الرسمية يجعله يعرف أن الأعمال الشريرة شائنة ومخزية[٣].

وأكد كونفوشيوس ، فى أكثر من مناسبة ، على أن وجود الحاكم فى السلطة أمر مرتبط بإرادة الناس، وكأني به يقول بأن الشعب هو مصدر السلطة، لأنه كان يربط دائما وجود الحاكم بشرط استماعه إلى الناس وبضرورة حيازته ثقتهم.

ويقول كونفوشيوس بأن أول واجبات الحكام هو تأمين الغذاء للناس وذلك قبل

١- عزة جلال هاشم : الثقافة الصينية ، مجلة السياسة الدولية عدد ١٣٢، إبريل ، القاهرة ١٩٩٨ ، ص ٨١.

٢- Norriss Robert : World Regional Geography.New York. 1990. p.96.

٣- عبد العزيز حمدى عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٣٣ .

العمل على تعليمهم الفضائل السلوكية وآداب السلوك ، إذ أن واجب الحكام للناس هو «العمل على تحسين أحوالهم المادية ، ثم يتلو ذلك تثقيفهم» ويحذر الحكام من الظلم لأن الناس تنفر من الظلم أكثر مما تنفر من الوحوش الكاسرة . وردد بأنه إذا كانت الحكومات ظالمة ، فإن الناس يئنون ويفضلون العيش فى الغابات. وأن سبب بقائها فى مناطق وعرة من الجبال بالرغم من قتل النمور لعدد من أقاربها ومنهم زوجها وابنها، وأن الناس تفضل العيش فى هذا المكان الخطر لأنه ليس فى هذا المكان حكومة ظالمة ، قال «كونفوشيوس» أى أبنائى اذكروا قولى هذا ، إن الحكومة الظالمة أشد وحشية من النمور»[١].

وظل كونفوشيوس طوال حياته يحدوه الأمل فى تحقيق الحكم عن طريق الفضيلة أو الخير ، وليس عن طريق القوانين واللوائح الرسمية ، وفى عبارة أخرى ، أنه كان يسعى إلى تأسيس اليوطوبيا المثالية داخل النظام الحكومى الذى يقع على عاتقه مهمة التأكد من وجود الوفرة المادية والروحية للشعب، وأن الناس يتصرفون على نحو أخلاقى وذلك لكى يتحقق السلام. والسلام فى أرجاء أمة بعينها ، والسلام بين الأمم المتجاورة، يعتمدان على عدد كبير من العناصر مثل وجود ما يكفى لإقامة كل الناس، ومكان لإيوائهم ، والحماية من الأمراض والتعبير عن النفس... إلخ، وهى عناصر قد يمكن اختزالها إلى عناصر الكفاية المادية والروحية ، فالثروة المادية الكافية والوسائل المناسبة والفرصة المتاحة للنمو الروحى، والتعبير(الفن، التعليم، الدين.... إلخ) هى شروط ضرورية للسلام(وإن لم تكن كافية) . وقد تمس الحاجة كذلك إلى الأخلاق التى تشمل كل شيء لتنظيم التنافس وللحيلولة دون نشوب النزاع والصراع»[٢].

ومن الجَلِيِّ أن مفهوم كونفوشيوس عن الحكم هو مفهوم أخلاقى، فعندما يتصرف

١- ول ديورانت : مرجع سابق ، ص ٤٥ .

٢- جون كولر: «الفكر الشرقى القديم» ، ترجمة/ كامل يوسف ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد رقم ١٩٩ ، عام ١٩٩٥ ، ص٣٥٨ - ٣٥٩.

كل الأفراد على نحو أخلاقي في علاقاتهم مع الأشخاص الآخرين، لن تكون هناك مشكلات اجتماعية، وهذا هو السر فى أن كونفوشيوس يمكنه القول بأنه لتحقيق السلام العالمي فإنه من الضروري - وهذا يكفي - إعادة النشاط إلى قلب المرء، ورعاية حياته الشخصية، وتنظيم حياته العائلية على نحو سليم، ويريد كونفوشيوس أن يرسم الطريق إلى السلام العالمى، فكيف يرسمه، إنه لا يلجأ إلى نظريات السياسة والاجتماع، بل استمع إليه فى ذلك يقول: «... إنه إذا ما تهذبت حياة الإنسان الشخصية استقامت حياة الأسرة، إذا ما استقامت حياة الأسرة استقامت حياة الأمة، وإذا ما استقامت حياة الأمة ساد السلام فى العالم ، فينبغي لنا - من الحاكم فنازلا إلى سواد الناس - أن نجعل تهذيب الحياة الفردية الشخصية بمثابة الجذر أو الأساس، فيستحيل على فروع الشجرة أو الطوابق العليا فى البناء أن يستقيم لها كيان إذا دبت الفوضى فى جذور الشجرة أو فى أساس البناء، فلم تشهد الطبيعة كلها بعد شجرة استرق جذعها وأخذ منه النحول، ثم جاءت فروعها العليا سميكة ثقيلة ، وهذا هو ما أسميه «معرفة الأشياء من جذورها»[١].

وحينما سئل كونفوشيوس عن ضروريات السياسة قال «ضروريات السياسة الأقوات الوافية وذخائر الحرب الكافية وثقة الرعية، ولو اضطررت لحذف شيء من هذه الأشياء فمن الجائز حذف الأقوات وذخائر الحرب ولكن السياسة لا تقوم إلا بثقة الرعية» [٢]. وبالتالى فقد أولى اهتماماً بالغاً بالثقة المتبادلة بين الحكام والشعب.

٣-دور الحكام فى الإصلاح :

لم يفرق كونفوشيوس كثيراً ما بين النظام الاجتماعي والنظام السياسي لأنه رأى فيهما وحدة متكاملة تقوم على إصلاح القيم الخلقية عند الفرد أى عند الإنسان العادي،

١- زكى نجيب محمود : «الشرق الفنان» ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٦، ص ٣٤ .

٢- عبد الكريم أحمد : القومية والمذاهب السياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٠، ص ٣٣٦.

وعند الموظف الإدارى كما عند الحاكم فى أعلى السلطة فإذا اصلح الإنسان، صلحت الأسرة ، وبصلاحهما، يصطلح المجتمع تلقائيا. ففساد الحكم والإدارة ليس مرده فقط فساد الحاكم ، بل أيضا فساد الإنسان العادى وفساد الأسرة، إنما يستوجب بالمقابل على الحاكم ، لما لمركزه من أهمية فى تحقيق الإصلاح ، وأن يعمل على تنظيم الأوضاع بشكلها الأمثل لذلك كان كونفوشيوس يؤكد دائما على أهمية دور الحكام فى تنقية المجتمع مما حل به من فساد وفوضى ،عبر إيجاد النظم الأخلاقية الموجهة للحكام وللأفراد معا ، وهذا ما لا يتم إلا من خلال الإحياء المتجدد الواعى والتقاليد للقيم الأخلاقية القديمة، ومن خلال التقيد أيضا بالأعراف والعادات والتقاليد، لاسيما منها تلك المتعلقة بتنظيم الأسرة.

والجدير بالذكر أن كونفوشيوس أكد على ضرورة العمل على نشر التعليم العام لأنه يساهم فى تطوير الإنسان ، دون ثمَّة تمييز، وأدخل كونفوشيوس مفاهيم تربوية جديدة غيرت كثيرا من مهمة التربية التقليدية التي انحصر هدفها في تدريب التلاميذ على فنون القيام بأعمال تقليدية معينة. ولكن التربية – فى نظر كونفوشيوس – هى تحقيق الهدف الأسمى والأعلى بكل ما تحمل الكلمة من «التطور والتثقيف عقليا وأخلاقيا لتوسيع المدارك وتقويتها وتنظيمها». والغاية من التدريس لدى كونفوشيوس ، هى تنمية ملكات الفرد الذهنية وتثقيف عقله ، وتوسيع مداركه...

أما الهدف النهائى من وراء ذلك كله، فهو تخريج موظف فى الدولة على أساس أن هذا الموظف المثقف، يستطيع أن يؤدى دورا ديناميكيا فى الحكومة التى يلتحق بها بإخضاعه الإدارة الحكومية لاحتياجات الشعب. ومن ثم فإن دور الفرد المثقف فى المجتمع، ليس دورا سلبيا، وإنما هو إيجابى ، فالفرد كائن اجتماعى، يقع عليه عبء هداية المجتمع للصواب ، وحمله على السير فى الاتجاه السليم، وهذا المفهوم ، وهو مفهوم ثورى، ويعبر عن الطابع النضالى للفرد المثقف فى الفكر الكونفوشيوسى» [1] . ولذلك ، وصى

١- محمد نعمان جلال : «الخصائص الأيدلوجية للمجتمع الصينى قبل ماو» ، مجلة (السياسة الدولية) العدد رقم ٤٧ ، يناير ١٩٧٧ ، ص ٢٢٦.

كونفوشيوس على إعداد تلاميذه إعدادا جيدا لهذا العمل وأن ينطلقوا فى أرجاء العالم ويكافحوا من أجل نشر مبادئه وتعاليمه.

وأسس كونفوشيوس أول مدرسة خاصة فى تاريخ الصين كرست اهتماما للدراسات العليا، وانضم إليها الكثير من الطلاب على اختلاف ألوانهم ومشاربهم وبصرف النظر عن الطبقات الاجتماعية التي ينتمون إليها، وبغض النظر عن فقرهم أو ثرائهم ، ولكن كان معيار هذه المدرسة القدرات العقلية والفكرية لدى الطلاب حتى يستطيعوا تحقيق الهدف الأسمى من تعاليم كونفوشيوس ونظرياته فى إصلاح المجتمع والعالم، والمواد التى كان يدرسها كونفوشيوس هي: «التاريخ والشعر وآداب اللياقة» . وكان - مثل بوذا - حاول أن يتجنب الجدال مع المدرسين الآخرين، انطلاقا من رأيه : «فنبرز اتفاق وجهات نظرنا بدلا من مناقشة أوجه الخلاف بيننا. وكل ما يراه الجميع متشابها هو الصواب على الأرجح».

ولعبت المدرسة الكونفوشيوسية دوراً بارزاً فى الإعلاء من شأن المثقفين ومكانتهم وتكوين طبقة من المثقفين كان لها شأن كبير فى الحضارة الصينية وفى المجتمع الصيني واستعان بها الأباطرة الصينيون فى حكم البلاد.

والواقع أن الدور السياسى والاجتماعي للكونفوشيوسية كان شديد الوضوح فإذا كانت الديانة قوة محافظة بشكل عام، فقد كانت بالنسبة للصين ديانة محافظة بشكل مضاعف، حيث ركزت كل اهتمامها على مراعاة التقاليد فى علاقات الدين بوظائف الدولة الإقطاعية[١]، ونظرت إلى المحافظة على القديم ومقاومة التغيير، وذلك بعكس ما نادي به «ماو» أثناء الثورة الثقافية[٢].

والواضح مما سبق أن الفكر الاجتماعى الصينى قبل الزعيم الصيني ماوتسي تونج اصطبغ بفلسفة كونفوشيوس التي تعد فلسفة اجتماعية إنسانية ، تدور حول البشر

١- سيرجى توكاريف : تاريخ الأديان فى شعوب العالم ، ترجمة الأهالى للترجمة والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٩٨ ، ص ٢٧٤ .

٢- Norriss Robert : op.cit.p.496.

ومجتمعهم ، وليس حول الطبيعة أو معرفة الميتافيزيقا، وتؤكد فى المقام الأول - على سيادة القيم الإنسانية فى المجتمع قاطبة، والنزعة الإنسانية فى رأيه مطلقة ولا يوجد شيء أسمى من البشر مصدرا للمبادئ الإنسانية ، ويجب على البشر أن يفحصوا أنفسهم جيدا ويتطلعوا إلى إنسانيتهم التى تعد بمثابة مصدر المبادئ التى تحقق الخير والسعادة.

كما عبرت الكونفوشيوسية عن إرهاصات الفكر الصينى وعن بدائية هذا الفكر ومفاهيمه القائمة على سيادة الفضيلة والمحبة، باعتبارهما أساس المجتمع الصالح، وظل كونفوشيوس واحدا من قلائل الحكماء الذين طبعوا البشرية بطابعهم، وأثروا فى الفكر الإنسانى تأثيرا سيظل أبد الدهر.ولعل هذا ما يجعلنا نحاول تحليل الاتجاهات الفكرية للزعيم ماوتسى تونج التى اصطبغت بالعديد من المبادئ الكونفوشيوسية.

الفصل الثالث

نشأة ماوتسى تونج واتجاهاته الفكرية

أولا: نشأته وبيئته:

تعد البيئة والوراثة والمناخ وأنظمة الحكم والتعليم والثروة كلها عوامل مؤثرة فى تكوين شخصية الإنسان العادى ، ومن باب أولى فى التأثير على تكوين العبقرية التى يتميز صاحبها منذ بدء إدراكه بمعالم معينة تلفت إليه الأنظار، وتلعب البيئة دورها فى تكوين شخصيته فهى التى تحدد معالمه وترسم له الطريق فينمو عنصرا مؤثرا فى المجتمع تارة ومتأثرا به تارة أخرى .

وقد ولد ماوتسى تونج يوم ٢٦ من ديسمبر سنة ١٨٩٢م بقرية شاوشان وهى قرية صغيرة تتبع مركز سيانج بمقاطعة هونان الصينية.

وبالنظر إلى موطن ولادة «ماو» يلاحظ أنه رغما عن خصوبة أرض الإقليم وثراء مصادرها المعدنية ، عَمَّ الفقر على سكانه، ولأهمية الموقع الاستراتيجي ، غدا ميدانا للمعارك الطاحنة بين الحكومة وخصومها، وبين القادة العسكريين المتنابذين بعضهم بعضا ، كما حلت به طائفة من الكوارث الطبيعية خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر، فلابد أن تبث الظروف القاسية التى كابدها الإقليم فى نفوس أهله ، روح الصبر على المكاره والاستهانة بالمشاق ، والاستجابة لتحدى الأزمات والكوارث [١].

وكان «ماوشون - شينج» والد «ماوتسى - تونج» فلاحا فارع الطول متين البنيان، لكنه فقير تثقله الديون، مما دفعه للالتحاق بالجيش فرارا من دائنيه ، ولم يطل به المقام

١- كلودروا : حياة ماوتسى تونج ، ترجمة / ظريف عبد الله ، المؤسسة القومية للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٥٠، ص ١٥ .

بالجيش طويلا، إذ عاد إلى قريته بعد عام واحد ليشتغل بتجارة الأرز والخنازير، وأمكنه اقتصاد مبلغ مالي اشترى به فدانين ونصف فدان ، وبفضل قوة شخصيته ومثابرته ، استطاع تحسين أحواله المالية. وتزوج السيدة «ون تشي - بى» من مدينة «هسيانج تان» المجاورة لقريته ، وكانت سيدة تتصف بدماثة الخلق وطيبة النفس ، وأنجب منها ثلاثة أبناء وبنتا واحدة، وكان «ماوتسي تونج» أكبر أبنائه، وبفضل كفاح الأسرة، استطاعت أن تقتنى فدانا آخر، وأن تقتصد رأس مال نقديا تعادل قيمته ثلاثة مائة جنيه إسترلينى [١].

وبدأ «ماو» يعمل فى حقل والده منذ بلوغه سن الخامسة، وأرسله والده بعد عامين إلى مدرس يعلمه القراءة والكتابة ، ورغما عن عكوفه على القراءة وانكبابه غير العادي على الاطلاع، استمر يساعد والده فى الحقل وتربية الماشية، وتزوج وهو فى الرابعة عشرة بفتاة تكبره بأربعة أعوام ، لكنه افترق عنها بعد فترة قصيرة. ثم التحق وهو فى السابعة عشرة بمدرسة ابتدائية وفيها ألم بالمأثورات الصينية القديمة وبالتاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية، لكن استهوته بالذات سير أبطال الغرب من أمثال: واشنجتون ونابليون وبطرس الأكبر وولينجتون وجلادستون ووجه عناية خاصة لدراسة أعمال رواد الإصلاح الصينيين من أمثال: «تشينج كيوان - ينج» و «كانج يو - وي» و«اليانج تشي - تشاو». وبثت آراؤهم فى نفسه روحاً وطنية دفاقة. والتحق عام ١٩١١م، بمدرسة «تشانجشا» المتوسطة. وشاهد فى هذه المدينة أول ثورة صينية نشبت في القرن العشرين وشارك فيها وكان وقتذاك فى الثامنة عشرة.

ويشير الصيني (توشنغ ون شيان) إلى أن ماوتسي تونج فى مرحلة الشباب درس كلا من الثقافة الإقطاعية الصينية التى كانت تدعى حينذاك «التعليم القديم» وثقافة الديمقراطية البرجوازية الغربية وهي تدعى «التعليم الجديد» وقد تأثر بنسب مختلفة بكل من كتابات «كونفوشيوس» و«صن يات صن» «وتولستوى وكروبتو تكين» وفلسفة كنت وفلسفة هيجل الجديدتين، مما أسهم فى تطوير تفكيره المبكر [٢].

١- فؤاد محمد شبل : مرجع سابق ، ص ١٩٧ .

٢- تشونج ون شيان : ماوتسى تونج ، دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين ١٩٨٩ ، ص ١ .

وفى أكتوبر سنة ١٩١٣ التحق بالفصل الخامس بمدرسة تدريب المدرسين وأثارت أبحاثه إعجاب أساتذته وزملائه لبلاغتها وجمال تنسيقها ووضوح عبارتها ، فكانت موضع فخار المدرسة وإعزازها ، وعرف «ماو» بين زملائه ومدرسيه بغرامه الشديد بالاطلاع على المراجع التاريخية والجغرافية والفلسفية وبقدرته العجيبة على استيعاب ما يقرأه ، لكنه لم يتفوق فى دراسة الرياضيات واللغات. ومنحته المدرسة عند التحاقه بها – مثل بقية زملائه- بذلة سوداء ذات زنار ظل يرتديها عدة سنوات إلى أن بليت وذوى لونها. وعلى الرغم من ملابسه الرثة ومظاهر فقره المدقع ، انتخبه أربعمائة من زملائه فى يونيه ١٩١٧م، من ضمن أربعة وثلاثين طالبا مثاليا، وذلك لسعة اطلاعه وأخلاقه وتحفظه وشجاعته وتفانيه فى عون الآخرين وتعففه عن الخوض في حياة زملائه الخاصة.

وكانت جمعية «تقدم النزعة الفطرية» هي مقر «ماو» وأصدقائه خلال عام ١٩١٣ م ، ثم أطلق عليها اسم «جمعية التثقيف الذاتى» منذ عام ١٩١٤م، ولما اختير «ماو» رئيسا لها عام ١٩١٥م أطلق عليها جمعية الطلبة وظل رئيسا لها إلى أن تخرج عام ١٩١٨م من مدرسة تدريب المعلمين.

وفى ١٨ أبريل عام ١٩١٩م، أسس «ماو» جمعية المواطنين الجديدة وكان قوامها ثلاثة عشر عضوا، وهدفت للعمل على بناء الوطن عن طريق تدريب أعضاء الجمعية ليصبحوا مواطنين صالحين يتولون بدورهم تدريب غيرهم . وبهذا يتوافر للوطن على طول المدى مواطنون أخيار يعملون فى سبيل رفعته ، واتسع نطاق الجمعية حتى بلغ عدد أعضائها بنهاية عام ١٩١٩م حوالى الثمانين، سافر معظمهم إلى فرنسا للتزود من المعارف الغربية، ولتدبير معاشه، اشتغل «ماو» بتحرير الوثائق للفلاحين، مقابل أجر زهيد أو وجبة طعام[١].

واتصل «ماو» فى بكين بطائفة من العلماء كان منهم «لى تا- تشاو» أستاذ الاقتصاد السياسى بجامعة بكين ،وأمين مكتبتها ، و«تشين تو –هسيو» رئيس تحرير مجلة الشباب

١- Mao tes – Tung : Selected works . Vol. 1. foreign languages press. peking 1963. p.19.

وعميد كلية الآداب، وبفضل هذا الاتصال الشخصي عين ماو بوظيفة مساعد للأمين بمرتب شهري يعادل الستة عشر شلناً إنجليزيًّا، ويذكر «ماو» فى مذكراته أن وظيفته كانت من الحقارة بحيث تجنبه الناس، ولضآلة مرتبه، أقام بغرفة واحدة مع سبعة أفراد آخرين، لكن يسرت له إقامته بالمكتبة إشباع نهمه للاطلاع على المؤلفات المتصلة بالسياسات الدولية والقومية، موليا اهتماما خاصا لآراء باكونين وكروبتكين وتولوستوى.

وفى مارس سنة ١٩١٩م ، عاد إلى مدينة تشانجشا عاصمة إقليم هونان ليشغل منصب مدرس بمدرستها الابتدائية ، وفى تلك المدينة ألقى محاضرة عن «الماركسية والثورة» وماتت والدته فى هذا الوقت فرثاها بمقال يفيض حزنا وأسى وذكر فيه «الحب والحنان أعظم فضائل أمي». وفى سنة ١٩٢٠م ، تزوج فتاة اختارها بنفسه على عكس التقاليد والعادات القائمة فى البلاد التى تقضي بأن يتزوج الشاب فتاة يختارها له أبوه.

وفي أثناء ذلك انبعثت فى أنحاء الصين ،بعد ما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها وعقب نجاح ثورة أكتوبر ١٩١٧ م الروسية منظمات تهدف جميعها لتخليص البلاد مما ترزح تحته من تخلف سياسي واقتصادي واجتماعي رهيب. وفى طليعة تلك المنظمات «جماعة العشرة» إذ كان قوام عضوية الجماعة عشرة أعضاء، وبلغ عدد المنظمات فى يوليو ١٩١٩م أربعمائة جماعة، كونت اتحادا فيما بينها، وانتُخب «ماو» عضوا بلجنة الاتحاد التنفيذية، واتجهت أغراض الجماعة لمناهضة الآراء الكونفوشيوسية إذ اعتبرتها مسؤولة عن تخلف المجتمع الصيني، والعمل على تشييد قواعد الديمقراطية والعلم، وتمجيد الآراء الماركسية[1].

وأصبح «ماو» رئيس تحرير صحيفة «هيسانج» الأسبوعية التى ظهر أول أعدادها فى ١٤ من يوليو سنة ١٩١٩م، وتراوحت كمية المطبوع من كل عدد بين أربعة آلاف وخمسة آلاف نسخة، لكن أغلقتها حكومة هونان بعد صدور خمسة أعداد، وحرر «ماو» فى هذه الأعداد مقالات انتقد فيها ساسة الدول الغربية وفى مقدمتهم «كليمنصو الفرنسى» و«لويد جورج الإنجليزي» و «ويلسون الأمريكي»، ونادى بإنشاء اتحاد الجمهوريات

١- Ibid : p.p.22-23.

الشيوعية باعتباره الحل الوحيد لمشكلات أوربا الوسطى، وانتقد انغمار ساسة بلاده فى المنازعات الشخصية وأهاب بمواطنيه التزود بأعظم قسط ممكن من معارف الغرب وعلومه.

بيد أن سلسلة مقالاته عن «اتحاد الشعب الأعظم» أهم ما نشره فى أوائل عهده بالكتابة، وتستند فكرته على أن اتحاد الشعب هو العامل الأوحد فى انتصار انتفاضاته ضد الظلم والتخلف، واعتبر تنظيم صفوف الشعب مفتاح الاتحاد وخلص من فكرته إلى إظهار ضرورة تنظيم أفراد الشعب وفقا لمراتبهم الاجتماعية وطبقاتهم ، وأبدى عناية خاصة بتنظيمات الفلاحين والعمال ولم يقنط «ماو» من إبلاغ آرائه إلى الرأي العام بعد إغلاق حكومة هونان صحيفته. إذ انتقل لرئاسة تحرير صحيفة «هونان الجديدة» الأسبوعية[١].

وحدد «ماو» منهاج عمله فى الصحيفة في نقاط هي: النقد الاجتماعي، إعادة التقويم الفكرى، اعتناق الأفكار الجديدة، مناقشة المشكلات المعاصرة. لكن عمدت حكومة هونان إلى إغلاق هذه الصحيفة بعد صدور ثلاثة أعداد فى عهد «ماو» واتجه عقب إلغاء صحيفته، لتنظيم بحث ودراسة الموضوعات الثقافية العالمية والقومية. وقاد «ماو» حركة احتجاجات طلبة إقليم هونان ضد الحاكم الظالم «تشانج تشينج- ياو» الذي كان على رأس القادة العسكريين الإقطاعيين وفي طليعة المتشيعين لليابان. وقصد «ماو» بكين بحركته لإقصاء هذا الحاكم الظالم عن منصبه. وفي العاصمة اطلع على كتاب تاريخ الاشتراكية من تأليف «كيركوب Kirkupp» وعلى البيان الشيوعي وكتاب كوتسكي عن الصراع الطبقي وكتاب إنجلز عن الاشتراكية العلمية والخيالية، فكان أن اتسع أفقه الفكري عن قضايا البحث الاشتراكي، فاندفع لاعتناق الشيوعية.

وسافر إلى شنغهاى حيث واجهته ظروف شاقة للغاية، فاضطر ليعمل غسالا فتذوق للمرة الأولى حياة عامل المدينة البائسة، ولبث بشنغهاى فترة قصيرة ثم عاد إلى مدينة تشانجشا بعد ما تم إقصاء حاكم هونان «تشانج تشينج -ياو» عقب هزيمته فى الحروب

١- كلودروا : مرجع سابق ، ص ٢.

التى نشبت بين القادة العسكريين المتنابذين.

وشغل ماو منذ عودته منصب مدير القسم الابتدائى فى مدرسة تدريب المعلمين وظل يشغله حتى شتاء عام ١٩٢٢ م. ولم يكن هذا المنصب ليرضى طموحه وإن هيأ له الاستقرار المالى. إذ تاق للدراسات السياسية ولتوجيه نشاطه ومواهبه للعمل السياسى القومى[(١)].

وفى أول ديسمبر سنة ١٩٢٠م، أدلى برأيه فى النزاع الذى نشب بين المثقفين الصينيين حول الاختيار بين المنهاج الثورى مثلما فعلت روسيا واعتناق فكرة توعية الشعب عن طريق التثقيف والتعليم ، فكان من رأى «ماو» أن التثقيف لا يعتبر بديلا للثورة وأنه يتطلب التوسع فى إنشاء المدارس والصحف، مما يقتضى إنفاق أموال طائلة لا تتاح للشعب بسبب هيمنة حفنة من الرأسماليين الوطنيين والمستغلين الأجانب على البنوك والمصانع، وتسيطر هذه الحفنة على الجيش والبوليس مما يمكنها من قمع الحركات التى تهدد مصالحها . ومن ثم يقتضى الحال - فى رأى ماو - القبض على مقاليد السلطة عن طريق الثورة لتحقيق الاشتراكية ، وفى ظلها يتمكن الشعب من رفع مستواه المادى والمعنوى، وانتقد «ماو» محاضرة «برتراند راسل» التى ألقاها فى تشانجشا فى أكتوبر سنة١٩٢٠م، والتي أعرب فيها - أى راسل - عن اعتقاده بإمكان تحقيق أهداف الشيوعية، بدون الالتجاء إلى الحرب واستخدام القوة وتطبيق ديكتاتورية البروليتاريا أو غيرها من وسائل الإرغام التى تدمر حرية الأفراد.

وأبدى «ماو» اهتماما باقتراح «تساى هو - سين» بتنظيم حزب شيوعى صينى ، ومضى قدماً فى السعى لضم أعضاء للحزب وتوفير الأموال لتمويله ، وتجلت الخطوة الأولى فى إقامة دار لبيع الكتب بلغ رأسمالها فى بداية الأمر مايعادل الأربعين جنيها إسترلينيا زيدت إلى مائة جنيه بعد ذلك ، وأطلق عليها «مكتبة الثقافة» وبدأت عملية توزيع الكتب الثقافية فى تشانجشا عاصمة إقليم هونان ، ولم يمض سوى بضعة شهور حتى اتسعت أعمال الشركة فافتتحت سبعة فروع فى مدن أخرى بالإقليم ، وانصبت

١- Mao tes – Tung : op. cit. p. 26-27.

عملية التوزيع على مائتى كتاب من ضمنها ، مقدمة لرأس المال (لكارل ماركس) وتاريخ الإشتراكية ، ودراسة لروسيا الجديدة ، والنظام السوفيتى والصينى ، وجميعها مترجم إلى الصينية ، واستخدمت أرباح الدار فى تزويد منظمات الشباب الاشتراكى بالأموال ، ثم خصصتها لتمويل نشاط الحزب الشيوعى الصينى .

وفى أغسطس سنة ١٩٢٠م أسهم «ماو» بنصيب موفور فى إنشاء جماعة صغيرة تعنى بدراسة الموضوعات الروسية ، ورتبت رحلات للاتحاد السوفيتى للاطلاع على أوضاعه فى ظل نظامه الشيوعى الجديد ، وتكونت الدفعة الأولى من ثلاثة أفراد كان من بينهم «ليو شاو – تشى» ثم اشترك «ماو» بعد ذلك مع آخرين فى تكوين جماعة مركزها مدينة «تشانجشا» لدراسة الماركسية، وعقدت اجتماعاتها بالمدرسة الابتدائية أو بمدرسة تدريب المدرسين ، وكان «ماو» مدير الأولى ورئيس مجلس إدارة الثانية ، وجدير بالذكر أنه تألفت جماعات لدراسة الماركسية بمدن صينية أخرى أهمها بكين ، وشنغهاى وشرعت جماعة شنغهاى فى إصدار صحيفة شهرية تحت عنوان «الحزب الشيوعى» وتضمن العدد الأول – وصدر فى نوفمبر ١٩٢٠م – أبحاثا عن تاريخ الحزب البلشفى ، وعن حياة لينين ونظريته عن الدولة والثورة ، وعن أوجه نشاط الدولية الاشتراكية الثالثة.

وتألفت فى شنغهاى عام ١٩٢٠م ، أولى خلايا الحزب الشيوعى وأطلقت على نفسها «الجماعة الشيوعية» وتلا هذا تأليف خلية ببكين وأخرى بمدينة تشانجشا تحت زعامة «ماوتسى – تونج» .وفى أواخر عام ١٩٢٠م انهمك ماو فى تكوين جماعات الشباب الشيوعى فى تشانجشا ، وتألفت الشبيبة الشيوعية من معتنقى الاشتراكية بالمدارس المختلفة ، وكان أعضاؤها يجتمعون أيام الآحاد لمناقشة المذاهب السياسية أو تطورات أحوال بلادهم ، ولم يكن التطور الاشتراكى بمدينة تشانجشا تحت زعامة «ماو» ظاهرة منعزلة ، فلقد انبعثت المنظمات الاشتراكية فى أنحاء أخرى من الصين خاضعة لتوجيهات الحزب الشيوعى الصينى الذى تألف أول يولية سنة ١٩٢١م. وحقيقة الأمر أن الحزب تأسس على يد أساتذة من جامعة بكين مثل «لى تاتشاو Li Tachaw» و«شيان توهسيو shian Tohsiu» وغيرهما ، وكان «ماوتسى تونج» ، آنذاك قائد مجموعة حزبية صغيرة ،

وشارك بنفسه فى المؤتمر الأول للحزب .

وبحلول عام ١٩٢١م ،عقد أول مؤتمر لتأسيس الحزب الشيوعى الصينى فى شنغهاى بمساعدة مبعوث من موسكو ، وضم هذا المؤتمر اثنى عشر نائباً عن خمسين عضواً مشتركين فى الحزب ، ونظم الحزب إداريا فانتخب أمينًا عامًّا للحزب وهيئة مركزية [١] .

وبدأ الحزب الشيوعى الصينى فى تنظيم الطبقة العاملة ، وذلك فى ظل الصراعات الموجودة فى البلاد المتمثلة فى النزاع بين أمراء الحرب ، ومع انعقاد المؤتمر الأول للحزب فى عام ١٩٢١م ، كان الحزب فى طريقه لأن يصبح القوة الفكرية القيادية فى صفوف العمال ، وقد كان الحزب والعمال فى حاجة ماسة الى برنامج كفاح يحدد وينظم نضالاتهم ويستنهض كل قطاعات الشعب ، وبالفعل عقد الحزب مؤتمره الوطنى الثانى فى شنغهاى فى يوليو ١٩٢٢م ، وأصدر المؤتمر نداء كفاحيّا للشعب الصينى يحث على النضال ضد الاستعمار والإقطاع ، وكان هذا أول نداء من نوعه فى تاريخ الصين ، وقدم المؤتمر دفعة قوية لحركات الإضراب عن العمل بين العمال.

وشهدت البلاد اضطرابات عديدة فى الشهور الباقية من سنة ١٩٢٢م ، فى جميع أنحاء البلاد فقد طالب العمال بأجور تناسب الآدميين ، ولم يكن المجال الرئيسى للصراع موجوداً فى الصناعات الخفيفة بل كان موجوداً أيضا فى الصناعات الثقيلة كالسكك الحديدية والنقل والمواصلات والمناجم ، وفى هذه الصناعات كانت مصالح الاستعمار متداخلة تداخلا وثيقا مع أمراء الحرب، كما أن الطبقة العاملة تستطيع الحصول على تأييد الأقسام الأخرى من السكان التى تعانى أيضا من سيطرة رؤوس الأموال الأجنبية .

ونظراً لأن الحزب الشيوعى فى بادئ الأمر لم يكن لديه الأعداد الكافية لتنفيذ هدفه المتمثل فى بعث المجتمع الاشتراكى الشيوعى ، لجأ قادة الحزب إلى الدكتور «صن يات صن» الذى أظهر تأييده للثورة الروسية ، فى محاولة لاتحاد الحزب الشيوعى وحزب

١ - W. E. Soothill : A History of China. London. 1999.p.87.

الكومنتانج تحت قيادة الدكتور «صن» بهدف خلق جبهة متحدة ، لإنهاء حالة الصراع بين أمراء الحرب فى الصين هذا من ناحية

ومن ناحية أخرى وضع حدًّا لتلك الانتهازات الاقتصادية من جانب الدول الاستعمارية لخيرات الصين [(١)] .

وبالفعل وفى كانتون سنة ١٩٢٤م ، عقد المؤتمر الوطنى الأول للجبهة الوطنية الموحدة تحت لواء حزب الكومنتانج ، وعرض الدكتور «صن يات صن» البرنامج السياسى للتآلف الجديد والذى تضمن عدة مبادئ رئيسية هى التحالف مع روسيا والحزب الشيوعى وتأييد حركة العمال والفلاحين ، كما دعا إلى الاشتراكية والتى تتمثل فى مبدأ الأرض لمن يفلحها وتأميم الاحتكارات الرأسمالية ، هذا بالإضافة إلى البرنامج السياسى لتحرير الصين من كل أشكال السيطرة الاستعمارية والمساواة الكاملة بين الأقليات داخل الصين وفى نهاية المؤتمر انتخب الدكتور «صن يات صن» رئيساً لجمهورية الصين ، وعاصمتها كانتون ، وانتخب «ماوتسى تونج» فى الهيئة السياسية للحزب ، وبهذا فتحت صفحة جديدة فى الحياة السياسية الصينية.

بيد أن وفاة الزعيم الصينى «صن يات صن» فى الثانى عشر من شهر مارس سنة ١٩٢٥م حالت دون إتمام هذا التحالف ، حيث تولى الكومنتانج القائد العسكرى «شيانج كاى شيك CHIAN – KAI – SHEK» الذى أدخل الصين فى ثلاثة صراعات داخلية ، سوف نلقى عليها الضوء فى صفحات لاحقة أثناء تعرضنا لكفاح ماوتسى تونج الثوري.

ثانيا : العوامل المؤثرة على تفكير ماوتسى تونج :

الزعامة ذات العبقرية السياسية تتجلى دائماً بعوامل مؤثرة على تفكيرها تستمد طاقتها من الإحاطة التامة بتاريخ أمته ، وتاريخ العالم بوجه عام ومعرفته للإمكانيات الحقيقية

---

١ – جلال فهمى الطيار : الحزب الشيوعى ودوره فى الحياة السياسية الصينية، مقال مجلة الصين اليوم ، مارس ، ٢٠٠٣ ، ص ص ١٨ ، ٢٣ .

لاقتصاديات الأمة واجتماعياتها وسياستها العسكرية والإدارية ، فضلاً عن العديد من المبادئ والآراء والمثل العليا التي عاصرها بنفسه.

وهناك ثمة عاملان لا مناص من استعانة الباحث بهما ، لتوضيح طبيعة فكر ماوتسي تونج وهما :

الأول : إنه ثوري لينيني. وهذا ما يظهر فى جده فى طلب التغيير الاجتماعى الجذري، واعتباره غاية فى حد ذاته.

الثاني : كونه وطنيًّا صينيًّا غيوراً. وتدفعه وطنيته للعمل على تمكين استقلال وطنه واستعادة عزته القومية بعد فترة السيطرة الغربية المهينة.

وإذا كان «ماو» ثوريًّا وقوميًّا فى آن واحد ، يؤمن بأن نيل الأمة مجدها التالد واندفاعها فى طريق التقدم والارتقاء يرتهنان بثورة تغير أوضاعها السياسية والاجتماعية من أساسها . ومن ثمة ، فإن أهدافه أوسع مدى وتطرفاً من أهداف الزعماء الوطنيين الذين لايعتنقون الآراء اللينينية، والذين يعتبرون الثورة مجرد وسيلة يستعينون بها فى تقوية الأمة ، فلا ينظرون إليها على أنها غاية فى حد ذاتها . وهنا يطفو إلى ذهن الباحث سؤالان أساسيان تقود الإجابة عنهما الباحث للتعرف على طبيعة اتجاهات ماو الفكرية .

الأول : ما طبيعة اتجاهات ماو القومية والثورية ؟

الثاني : كيف تمازج معا هاتان الخاصيتان وما درجة الأهمية النسبية لكل منهما فى ذهنه وفعله ؟

لا شبهة فى أن التقاليد الصينية وأنماط التفكير الصيني تلون اتجاهات ماو الفكرية وتكيفها حتى فى إبان انغماره فى مشكلات تتصل بالنظرية اللينينية أو تتعلق بالثورة البروليتارية العالمية.

وعلى العكس، يتأثر فكره عن الصين وتقييمه التراث الصيني بالمنطق اللينيني فثمة ترابط دقيق غاية الدقة بين المنحى التفكيرى اللينيني الصيني وبين الاتجاه الثوري الوطني، وهذا الاتجاه ثمرة ترابط دقيق غاية الدقة رسمته زعامة الحزب ولايرجع للمصادفة المحضة.

ويتبدى للباحث من استقراء كتابات ماوتسى - تونج إقباله على استغلال الاستعارات والأمثال الصينية الأصيلة التى تجد هَوًى فى نفوس مواطنيه وتيسر استيعابهم منحاه التفكيرى الذى يتضمن قدراً غير قليل من الآراء الأجنبية يصعب على الفكر الصينى المعروف بتزمته تقبلها وتشربها ، ويفسر هذا الرأى محاكاته أساليب قدامى الشعراء الصينيين فى نظمه الشعر ، وكراهيته منهاج الشعراء المحدثين [١] .

وإذا كان ماو قد شكر وحَيًّا ثورة أكتوبر السوفيتية أثناء زيارته عام ١٩٥٧م ، لأنها هَدَتْ الصين طريق التحرر ، لكنه غالباً ما يتجه صوب قيم معنوية جذورها من المُثُل العليا لكونفوشيوس عن التثقيف الذاتى ، ولا تمت بأصولها إلى لينين الذى يحكم على صلاحية المبدأ المعنوى بمقدار صلاحيته للثورة . وفى عام ١٩٥٨ نادى ماو بفكرة مبناها إن من حسن حظ الشعب الصينى أن يكون (فقيراً صريحاً) لكى يتيسر لقيادته صياغته وفق مشيئتها وهذه فكرة دخيلة على الماركسية بتمجيدها الثقافة الغربية واعتبارها المستوى الاجتماعى والثقافى الرفيع شرطاً لابد من توافره لقيام الاشتراكية [٢] .

والنزعة الوطنية تأتى على رأس قائمة العوامل الفعالة فى تفكير «ماوتسى - تونج» ولقد غلبت هذه النزعة تفكير «ماو» قبلما يصبح شيوعيًّا بوقت طويل وتليها إيمانه بطاقات الشعب الصينى الثورية ومقدرته على كفالة التقدم لبلاده .

وإذا كان لينين قد هداه لفكرة إمكان الاستعانة بالبرجوازية فى البلاد المتقدمة والمتأخرة على السواء خلال مرحلة خاصة للثورة ، فلقد أعمل «ماو» الفكر فى هــذه النظرية ووسع مداها إلى أبعاد هائلة ، وتم ذلك من ناحيتين :

الأولى : توسيع قاعدة فكرة قوى المجتمع الصينى التى قد تؤدى دوراً إيجابيًّا فى تحقيق أهداف البلاد بأن يرحب المجتمع بمساهمة المخلصين للوطن سواء أكانوا من كبار ملاك الأرض أو من البرجوازيين على اختلاف فئاتهم الاجتماعية ، ولقد انبنى على

١- قصائد ماوتسي تونج : دار النشر باللغات الأجنبية، بكين ١٩٧٩،ص١٨ .

٢- ألبان . ج . ويدجيرى : المذاهب الكبرى فى التاريخ - من كونفوشيوس إلى توينبى ، ترجمة / ذوقان قوط ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٢، ص ٢٢٩.

تطبيق فكرته إقبال الشعب الصينى على مساندة نظامه مما جعله يفخر بحق بأن ٩٠أو ٩٥٪ من الشعب يؤيد الثورة

الثانية : نادى بأن الطبقات الأربع : عمال الصناعة «أى البروليتاريا» الفلاحون ، البرجوازية الصغيرة ، البرجوازية الوطنية عماد الشعب ودعامته. .

ويرى «ماو» أن تغيير عقلية الشعب الصينى شرط لا غنى عنه لإلحاق الصين بركب الحضارة العصرية ، ولو أن «ماو» فخور بمنجزات الثقافة الصينية القديمة ، لتأثر بأنماط الفكر التقليدى الصيني وظهر على عقليته هذا التأثير . لكنه لبث طوال نصف قرن فى ثورة عنيفة ضد التأثيرات الخانقة لمبادئ الثراث الفلسفي والثقافي الصيني مثل الخضوع لسلطة العائلة ، أو فكرة أن الفرد يجب أن يسعى لتكييف نفسه وفقا لقوى الطبيعة، وأن يقف تجاهها موقفا أقرب إلى السلبية منه إلى العمل للسيطرة عليها .

ولقد اتخذ تمرده على طغيان الطبيعة والسلطة قالباً شخصيا خلال فترة قصيرة من شبابه ومنذ ذلك الحين ، أصبحت فكرة التحرير الجماعى للشعب الصينى تحجب فكرة تحرير الفرد ، وإن لم تختلف أهمية الفرد من ذهنه ، فإذا كان على المواطن العمل وفق الخطوط التى يتطلبها منهاج النظام وترسمها أهداف الحكومة ، لكنه يجب أن يخضع فى عمله لضميره لا أن يكون مجرد آلة تتحرك حسب مشيئة الغير [1] .

ويكرس «ماو» نفسه لإحداث ثورة فى العقلية الصينية تكفل للأمة الصينية الحياة الكريمة فى العالم الحديث ، ولهذه الثورة جانبان عبر عنهما بعبارته المشهورة : «الاحمرار والخبرة» استخدمها خلال فترة «القفزة الكبرى إلى الإمام» لتحديد مثالية النظام الصينى الحالى ، ويقصد ماو بعبارته أن يتفوق مواطنوه فى أساليب التفكير الحديثة المتصلة بالطبيعة والأساليب الفنية الحديثة لإخضاعها لإرادة الإنسان ، ولكن مع الحفاظ على الحمية الثورية يستثيرها الإيمان بأن العمل الجماهيرى يتغلب على المصاعب المنظورة فى نهاية المطاف .

١- كلودروا : مرجع سابق ، ص ٥٨ .

ومن بين ثنايا شخصيته وتجربته تنبعث الخصائص الأساسية لزعامة «ماوتسى - تونج» وتجمعها مايمكن للباحث أن يطلق عليها «الرومانتيكية العسكرية». ولا نقصد بالاصطلاح هذا الدلالة على غرام «ماو» بالقتال . ولكن يعنى به اتجاه ماو لتصور المشكلات السياسية والاقتصادية - بل والفلسفية - على أنها أشكال للقتال ، وهذا تفسير تصريح أدلى به عام ١٩٣٨ «يتضح معدن الرجال الحقيقى فى غمار المعارك، وإنه ليصبو إلى أن يسكب نفس ملكات البطولة فى جميع أوجه النشاط البشرى» .

والواقع أن وجهة نظر «ماو» هذه قد صاغتها تجربة حروب العصابات التى خاض غمارها طوال اثنتين وعشرين سنة ، بالإضافة لتطابقها منذ البداية مع اتجاهات شخصيته، الأمر الذى يستشفه الباحث من خلال كتاباته ، حتى إلى ماقبل اعتناقه الماركسية ، ولقد أعانت نزعة الكفاح المتأصلة فى أعماق شعوره الباطن فى جهاده المرير لتسلم الحكم ، وظل بتلك الطاقة ولقد شارف على الخامسة والسبعين لقيادة ثورته الثقافية .

ويؤمن «ماو» إيمانا عميقاً بقدرة الجماهير على إتيان المعجزات ، إن اقتنعت برسالة الزعامة عن صدق ويقين ، ويتم تحقيق الامتزاج المنشود بين الاختيارية (أى إقبال الجماهير على اتباع الزعامة) وإطاعتها فرائض النظام ، بفضل إحداث تغييرات في وجهات نظر المواطنين باستخدام أساليب تتفاوت تفاوتاً جوهريًّا طبقا للظروف الطارئة والملابسات المستحدثة ، ويجمع هذه الأساليب اصطلاح «التقويم الذهنى».

ويعتبر العنف فى هذا المجال أداة يُستعان بها لإدراك الهدف ، لكنه ليس غاية فى حد ذاته ، فالتوعية أساس اجتذاب الجماهير إلى منحى الزعامة التفكيرى ، ويجب أن تتم عملية تكييف السلوك الجماهيرى بوحى من ذاتيتها الخاصة بعيدة قدر المستطاع عن الضغط الخارجى .

ويتضح للباحث من استقراء كتابات «ماوتسى - تونج» وتصريحاته أن ولاءه الفكرى يتجه صوب ثلاث وجهات [1] :

الأولى : الصين .

١- ماوتسى تونج : مؤلفات ماوتسى تونج المختارة ، المجلد الأول ، دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين ١٩٧٧ ، ص ١٥٣ .

الثانية : تحرير شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، ويعتبرها سكان ريف العالم بينما يعتبر سكان أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية مدنه ، وعلى الريف أن يحاصر المدن ويستولى عليها .

الثالثة : الثورة العالمية : ويعتبر اندلاعها محور رسالة البروليتاريا فى الدول المتقدمة والشعوب المضطهدة فى البلاد المتخلفة .

ولا شبهة فى ترابط هذه الاتجاهات أحدها بالآخر ترابطاً وثيقاً ، فإن إحساسه العميق بتضامن الصين مع دول آسيا وأفريقيا وأمريكيا اللاتينية ، يكيفه إحساسه الوطنى ، وإيمانه بفكرة الثورة العالمية ، كما تعكس مشاعره الوطنية الإيمان بالثورة العالمية دور الصين فيها ، لما يترتب على توفيق الصين فى تأدية دور هام فى نضال الشعوب المتخلفة من انتشار نفوذها وإعلاء اعتبارها الدولى.

وصفوة القول، إنه لا مناص لدارس القضايا الدولية – أية قضايا – من أن يأخذ فى التقدير والاعتبار العوامل القومية والبواعث الثورية الأيديولوجية على السواء ، لكن ليس ثمة شك فى أن للأحاسيس القومية الصدارة ، وما الأيديولوجية الثورية إلا تابع لها ، إذ يبدي تاريخ المذاهب الاجتماعية على اختلافها أن الأيديولوجية قد أصبحت تخدم الأغراض القومية ، وهذه حقيقة أسفرت عنها تطورات الأحداث الدولية فى السنوات الأخيرة بكل جلاء ووضوح.

وتؤدى الأيديولوجية فى الصين دورا ذا وجهين من الأهمية بمكان عظيم: الأول: يضفى شعور كراهية الغرب معانى تجريدية تبث فى قلوب الجماهير حقدا وضغينة رهيبين، مما يدفعها للاستجابة لقيادتها فى سياستها الخارجية والإقبال على بذل التضحيات التى يقتضيها تنفيذها بنفس راضية مطمئنة.

الثاني: تخلع على التطلعات الصينية رداء من العالمية يجتذب إليها شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية فى مجموعها، فتقبل على تأييد الصين فى كفاحها ضد أعدائها ومساندتها فى قضاياها. ومن هنا نحاول إلقاء الضوء على الأيديولوجية الثورية فى عهد ماوتسى تونج.

ثالثا: ماوتسى تونج وطور الأيديولوجيات:

يعتمد صاحب العبقرية والزعامة السياسية فى وجوده على صياغة أهداف ومبادئ يعمل على إنجازها بالوسائل التى يهتدى إليها بعقله الخلاق، ولا توجد زعامة سياسية أو عبقرية فكرية دون أن تكون لها مبادئ أو إصلاحات مقرونة بالعمل السريع والانطلاق المنجز.

ومع قبول ماوتسى تونج لمبادئ الماركسية اللينينية وترديدها من آن لآخر، إلا أنه أدخل بعض الاختلافات الدقيقة عند وضع هذه المبادئ فى حيز التنفيذ، وثمة اختلاف أساسى بين كل من ماركس وأنجلز من ناحية وماوتسى تونج من ناحية أخرى. أن الأول كان يرى أن دكتاتورية البروليتاريا يجب أن تكون عملية قصيرة الأجل ويجب أن يتبعها بسرعة تلاشى الدولة تدريجيا أما ماوتسى تونج فيرى «أن الصراع الطبقى يجب أن يستمر كقانون موضوعى لإرادة الإنسان ويختلف فى الشكل فقط عما كان سائدا قبل الاستيلاء على السلطة» والسبب فى ذلك حسب رأيه يرجع إلى أن الثورة الاشتراكية على الجبهة الاقتصادية(التى انتهت لملكية وسائل الإنتاج) لم تكن كافية فى حد ذاتها ومن الصعب تشكيلها، إذ يجب أن يكون هناك ثورة اشتراكية كاملة على الجبهات السياسية والأيديولوجية والتى تحتاج إلى المزيد من الوقت بل أن «عدة عشرات من السنين لا تستطيع أن تحقق ذلك، إذ يستلزم النجاح فى ذلك من قرن إلى عدة قرون»[١].

ويرى ماوتسى تونج عكس ما يرى ستالين وخروشوف – أن الصراع الطبقى بين البروليتاريا والبرجوازية خلال مرحلة الاشتراكية فى المجالات السياسية والاقتصادية والأيديولوجية والثقافية والتعليمية «أنها عملية كفاح ممتدة متكررة معقدة ، أنها مثل أمواج البحر أحيانا ترتفع عاليا وأحيانا تخبو إلى أسفل وبين هذه وتلك قد تسكن وقد تضطرب» .

إن القصد من الجدل حول دكتاتورية البروليتاريا هو استمرارها لفترة طويلة غير

---

١ – محمد نصر مهنا : صور من المشكلات السياسية فى العالم المعاصر ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ٣٩ .

محددة الأجل، إلى جانب الحزب الشيوعى «الذى يعتبر طليعة البروليتاريا الذى لابد من وجوده طالما وجدت دكتاتورية البروليتاريا» [١].

ويرى ماو أن الصين الشيوعية فى تطويرها لثقافتها الجديدة ستقبل بعض المواد حتى من الثقافة القائمة فى البلاد الرأسمالية خلال فترة الاستنارة، ولكن سيخضع كل شيء لعملية دقيقة من إدراك الفوارق، ويقترح ماو تطبيق نفس الدقة فى الفحص على الثقافة التقليدية للصين ذاتها[٢].

وعندما أصبح «ماوتسى تونج» الشخصية الأولى فى الحزب الشيوعى منذ عام ١٩٣٠م، عمد إلى تطبيق التحليل الماركسى - اللينينى على الوضع القائم فى الصين ذى الخصائص المتميزة عن غيره وبالذات الاتحاد السوفيتى، مما يعنى أن «ماو» فى أخذه للفكر الماركسى - اللينينى كان يهدف لحل مشكلات المجتمع الصينى فى المقام الأول[٣]. ذلك أن «ماو» كان يؤمن إيمانا عميقا بأن الحضارات الأسيوية القديمة ولاسيما الحضارة الصينية هى التى ينبغى أن تعتمد عليها الشعوب فى نضالها.

ويعد «ماوتسى تونج» أبرز قادة الحزب الشيوعى ، والذى قاد الحركة الشيوعية فى البلاد ، وله مؤلفات هامة فى تطوير وتطبيق الماركسية وفقا للظروف الصينية وكان مسيطرا على عقله فكرتان[٤] :

١- تحقيق استقلال الصين وتخليصها من السيطرة الأجنبية أيا كانت هذه السيطرة.

٢- تعزيز قوة الصين عن طريق النظام الاشتراكى حتى تصبح قوى عالمية. [٥]

١- Mao Tes – Tung : op . cit P.p.33-34.

٢- هـ . ج كريل : الفكر الصينى من كونفوشيوس إلى «ماوتسى تونج» ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٨ ، ص ٣٠٧ .

٣- عبد الرحيم حسين : الثورة الثقافية فى تاريخ الصين ، سلسلة عالم الفكر ، م ١٩ ، ١٩٨٨ ، ص ١١٣ .

٤- بشرى قبيس وموسى مخول : الحروب والأزمات فى القرن العشرين ، دار بيان للنشر ، بيروت ١٩٩٧ ، ص ٢٢٥ .

٥- ماوتسى تونج : مؤلفات ماوتسى تونج المختارة ، المجلد الثانى ، دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين ١٩٧٧ ، ص ٢٧١ .

ولذلك كانت فكرة الثورة المستمرة إحدى الحقائق الرئيسية فى الفكر الماوى، وخاصة خلال السنوات العشر الأخيرة من حياته، فقد كانت نظرة ماو الرئيسية أن التطور الصينى سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، لا يمكن أن يتم إلا من خلال الثورة . والثورة فى فكره ليست مأدبة ولا كتابة مقال ولا رسم صورة ولا تطريز ثوب، أو تكون بمثل تلك اللياقة والوداعة والرقة، أو ذلك الهدوء واللطف والأدب والتسامح وضبط النفس، إنما الثورة انتفاضة وعمل عنيف ، تلجأ إليه إحدى الطبقات للإطاحة بطبقة أخرى، وكان «ماو» يشعر دائما أن هناك ضرورة لاستمرار العملية الثورية هذه، فهناك دائما خطر على الثورة كامن داخل الحدود، من الطبقات القديمة من البورجوازيين وملاك الأراضى والفلاحين الأغنياء الأشرار ، والذين يرغبون فى امتصاص صدمات الثورة وعودة الصين إلى الوراء[1].

ومع تقادم الزمن ، يتعمق مفهوم الثورة المستمرة عند ماو ويتسع نطاقه ليمتد إلى الأجيال القادمة التى كان يعتقد ماو ضرورة تنشئة هذه الأجيال تنشئة ثورية ، حتى تستطيع المضى قدما فى الطريق الثورى وتحقق الغاية المنشودة من تتابع الثورات وإحداث التغيير الاجتماعى فى البلاد .

وأكد ماو أيضا أهمية وجود ثورات ثقافية متلاحقة تستجيب للتناقضات الجديدة التى تنشأ فى المجتمع الاشتراكى بكل تأكيد وتنتصر خلالها الأجيال الجديدة.

وحدد ماو أهداف الممارسات الشيوعية فى الصين فى خطابه الذى ألقاه فى الاحتفال بالذكرى الثامنة والعشرين لإنشاء الحزب الشيوعى الصينى قائلا: «عندما تختفى الطبقات، فإن كل أدوات الكفاح الطبقى والأحزاب وآلية الدولة، ستفقد وظيفتها، ولا تعود ضرورية، وبالتالى فإنها ستذوى تدريجيا، وتنتهى مهمتها التاريخية ، وستنتقل الإنسانية إلى مرحلة أرقى» ولا شك أن أهداف الممارسات الشيوعية حددها ماو انطلاقا من الوظيفة والمهمة اللتين يضطلع بهما الحزب الشيوعى وهما: «.... العمل بجد لإيجاد

١- عبد المنعم سعيد : صراع القوى السياسى بعد ماو ، السياسة الدولية رقم ٤٧ ، يناير ١٩٧٧ ، ص ٢٦٠.

الأوضاع التى فيها تتلاشى الطبقات وسلطة الدولة والأحزاب السياسية بصورة طبيعية للغاية، وتدخل الإنسانية رحاب التناسق العظيم(١).

واعتكف ماو على دراسة التاريخ وتحليل تاريخ المجتمعات من وجهة نظر ماركسية، وذكر ماو أن التاريخ هو صراع طبقي تنتهي فيه طبقة وتنتصر أخرى، وأن ما يحدث فى المجتمع من تغيرات يعود بشكل رئيسي إلى تطور التناقضات فيه بين القوى الإنتاجية وعلاقات الإنتاج ، وتطور التناقض هذا يعد بمنزلة القوة الدافعة للمجتمع إلى الأمام ، ونظر ماو إلى تراث الصين بعين ناقدة، ودعا إلى «استيعاب الصالح ونبذ الطالح منه» وفي نظرته هذه تبدو المواءمة بين الفكرين الجمعيين: الكونفوشيوسية بما فيها، والماركسية بواقعها، مما يعنى أن «ماو» لم يرفض الماضي الثقافي بكامله ولا يزال يتطلع إلى وجود النافع فيه، فليس سهلا إلغاء تاريخ شعب كالشعب الصينى بكامله، وجرى البحث فى تاريخ الصين عن الثورات الشعبية والتمردات الرامية ضد ممارسات النظام الإقطاعى وتم إبرازها كمؤشرات للشعب على الثورة وضرورتها، واستمرت فلسفة ماو - بعد وفاته - كمرشد لتفسير إبداعى لتجربة تحقيق التناغم بين الفكر الماركسي والفكر التقليدي.

رابعا: ماوتسى تونج ومفهوم الثورة:

الثورة- فى نظر ماو - لا نهاية لها ، وأنها ظاهرة مستمرة لأنها تقضي على تناقضات المجتمع، ولا تقضي على صراع الطبقات، بل تولد تناقضات جديدة وصراعات طبقية جديدة ، لأن تحقيق الهدف المنشود سيولد تناقضات جديدة وطبقة جديدة ذات امتيازات جديدة يجب القضاء عليها، ولعل من أهم إسهامات ماوتسي تونج الكبرى فى الفكر الثوري والتقدمي فى العالم:

أ) أن الثورة يجب أن تكون منبثقة من المجتمع الذى قامت فيه، متلائمة مع حاجاته،

١- ماوتسي تونج : مختارات من كتاباته ، تقديم / آن فريما نيل ، المكتبة الأمريكية الجديدة ، نيويورك ١٩٩٢ ، ص١٨٤ .

بعيدة عن المفاهيم والأصول المستوردة من ثورات أخرى .

ب) أن الثورة يجب أن تكون مستمرة بمعنى أن تتلوها ثورة تصحيح ، ثم تصحيح للتصحيح للقضاء على التناقضات التى تتولد نتيجة الظروف الجديدة التى تنشأ عن الثورة ثم عن ثورة التصحيح ، لقد كان «ماو» يأمل من صميم قلبه أن يجعل من الصين دولة قوية وغنية ، والمشكلة أنه كان يؤمن إيمانا مفرطا بالثورة التى تستطيع وضع الحلول لكل شيء.

وفى ظل حدوث تغير اجتماعى فى البلاد على أثر تقبل «ماو» للأفكار الماركسية تغير مفهوم «الحرب الشعبية» ، وحيث قام «ماو» فى كفاحه ضد «شيانج كاى شيك» بدمج الثورتين اللتين كانتا تعملان حينذاك فى البلاد وهما الثورة الوطنية والثورة ضد السلطة الإمبريالية، أطلق عليهما «الثورة الديمقراطية الجديدة». ورأى أن التخلص من الملاك الإقطاعيين لن يتم إلا بمساعدة الفلاحين للإطاحة بهم ، ولذا فإن الحرب ضد عدوان أحدهما أجنبى والآخر محلى ، ومن ثَمَّ فكان لابد أن تكون الحرب ثورة وطنية يقوم بشنها الجماهير المنظمة سياسيا.

وقد تطور مفهوم الحرب الشعبية من جانب «ماو عن الفلسفة الماركسية وذلك لأن المفهوم فى الصين نشأ تحت ظروف القهر كما أن القوات الثورية كانت أقل نسبيا من القوات المسلحة للعدو ، وقد ركز «ماو» كل اهتمامه على الجماهير أكثر من تركيزه على الأسلحة «كتب ماو ذات يوم» ولكنها – أى الأسلحة – ليست العامل الحاسم إنه الشعب وليست الأشياء هى الحاسمة»، ومن ثم كانت الحرب الشعبية تركز على أكبر جبهة متسعة من الجماهير ، واعتقد ماو أنه لابد أن يأخذ معه أكبر قدر من تلك الجماهير ، ويلاحظ أن شكل الحكومات فى الصين تختلف عنها فى الاتحاد السوفيتى ، و أن قيام دكتاتورية البروليتاريا ونظام الحزب الواحد – كما هو الحال فى روسيا لم يكن بالنسبة لماو كافيا لمقابلة المتطلبات الصينية .

ومما يُشَارُ إليه أن الزعيم الصينى ماوتسى تونج أعلن «أن هدف الثورة خلقُ حياة جديدة للجماهير الصينية ، ويجب أن تبدأ هذه الحياة الجديدة بتحسين الأحوال المعيشية

للفلاح ، وهذا التحسين لا يمكن تحقيقه إلا بممارسة السلطة السياسية التى هى فى الوقت الحالى حق مكتسب لصاحب الأرض وللطبقات الحاكمة ، ويجب أن تسترشد الثورة فى كل مرحلة باحتياجات الفلاح ، وعلى رواد الحزب أن يعيشوا فى القرى ، وعليهم أن يعملوا مع الفلاح وأن يأكلوا من أكله ، وأن يرشدوه فى أمور حياته ، وأن يفكروا فيما يفكر فيه .

خامساً: ماوتسي تونج وتصيين الماركسية :

الماركسية كانت ترى أن الفلاحين يمثلون قوة ثورية هامة ، ولكن لم يستطع أحد قبل «ماو» إدراك أن الفلاحين يمكن أن يصبحوا طلائع الثورة الشيوعية ، حتى إن «ماركس» كان ينظر للفلاحين على أنهم طبقة توجهها الملكية وتتصف بالرجعية النسبية ، وتصور «لينين» قيام بعض الثورات فى مجتمعات آسيوية يغلب عليها الطابع الزراعي ، ولكن كان يعتقد أن ذلك يمكن حدوثه بشرط مساعدة البروليتاريا ، ورأى «لينين» إدخال عدد من الفلاحين للحزب الشيوعى وذلك تحت قيادة البروليتاريا ، وليس عن طريق حزب من الفلاحين يطلق على نفسه الحزب الشيوعى[1] .

وأشار «لينين» إلى رغبته فى وجود نقابات عمالية تحت نفوذ الحزب تعمل على مساعدة الحزب فى الاستيلاء على السلطة ثم فى المحافظة عليها ، وتصور أنه فى حالة غياب السيطرة التامة للحزب على النقابات ، فإن العمال يهددهم خطر الاستسلام للأفكار البرجوازية، وبالتالى إهمال النضال السياسى لصالح النضال الاقتصادى، وبذلك فقد سعى الماركسيون لفهم الحركات العمالية انطلاقا من فكرة اعتبار العمال فاعلين فى التغير الاجتماعى الجذرى[2] .

١- محمد نصر مهنا : النظرية السياسية والسياسة المقارنة ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية (د.ت)، ص ١٨٣ .

٢- ماريا ألفس وآخرون : المجتمع المدنى والصراع الاجتماعى ، ترجمة/ محب عبود وآخرين ، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان ، القاهرة ١٩٩٧ ، صـ ٩٢ .

ومع كل هذا ، فإن الإضافة الحقيقية لماو قد لا تقف عند حد حماسه للفلاحين، وإعلانه لهم قادة للمرحلة الاشتراكية من الثورة الصينية ، فالأهم من ذلك هو الطريقة التى جعل بها «ماو» هذه الإضافة لا تبدو وكأنها خارجة خروجا غير مشروع على النص الماركسي وعلى الممارسة اللينينية له. وبالنسبة لماوتسى تونج كانت هذه المسألة أمراً بالغ الحيوية، ليس فقط لأنه على الصعيد الشخصي آمن بما تطرحه الماركسية من مقولات وطرائق للتحليل، ولكن لأنه اعتقد – ومنذ تحوله إلى الإيمان بها – أنها تمثل الخيار الثوري الوحيد بعد فشل كل محاولات التغيير فى الصين بالاعتماد على جهود الإصلاحيين أو الثوريين البرجوازيين من طراز «صن يات صن».

ثم إن ماو – ومنذ عرضه لتقرير هونان على الحزب الشيوعي الصيني – قد دخل فى صراعات سافرة مع قيادات الحزب بسبب ما ظهر لهم أنه خروج منه غير مقبول على تعاليم الماركسية اللينينية.

وقد اتُّهم «ماوتسى تونج» بانتظام – ومنذ عام ١٩٢٧ – بتشجيعه سيادة «العقلية الفلاحية» بين أعضاء الحزب الشيوعي، وهى تهمة كان من الممكن أن تذهب به إلى غياهب النسيان خاصة وقد وقف السوفييت والكومنترن من ورائها يذكون فيها النيران، لكل هذه الأسباب بدا حتميا أن يبذل ماوتسي تونج جهداً نظريًّا خاصًّا للتوفيق بين الذخيرة الثورية التى تنطوي عليها الماركسية اللينينية من ناحية، وما رأى أنه خصائص صينية لابد من أخذها فى الاعتبار عن التسلح بتلك الذخيرة [(١)].

ومنذ ذلك الوقت، أصبح «تصيين الماركسية» على رأس الإسهامات التى جعلت من «ماو» زعيماً ماركسيًّا واشتراكيًّا كبيراً ، كما صار هذا الإسهام الوسيلة التى مكنته من السير بأمان على درب الثورة الصينية حتى انتصارها، ودون أن يتخلى عن قناعاته الأساسية بخصوص الطبيعة المميزة للواقع الصيني.

---

١ – حنان قنديل : ماوتسي تونج ونظرية الثورة الاشتراكية ، فى/ سيف الدين عبد الفتاح والسيد صدقى عابدين ، (محرران) ، الأفكار السياسية الآسيوية الكبرى فى القرن العشرين ، مركز الدراسات الآسيوية ، جامعة القاهرة ٢٠٠١ ، صـ٤٦ .

والواقع أن «ماو» أدرك أن الظرف الدولى المحيط بالصين ، والذى أدى إلى تقاسم عدة دول إمبريالية ، كبرى للنفوذ داخلها ، والطابع العسكرى للحكم الطبقى، والضعف الشديد للبروليتاريا فى المدن ، يجعل الأمر مختلفا فى الصين وينبغى للثورة أن تتخذ شكل الانتفاضة المسلحة التى تستطيع أن تحرر مناطق ارتكاز رئيسية للثورة ، يمكن توسيعها عبر الكفاح طويل الأمد، بوسائل الحرب الشعبية ، التى تستند إلى ظهير فلاحى لا ينفد ، ولقد تعلم «ماو» من الدروس الثمينة للحركة القومية «أن من يكسب الريف يربح الصين»[(١)].

ويؤمن «ماو» ببناء ووضع نواة تنظيمية للصراع الثورى فى الريف وبعد تضامن هذه النواة يستخدمها لتطويق المدن ، والأسلوب الذى اتبعة فى الفترة المتقدمة والذى عرف بخط ماوتسى تونج كان يهدف به إلى :

(أ) الوصول إلى منطقة معينة ووضعها تحت السيطرة السياسية والعسكرية والإدارية للحزب الشيوعى.

(ب) إدخال نظام الإصلاح الزراعى .

(ج) مساعدة الناس فى حياتهم اليومية بكل أنشطة الرخاء وكسب تأييدهم الكامل.

(د) تلقينهم مبادئ الشيوعية.

(هـ) تقديم التدريب العسكرى لأكبر عدد من الشعب.

(و) خلق وحدة عاطفية بين الشعب والحزب وقواته المقاتلة.

وقد تلى هذا الأسلوب نجاح كبير فى كل من مقاطعات يونان وشمال شنسى ومنطقة الحدود الشمالية الغربية.

وحدد «ماوتسى تونج» أربع سمات رئيسية للحرب الثورية فى الصين [(٢)]:

١- بلاد واسعة شبه مستعْمَرَة، ومتفاوتة التطور اقتصاديا وسياسيا .

١- محمد السيد سليم: الديمقراطية الشعبية ومفهومها فى الفكر الماوى ، السياسة الدولية ، العدد رقم ٤٧، يناير ١٩٩٧ ، ص ٢٣٥ .

٢- محمد نصر مهنا : فى السياسات العالمية والاستراتيجية (دراسة تحليلية) دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٣، ص ٢٥٢ .

٢- عدو كبير وقوي.

٣- جيش شيوعي ضعيف وصغير.

٤- ثورة زراعية.

وعبر «ماوتسي تونج» عن أهمية دور الجماهير واعتماد نجاح الثورة عليهم أكثر من اعتماد ذلك النجاح على أي من ماركس وأنجلز بل وبصورة لم يدركها ماركس أو لينين أو ستالين، وإذا كان لينين يرى أنه لابد من استخدام المهارة التنظيمية، والمعارف الفنية فى كوادر الحزب كي يحدث التغيير الاجتماعي إلا أن «ماوتسي تونج» يضع كامل إيمانه فى حماس وقوة الخلق والإبداع لدى الجماهير.

وفى منشور صدر فى أول يونيو ١٩٤٣ كتب «ماو» يقول «إن كل الزعامة الحقة هى بالضرورة من الجماهير وإلى الجماهير، وهذا يعني بأن نأخذ أفكار الجماهير (وهي مبعثرة وغير منظمة) ونركز عليها (من خلال الدراسة حتى تصبح مبلورة منتظمة) ثم نذهب إلى الجماهير وننشر بينهم هذه الأفكار ونشرحها لهم إلى أن يعتنقها الجماهير ويؤمنون أنها منهم ويتمسكون بها ويترجمونها إلى عمل واقعي ... ثم نجمع من جديد أفكاراً من الجماهير ونقدمها لهم مبلورة منظمة... وهكذا بحيث تصبح الأفكار أكثر صحة وحيوية وخصوبة فى كل مرة، ويستطرد ماو فيقول: «إنه كلما كان الصراع أكثر ضراوة زادت حاجة الشيوعيين إلى أن يوثقوا الرابطة بين زعامتهم وبين مطالب الجماهير ، وذلك بهدف إبطال مفعول الطرق العلمية فى الزعامة أو القيادة حتى لا تنقلب إلى طرق ذاتية شخصية أو بيروقراطية واستخدام طرق الزعامة العلمية للتغلب على مشاكل الأخيرة، إن الزعامة الفردية أو البيروقراطية لا تفهم مبادئ الجمع بين القيادة مع الجماهير استخدام العام مع الخاص.

لقد كان تركيز «ماو» الأساسي على ما أسماه تحول وعى الجماهير إذ يقول فى حديث يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٤٤ «إن كل المفكرين يجب أن يتخلصوا تماما من تلك العادة السيئة عادة عزل أنفسهم عن الجماهير ، إذ يجب أن يهبوا أنفسهم للجماهير بروح من إنكار

الذات وأن يلتصقوا بالعمال والفلاحين والجنود، وأن العمل من أجل الجماهير يجب ألا يبدأ بالأوامر أو الضغوط، وما لم تفق الجماهير من غفوتها وتصحو إراداتها فإن أى عمل يتطلب المساهمة من جانبهم سوف يكون عملا شكليا أَجْوَفَ وسوف يبوء بالفشل.

إن نظرية «ماو» عن الجماهير ومنهجه الثوري- على الرغم من ابتعادها كثيرا عن ماركس ولينين يعتقد أن تعمل عملها داخل زعامة الحزب «فبدون الحزب لا يمكن أن تكون هناك ثورة» «وبدون حزب ثوري يقوم على النظرية الثورية والأسلوب الثوري لماركس ولينين وستالين» كتب «ماو» فى نوفمبر ١٩٤٨ «لا يمكن قيادة الجماهير العاملة والجماهير العريضة لشعبنا كي يهزموا الإمبريالية وكلابها المسعورة» . ولقد ردد هذا كثيرا فيقول أيضا:

«بدون جهود الحزب الشيوعي الصيني وبدون الشيوعية الصينية كمعين لا ينضب للشعب الصيني لا تستطيع الصين أن تحصل على الاستقلال والحرية والتصنيع والتحديث فى الزراعة. كما أن تعريف «ماو» (للشعب) و(عدوه) ينطبق على تلك القطاعات من الجماهير التى تنفذ السياسات الاقتصادية والسياسية للحزب الشيوعي أما (العدو) فهو الذى يعرقل أو يعارض هذه السياسات» [١].

ومما سبق يتضح أن «ماو» يرى أن الأسلوب الوحيد لحل التناقضات العدائية هو أسلوب العنف، على الرغم من أنه على استعداد للتنازل بأن التناقضات غير العدائية يمكن حلها من خلال الأساليب التنظيمية الثورية.

وأن الإيمان بالعنف كوسيلة للتغيير الاجتماعي كان أمراً أساسيًّا فى فلسفة ماركس. إن الدولة حينذاك كانت وسيلة استغلال فى يد الرأسماليين والطريقة الوحيدة للاستيلاء عليها، طبقا لماركس- هي اللجوء إلى الثورة المسلحة. ولقد ناقش ماو ذلك في عام ١٩٢١ مع برتراند راسل . وفى عام ١٩٢٧ عبر عن رأيه بأن الثورة ليست «مشابِهة لدعوة شعب على حفلة عشاء أو كتابة مقال أو رسم صورة زيتية أو التزين بالزهور

١- المرجع السابق : صـ٢٥٤ .

«وبهذا الشكل فلا تكون شيئا مهذبا أو هادئا» إنها عمل من أعمال العنف تستطيع بها طبقة أن تطيح بسلطة طبقة أخرى .

بل فى ١٩٤٨ ظهر «ماو» أكثر وضوحا إزاء مسألة العنف فيقول: «إن السلطة السياسية تنبثق وتنبع من ماسورة مدفع ... إن بعض الناس سخروا منا لأننا «دعاة حرب نعم نحن كذلك ، إن الطبقة العاملة لا تستطيع أن تنتصر على البرجوازية المسلحة وأصحاب الأراضى إلا بقوة المدفع ، وفى هذا المعنى يمكننا أن نقول إن العالم يمكن إعادة تشكيله وصياغته بالمدفع ... إن الحرب لا يغلها أو (يلغيها) إلا الحرب. ولكى نتخلص من المدفع فلابد أن نمسكه فى أيدينا ، إن الاستيلاء على السلطة بالقوة المسلحة قادم . وفى مناسبة أخرى قال: «هو المهمة الأساسية وأعلى نموذج وصورة للثورة وأن هذا المبدأ الماركسى - اللينينى للثورة صحيح على الإطلاق وينطبق على الصين وجميع بلدان العالم» (١) .

وجملة القول إن الزعيم الصينى ماوتسى تونج أقام فى الصين نظاما قويا له جذور عميقة، هو الإحساس بالولاء لأهداف الشيوعيين فى الصين بل حتى الولاء له أولا.

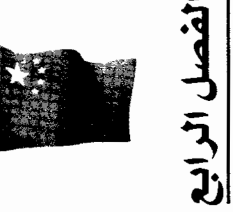
لقد حول الصين إلى قوة عسكرية كبرى لديها أسلحة رهيبة لها طابع التدمير الشامل ولكن مع محاولاته لترشيد الشيوعية وبناء نمط جديد من الحضارة ، وأن ما أراد أن يفعلة لينين فى روسيا فعله ماوتسى تونج فى الصين ومثلما يهمه فى بداية الأمر بناء نظام قوى فى الدولة يقوم على الاستخدام الكامل للعلم والتكنولوجيا ، وإزاء التناقضات الخارجية والداخلية التى تواجهها الدولة يرى ماوتسى تونج معالجتها من خلال نفس أسلوب القوة والعنف التى استخدمته روسيا - أما ادعاؤه بحل التناقضات الداخلية بتعبئة الجماهير والضغط بها على الخارجين عن خط الجماهير ، يختلف هذا فى أن «ماو» يدرك تماما أوجه القصور فى الاتحاد السوفيتى .

هذا من ناحية .

١- ماوتسى تونج : مؤلفات ماوتسى تونج المختارة ، المجلد الرابع ، دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين ١٩٧٧ ، ص ، ص ٣١٤ ، ٥٥٢ .

ومن ناحية أخرى قام «ماو» بتحليل طبيعة المجتمع الصيني وأدرك أن التناقض الرئيسى فى المجتمع الصيني هو التناقض بين الشعب الصينى كله وبين الإمبريالية وعملائها من طبقة البرجوزاية الكبيرة التى تعرقل تقدم المجتمع، وحول هذا التناقض الرئيسي تتجمع التناقضات الثانوية الأخرى ، كما استنتج ماو طبيعة الثورة الصينية وذكر أنها ثورة ديمقراطية برجوازية، وأن الثورة الديمقراطية التي تزعمتها الطبقة البرجوزاية، لم تحقق التحرر السياسى والاقتصادى للعمال والفلاحين، حتى إن البرجوازية لم تحقق الثمرة لها ثمة شيء يذكر ، ولذلك مازالت الصين فى حاجة إلى ثورة ديمقراطية برجوازية، وأن هدف الثورة الصينية هو الإطاحة بالإمبريالية وتحقيق الثورة الزراعية للقضاء على الاستغلال الزراعي.

وحدد «ماو» أهداف الثورة الديمقراطية البرجوازية وهي القضاء على القوى الإمبريالية الأجنبية والقوى الإقطاعية الداخلية ، وتأسيس دولة ديمقراطية مستقلة ، وأن هذه الثورة تعتمد على الطبقة العاملة والفلاحين والبرجوازية الصغيرة والفئة التقدمية من البرجوازية الوطنية ، واعتبر ماو الفلاحين الحليف الطبيعي للبروليتاريا ، والقوى الرئيسية فى صفوف الثورة الصينية، ولا يمكن للفلاحين أن يحققوا تحررهم إلا بقيادة البروليتاريا. وبذلك أدخل ماو مفهوماً جديداً لقضية الثورة الصينية، من حيث الاعتماد الرئيسي والأساسي على قوة الفلاحين في مواجهة الماركسية التقليدية.



العمل الثورى لماوتسى تونج

يعد الإسهام الأشد تأثيرا والأعمق أثراً لماوتسى تونج - فى الفكر الإنسانى عموما والفكر الآسيوى على وجه الخصوص - كان فيما قدمه من أفكار وممارسات خاصة بنظرية الثورة الاشتراكية وبكيفية تطبيقها ، وإذا كان هذا الإسهام يربطه بالضرورة بمقولات النظرية الماركسية - اللينينية حول هذا الموضوع ، إلا أن تحليلاته وتفسيراته الخاصة لهذه المقولات تبدو واضحة التميز مما يجعل من الحديث عن إضافات ماوية خاصة فى العمل الثورى .

والواقع أن ماوتسى تونج لم يتردد فى وصف بعض ما قدمه فى هذا الصدد بأنه عملية «تصيين» للماركسية - اللينينية ، أى إكساب مقولاتها وتحليلاتها طابعا خاصا مستمدا من الواقع الصينى الذى تفاعلت معه هذه المقولات والتحليلات.

وقد كان لإسهامات ماوتسى تونج وإضافته نجاحاتها الباهرة التى يأتى فى مقدمتها دون شك تأمين الانتصار للثورة الاشتراكية فى الصين ، وذلك فى ظل ظروف داخلية ودولية شديدة الوطأة على الثوار فى الصين.

ويقول «ماوتسى تونج» إن الثورة البلشفية فى روسيا هى التى فتحت النوافذ فى بلاده على الفكر الماركسى... فلم يكن الصينيون قبل ثورة أكتوبر يجهلون لينين وستالين فحسب ، بل كانوا يجهلون ماركس وإنجلز أيضا... كما ساعدت ثورة أكتوبر التقدميين فى الصين وفى العالم أجمع على الأخذ بنظرية البروليتاريا كأداة لتحديد مستقبل البلاد ، ولعلاج مشكلتنا الخاصة على أساس جديد[1] . والأمر الذى لا شك فيه أن انتصار الثورة

١- المرجع السابق : ص ٥٥٢.

البلشفية عَجَّل بإنشاء الحزب الشيوعي الصيني فى شهر يوليو عام ١٩٢١، وليصبح منذ هذه اللحظة قوة ثورية جديدة تعمل جنبا إلى جنب مع حزب الكومنتانج - والذي رأسه «صن يات صن» - من أجل تحرير البلاد من قوى الاستغلال الداخلية والخارجية، وقد حدد الحزب الشيوعي الصيني أهدافه الكبرى فى مؤتمره الأول، وتمثلت تلك الأهداف فى الإطاحة بالبرجوازية بواسطة حزب بروليتارى ثوري، ثم إرساء دولة ديكتاتورية البروليتاريا من أجل القضاء على التميزات الطبقية، وأبرز الحزب المهمة المركزية التي ينبغي أن ينهض بها فى سبيل تحقيق هذا الهدف ألا وهي تنظيم طبقة العمال وقيادة الحركة العمالية، فعن طريق هذا التنظيم وتلك القيادة يستطيع الحزب الشيوعي أن يأمل فى تحقيق انتصار الثورة الاشتراكية وفقا لمقولات الماركسية - اللينينية.

هذا في الوقت الذي شهدت فيه الصين اضطرابات عديدة فى نهاية سنة ١٩٢٢م في جميع أنحاء البلاد وكما ذكرنا فقد طالب العمال بأجور تناسب الآدميين، وقد كان المجال الرئيسي لصراع العمال موجوداً فى الصناعات الثقيلة كالسكك الحديدية والنقل والمواصلات والمناجم، وفى هذه الصناعات كانت مصالح الاستعماريين متداخلة تداخلا وثيقا مع أمراء الحرب الصينيين[١] كما أن الطبقة العاملة استطاعت الحصول على تأييد الأقسام الأخرى من السكان التي تعاني أيضا من سيطرة رؤوس الأموال الأجنبية.

ونظراً لأن الحزب الشيوعي في بادئ الأمر لم يكن لديه الأعداد الكافية لتنفيذ هدفه المتمثل فى بعث المجتمع الاشتراكي ثم الشيوعي، لجأ قادة الحزب إلى الدكتور (صن يات صن) الذى أظهر تأييده للثورة الروسية، في محاولة لاتحاد الحزب الشيوعي والكومنتانج

١- ظهرت عدة أحزاب سياسية مختلفة يقف من وراء كل منها القادة العسكريون الذين سموا (التوشون) وكان كل واحد منهم يحكم أجزاء من أراضى الصين مستعيناً بما لديه من جيش خاص، ففي الجنوب فى كانتون نجد الدكتور-صن يات صن - يحظى بتأييد القادة العسكريين فى أربع مقاطعات، وأما القائد العسكري تشانج تسو تين (Tchang – Tso – Tin) فكان يسيطر على أغلب منشوريا متخذاً لنفسه مركز القيادة فى مدينة موكدن وكان رئيس الوزراء الصينى توان تشى (Tuan – Chi) قد حظي بالتأييد فى بكين. لمزيد من التفاصيل انظر: فوزى درويش: مرجع سابق، ص ١٣٥.

تحت قيادة الدكتور (صن) بهدف خلق جبهة متحدة ، لإنهاء حالة الصراع بين أمراء الحرب فى الصين .

هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى وضْع حدٍّ لتلك الانتهازات الاقتصادية من جانب الدول الاستعمارية لخيرات الصين .

وقد رعت الدولة السوفيتية وكذلك تنظيم الشيوعية الدولية (الكومنترن) الحزب الشيوعى الصينى ولم يبخلا عليه بالمستشارين والمندوبين الذين قدموا التوجيهات بضرورة الاهتمام بتعبئة الطبقة العاملة الصينية وتقوية تنظيماتها ، غير أن السوفييت والكومنترن لم يلبثا أيضا أن فرضا على أعضاء الحزب الشيوعى الانضمام إلى صفوف الكومنتانج للعمل معا ، تحقيقا لوحدة الصين واستقلالها أولا ، وتمهيدا لمرحلة تالية يبدأ فيها الكفاح من أجل انتصار الثورة الاشتراكية ، وكان الكومنتانج وقتها حزب البرجوازية الوطنية ، واعتبر الكومنترن أن تحالف الشيوعيين مع هذه الطبقة - بل والعمل تحت قيادتها - وهو أمر ضرورى فى مرحلة الثورة الاشتراكية.

وقد استجاب الحزب الشيوعى الصينى بالفعل لتعليمات الدولة السوفيتية وتنظيم الشيوعية الدولية ، فأعلنت الجبهة الوطنية بين الشيوعيين والكومنتانج فى عام ١٩٢٣م ، وانضم الشيوعيون - كأفراد - وليس بصفتهم الحزبية إلى صفوفه . وبدأ الحزب الشيوعى الصينى فى نفس الوقت فى توجيه أعضائه - ومنهم «ماوتسى تونج» - للارتحال إلى المقاطعات الصينية المختلفة من أجل تنظيم صفوف العمال فى المناطق الحضرية منها ، وفى الفترة بين عامى ١٩٢١ و ١٩٢٣ أصبح «ماو» سكرتيرا لفرع الحزب الشيوعى فى مسقط رأسه بمقاطعة هونان ، واجتهد فى تجنيد وتنظيم عمال المناجم وفقا لتعليمات الكومنترن . وفى عام ١٩٢٢ انتخب رئيسا لفرع اتحاد عمال الصين هناك ، وتمكن هو «وليو شاوشى» -رئيس الجمهورية الصينية فيما بعد- من تنظيم إضرابات عمالية ناجحة هناك .

والجدير بالذكر أنه فى مدينة كانتون سنة ١٩٢٤م ، عقد المؤتمر الوطنى الأول للجبهة

الوطنية الموحدة تحت لواء حزب الكومنتانج وعرض الدكتور (صن يات صن) البرنامج السياسى للجبهة الجديدة والذى تضمن عدة مبادئ رئيسية هى التحالف مع روسيا والحزب الشيوعى ، وتأييد حركة العمال والفلاحين ، كما دعا إلى الاشتراكية والتى تتمثل فى مبدأ الأرض لمن يفلحها ، وتأميم الاحتكارات الرأسمالية ، هذا بالإضافة إلى البرنامج السياسى لتحرير الصين من كل أشكال السيطرة الاستعمارية والمساواة الكاملة بين الأقليات داخل الصين ، وفى نهاية المؤتمر انتخب الدكتور (صن يات صن) رئيسا لجمهورية الصين وعاصمتها كانتون ، وانتخب (ماوتسى تونج) فى الهيئة السياسية للحزب ، وبهذا فتحت صفحة جديدة فى الحياة السياسية الصينية[١].

وأقامت الحكومة الجديدة فى ربيع ١٩٢٤م أكاديمية هوامبو العسكرية Whampo Military Acagemy بالقرب من «كانتون» ، وقامت روسيا بمساعدتها بالأموال والأسلحة[٢]، وأوفد الحزب الشيوعى مجموعة من أعضائه للقيام بالتثقيف السياسى فى الأكاديمية ، وكان كثير من الطلبة أعضاء بالحزب الشيوعى انتقاهم الحزب من كل أنحاء البلاد وشكلوا العمود الفِقَرِيَّ الثورى فى تلك الأكاديمية.

وعلى الرغم من أن «صن» لم يكن شيوعيا إلا أنه تأثر تأثيرا واضحا بالآراء الاشتراكية ، فقد طالب الدولة بإعادة توزيع الأراضى لتقوم الملكية بين الجميع على أساس المساواة ، وهو أحد المبادئ التى نادى بها «صن» ورأى أن تحقيق مبادئه يجب أن تتم على ثلاث فترات[٣] .

١- Maki John : The 20the Century Chian. New York. 1990.p.36.

٢- Eembree Ainsile : Encyclopedia of Asian History. Vol.London.1988.p.260.

٣- رأى «صن» إن تحقيق سيادته يجب أن تتم على ثلاث فترات وهى كالتالى :

١-عن طريق إقامة حكومة تحت السيطرة العسكرية لكى يحقق الحزب إزالة مايعترض طريق الوحدة من عقبات خارجية .

٢-أن تكون الوصاية السياسية للكومنتانج بعد إعادة تنظيم الأقاليم واستتباب الأمن فيها لتدريب الشعب على الحكم الذاتى فى كل مقاطعة ، ومساعدته على كيفية استغلال الموارد المحلية وتنشيط الصناعة والتجارة .

٣-إقامة حكومة دستورية فى كل إقليم ، ويظل حكام الأقاليم خاضعين لتوجيهات الحكومة المركزية، لمزيد من التفاصيل انظر : تشستريز : مرجع سابق ، ص١٨٩.

والواضح أن «صن» لم يخف من انضمام الشيوعيين إليه ، ويرجع ذلك إلى تأييد دولة مثل روسيا، فقد كان تأييدها تأمينا ضد العوامل الخارجية الاستعمارية وضد العوامل الداخلية أيضا ، وقد كان إعجاب «صن» بالثورة الروسية من أحد الأسباب التي دفعته للتعاون مع الحزب الشيوعي الصيني.

وفى ١٢ مارس ١٩٢٥م، توفى الدكتور صن يات صن بعد أن وقع على وصيته [١] التى حث فيها على مواصلة الكفاح من أجل وحدة الصينيين، والدعوة للتعاون مع روسيا، وتولى بعده قيادة الكومنتانج القائد (شيانج كاى شيك) [٢] الذى أدخل الصين في صراعات داخلية حاول الزعيم «ماو تسي تونج» من خلالها إحكام سيطرته على زمام الأمور السياسية فى الصين . وذلك على النحو التالى :

أولا: الفترة (من ١٩٢٥ م إلى ١٩٢٧ م):

من الجدير بالذكر أنه خلال هذه الفترة ساد الصراع الفكري والسياسي بين قادة

١- توفي «صن يات صن» متأثراً بسرطان الكبد سنة ١٩٢٥م، وقد كتب وصيته إلى حزبه جاء فيها: لقد كرست أربعين عاما من حياتي لخدمة قضية الثورة الشعبية ولم يكن لى سوى هدف واحد وهو أن تتبوأ الصين مركزها كأمة حرة مساوية فى الحقوق لسائر الأمم ، وقد أفادتني تجاربي بأنه لبلوغ هذا الهدف يجب علينا أن نوقظ شعبنا، وأن نتحالف في كفاح مشترك مع شعوب العالم التي تعاملنا على قدم المساواة ، وأن الثورة لم تنته بعد. ولابد من اتباع الخطط التي وضعتها لإعادة بناء الوطن ومبادئ الشعب الثلاثة، والبيان الذى أصدره المؤتمر الوطني الأول لحزبنا ، وليبذل كل جهد لوضعها موضع التنفيذ . ويجب أن توضع في التنفيذ تصريحاتي الأخيرة المؤيدة لعقد مؤتمر وطني لشعب الصين وإلغاء المعاهدات غير المتكافئة. لمزيد من التفاصيل انظر : كلودروا : مرجع سابق ص ٦٤ .

٢- شيانج كاى شيك : عسكري وسياسي ورجل دولة صيني درس فى الأكاديمية الحربية اليابانية للضباط عام ١٨٧٠م، وأصبح مستشار الزعيم «صن يات صن» أول رؤساء الجمهورية الصينية عام ١٩١١م، تزوج من ابنة رجل ثري صيني مسيحي الديانة، ولعبت زوجته دوراً سياسيًّا إلى جانبه وهي أخت زوجة «صن يات صن» ، اشتغل شيانج مصرفيًّا فى شنغهاى ١٩١٥م، ثم التحق بحزب الكومنتانج وصار قائداً له، حضر مؤتمر القاهرة ١٩٤٣م ، مع روزفلت وتشرشل ، لمزيد من التفاصيل انظر: عبدالوهاب الكيالي وآخرين : موسوعة السياسة، الجزء الثالث، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٩٣ ، ص ٥٠٨ .

حزب الكومنتانج ، بعد وفاة الزعيم «صن»، حيث برز اتجاهان متناقضان داخل أروقة الحزب :

الاتجاه الأول: يؤيد التعاون مع الشيوعيين فى سبيل الحفاظ على الوحدة الوطنية .

والاتجاه المعاكس : ينادي بقطع كل صلة بالشيوعيين ويتزعمه (شيانج كاي شيك) وبرغم ذلك لم تحدث قطيعة بين الاتجاهين وبقيت النزعة التعاونية بينهما بهدف المحافظة على الوحدة الوطنية .

وبالفعل عقد المؤتمر الثاني لكل عمال الصين فى مايو ١٩٢٥م بمدينة «كانتون» وقد طلبت اليابان من الصين بعد انعقاد المؤتمر أن تقوم السلطات الصينية بحل اتحاد النسيج فى شنغهاى ، وفى نفس الشهر قام حراس المصانع اليابانية بقتل أحد العمال الصينيين كما جرح عدد آخر، وأدى ذلك لقيام أزمة كبرى فى «شنغهاى» والتى يوجد بها أكبر تجمع للعمال فى مواجهة أكبر تركيز للقوى الاستعمارية ، وقام بعض الطلاب والمثقفين بجمع الأموال للعمال المصابين فتم القبض عليهم والدفع بهم إلى السجن ، وأدى ذلك لنشوب الشغب فى مدينة «كانتون» ، وقام مجموعة من الطلبة وعددهم تسعة أشخاص بالهجوم على مركز البوليس فقتلوا جميعا[١] وكان ذلك مؤشراً لاشتعال الأحداث .

وواقع الأمر أن الأحداث بلغت أشدها فى الثلاثين من مايو ، وذلك عندما قامت مجموعة من الطلبة بعدة مظاهرات يطالبون فيها بالحد من التدخل الأجنبي وإطلاق سراح العمال المعتقلين، فتعرض لهم الجنود البريطانيون وأطلقوا عليهم الرصاص وانتشرت الاضطرابات فى نواحي مختلفة من البلاد، واستمرت إلى درجة أعجزت القوات الأجنبية عن قمعها[٢].

ويذكر البعض أن عدد الهجمات التى قام بها العمال المضربون بلغت نحو ١٣٥ هجوماً من «هونج كونج» إلى بكين ، وشملت ٤٠ ألف عضو من أعضاء الحزب الشيوعي،

١- W.E. Soothill : op. cit.p. 74 .

٢- محمد فرج . التطور السياسى فى الهند والصين ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص٣٢ .

وسميت هذه الأحداث بـ «أحداث ٣٠مايو عام ١٩٢٥م» [(١)].

وعلى ضوء أحداث ٣٠ مايو قامت بريطانيا واليابان بإجراء تحقيق نتج عنه أن إطلاق النيران كان له ما يبرره، واستشهدوا على ذلك بأنه نظرا لعدم وجود أعداد كبيرة من قوات البوليس، لذا كان لابد من إطلاق النيران، وعندما علم الشعب بنتيجة التحقيق ثار فى جميع أنحاء البلاد، وأغلقت الجامعات والمدارس، ونظمت مقاومة شعبية للبضائع الأجنبية، وسرى شعار الإضراب العام ومقاطعة المنتجات الأجنبية.

وتعد مدينة «كانتون» آنذاك هى المدينة الأساسية للثورة، وما من شك أن هذه المذبحة أعطت درساً قاسياً وحافزاً للثورة الصينية للقضاء على الامتيازات الأجنبية للدول الاستعمارية ، ذلك أن إطلاق النيران كان من قلب مستعمرة في كانتون.

وانتشر الإضراب في أماكن أخرى ومنها مستعمرة «هونج كونج» وغادر نحو ٣٠ ألف عامل المستعمرة واتجهوا إلى كانتون، وبذلك انضمت عناصر جدية للثورة، وبدأ ينظمون قواتهم للقيام بأعمال عسكرية للقضاء على أمراء الحرب، وهم الأدوات الداخلية للسيطرة الاستعمارية.

وفى عام ١٩٢٦ م قرر الكومنتانج غزو مقاطعات الشمال لتوحيد الصين من أيدى أمراء الحرب، فاتجه (شيانج كاى شيك) على رأس خمسة جيوش وطنية لتحرير هذه المقاطعات، وتم الاستيلاء على مدن هوبى وهانكو وهاتيانج . وفى أول يناير ١٩٢٧م انتقلت الحكومة الوطنية من كانتون إلى مدينة ووهان التى تضم وتشانج وهانكو وهيانيانج على نهر اليانجستي.

وحقيقة الأمر أن انتصار الجيوش الوطنية يرجع إلى النظام المحكم فى المعارك، والدعاية القومية التي استخدمت لجلب الجماهير الشعبية من العمال والفلاحين فى هذه المقاطعات للوقوف بجانب الجيوش الوطنية.

وأثناء دخول الجيش الثورى مدينة نانكنج فى عام ١٩٢٧م ، هاجمت القوات التى

١- Maki John : op.cit.o.126.

كان يقودها الشيوعيون القوات الأجنبية المرابطة بالمدينة، واتخذت الدول الأجنبية هذه الحادثة ذريعة، وقامت المدمرات الأمريكية والبريطانية الراسية على نهر اليانجستي بقصف المدينة بالقنابل ، وأتبع ذلك إنذار أمريكي بريطاني فرنسي إيطالي مشترك موجهاً (لشيانج كاي شيك) بالتحالف معهم أو وقوفهم ضده[1].

ونظرا لاتجاهات «شيانج كاى شيك» وموقفه من الشيوعيين ، أقام حكومة وطنية فى مدينة «نانكنج» جميع أعضائها من سياسيين وعسكريين من حزب الكومنتانج فقط، دون اللجوء للقيادات الشيوعية ، واعتبر هذا العمل من جانب «شيانج» خيانة لحكومة الثورة التي كانت مشكلة من قبل فى «كانتون» وبذلك قبل شيانج عرض الدول الاستعمارية فى التحالف معها، والقضاء على الحزب الشيوعي الصيني من خلال ملاحقة قادة وزعماء الحزب .

وعلى هذا الأساس تمكنت الدول الاستعمارية من ترويض الثورة الصينية، وحولت حكومة «شيانج» إلى حكومة تعتمد عليها اعتماداً كبيراً وتستخدمها للقضاء على الشيوعيين.

هذا فى الوقت الذى سارع فيه ماوتسي تونج إلى مدينة شنغهاي للمشاركة مع رفاقه فى إضرام الاضطرابات العمالية تمهيدا لاستقبال القائد «شيانج» غير أن القائد المظفر - والذي كان ينتمى للبرجوازية الكبيرة - ما لبث أن انقلب على حلفاء الأمس من الشيوعيين بمجرد دخوله إلى المدينة فى عام ١٩٢٧م ، وأخذ شيانج في ممارسة القتل والتنكيل بالآلاف منهم ومن أنصارهم، وبحيث قضى فعليًّا على الخلايا الشيوعية والعمالية فى المناطق الحضرية فى عدد من أهم المقاطعات التى انتشرت فيها [2].

ويشير المؤرخ الصيني (جيان بوه تسان) إلى أن السبب الحقيقي فى فشل التحالف الثوري بين الكومنتانج والشيوعيين هو القوى المعادية للثورة والوحدة الصينية

١- محيى الدين فوزى وإبراهيم عارف كيره : شواين لاى وقفزة الصين للأمام ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة (د.ت) ص ٦٦ .

٢- حنان قنديل : مرجع سابق ، ص، ص ٤١ ، ٤٢ .

المتمثلة فى القوات المتحالفة الأجنبية ، وخيانة حزب الكومنتانج وأطماع قائده شيانج كاى شيك [1].

ومما سبق يتضح أن أبرز مظاهر الضعف فى الكومنتانج هو عدم الاتفاق بين قادته على الأهداف الاجتماعية للثورة الوطنية ، وكذلك على الأولوية بين الثورة الاجتماعية أو التوحيد الوطنى ، ولذا ساد الصراع الفكرى والسياسى بين قادته ، وذلك إلى جانب أهداف الدول الاستعمارية فى عدم استقرار الصين داخليا.

ثانيا : الفترة (من ١٩٢٧م إلى ١٩٣٧م) :

فى واقع الأمر أن انقلاب القائد شيانج على الشيوعيين ، وإعلانه الحرب عليهم عام ١٩٢٧م ، جعل بعض أعضاء الحزب الشيوعى الصينى يتساءلون عن جدوى المقاولات الماركسية اللينينية وعن مدى صحة تحليلاتها بالنسبة للثورات الاشتراكية فى البلدان المتخلفة شبه المستعمرة ، فمن ناحية أثبتت الطبقة البرجوازية الصينية خيانتها لتسقط الثورة الصينية ، لكن الدور التاريخى الذى تصوره لها كل من ماركس ولينين فى تهيئة الظروف الموضوعية لشن الثورة الاشتراكية ، ومن ناحية أخرى ، بدأ النقاش يدول حول مسألة الإصرار على أن يكون الطبقة العاملة هى القائدة لمختلف القوى الاجتماعية نحو تحقيق الثورة الاشتراكية ، لقد أصبح من الضرورى إدخال التعديلات على هذه الرؤية حتى تتواءم مع حقيقة موضوعية فى الواقع الصينى لم يكن تجاهلها ممكناً حتى من أشد المتحمسين لتطبيق مقولات آباء الماركسية.

وأما هذه الحقيقة الموضوعية ، فهى أن الصين بلد يشكل فيه الفلاحون القسم الأكبر من السكان ، ومن ثم فإن أى استراتيجية ثورية تسقط دورهم أو تقلل من أهميته لاشك ستعانى خللا كبيراً لايمكن مداواته ، وكان ماوتسى تونج هو قائد هذا الاتجاه فى الحزب الشيوعى الصينى ، ولم يلبث أن طرح وجهة نظره فى تقرير قدمه إلى المؤتمر الخامس للحزب، والذى عقد فى شنغهاى بعد خمسة عشر يوماً من وقوع المذبحة الكبرى

---

١ - جيان بوه تسان وآخرون : مرجع سابق ، ص ١٤.

بشنغهاى، أما التقرير فكان بعنوان «تحقيق حول الحركة الفلاحية فى هونان» [١].

وقد انتهى (ماو) فى تحقيقه إلى ضرورة إعادة تصميم الثورة الديمقراطية بحيث تضع الفلاحين على رأس اهتماماتها ، كما أكد مضمون التقرير بوضوح أن الفلاحين - وليس العمال - هم الطبقة التى ينبغى أن تعتمد عليها الثورة إذا كان لها أن تنجح وتبلغ غايتها ، خاصة وقد أثبت الفلاحون قدرتهم على تنظيم أنفسهم فى اتحادات وتعاونيات دونما حاجة لقيادة العمال .. ويستطرد «ماو» قائلا :

إن الفلاحين يمكن أن يقودوا الثورة ، ليس فقط فى مرحلتها الديمقراطية ولكن فى مرحلتها الاشتراكية أيضا ، باعتبارهم الطبقة القائدة حتى فى مرحلة الثورة الاشتراكية ، ومايترتب على ذلك بالضرورة من أن يكون الحزب الشيوعى نفسه «من» الفلاحين وليس العمال (إذ كيف سيقود الفلاحون الثورة؟) ولاشك ان هذا كان يطرح رؤية نظرية جديدة مخالفة لما قدمه رواد الماركسية الأوائل وماتمسك به قادة الكومنترن فى توجيهاتهم [٢] .

والواقع أن ظروف الصين وحدها هى الفيصل فى اختيار ما يناسبها ، وإذا كانت موسكو وقادة الكومنترن قد تمسكا من قبل بنموذج الثورة التى تقودها البرجوازية ثم العمال فى المدن ، فإن مذبحة شنغهاى قد أغلقت هذا الملف تماما ، ثم إن العمال الحضريين لا يمثلون سوى نسبة ضئيلة للغاية من مجموع الشعب الصينى ، لذا ليس هناك مايبرر إلقاء عبء الثورة على كاهلهم وظروفهم فى الصين مختلفة عن نظيرتها فى الدولة السوفييتية ، وأخيراً أعلن «ماو» نبوأته بالنسبة للفلاحين فى عبارات قاطعة: «... لن تنقضى إلا فترة قصيرة حتى يهب مئات الملايين من الفلاحين فى المقاطعات بسرعة خارقة وقوة جارفة ، ولن تستطيع أية قوة مهما تكن عظيمة ، أن تقف فى وجههم.. وسوف يقذفون فى غياهب القبور بجميع الإمبرياليين وأمراء الحرب

١- كانت مقاطعة هونان فى تلك الأيام أحد المواقع الرئيسية التى شهدت نجاح الحزب الشيوعى فى تنظيم حركات المقاومة الفلاحية . لمزيد من التفاصيل انظر : ماوتسى تونج : المؤلفات المختارة ، المجلد الأول ، مرجع سابق ، ص ٧٧ .

٢- حنان قنديل :مرجع سابق، ص٤٢.

والموظفين الفاسدين والعتاه المحليين والوجهاء الأشرار . أما الأحزاب الثورية والرفاق الثوريين فإنهم سيجدون أنفسهم جميعا أمام اختبار الفلاحين ... فهل نسير على رأس الفلاحين ونقودهم ، أم نقف خلفهم ؟ أم نختار مناهضتهم ؟ إن لكل صينى الحرية فى أن يختار أحد هذه المواقف الثلاثة ، بيد أن الظروف ستجبرنا على الاختيار العاجل» [١] . وقد اختار ماو بالفعل ، أن يتبع الفلاحين ، وأن ينذر جهوده منذ هذه اللحظة لوضع معتقداته بالنسبة لهم موضع التنفيذ .

وقد عبر «ماوتسى تونج» عن تكنيك الشيوعيين فى السيطرة على الريف قائلا «بما أن الاستعمار القوى وحلفاءه من الصينيين ، قد احتلوا مدن الصين الرئيسية منذ مدة طويلة فإنه يجب على قوات الثورة مواصلة النضال بصلابة وتحول القرى المتأخرة إلى قواعد متقدمة ومدعمة ، وقلاع عسكرية وسياسية واقتصادية وثقافية حتى يمكنها محاربة العدو الضارى الذى يستغل المدينة ليهاجم المناطق الريفية ، وعن طريق النضال المستمر نستطيع أن نكسب بالتدريج النصر الكامل للثورة [٢] .

والواقع أن سجل القائد الصينى قد حفل بتجارب ثرية مع الفلاحين وتنظيماتهم فى الفترة التى تلت انضمامه لصفوف الحزب الشيوعى الصينى ، ففى عام ١٩٢٦م ، احتل «ماوتسى تونج» منصب مدير معهد الحركة الفلاحية القومية ، وهى مدرسة كان قد أنشأها حزب الكومنتانج فى مدينة كانتون بهدف الإشراف على تدريب الكوادر الفلاحية ، ومن هنا أتيحت له فرصة التعرف عن كثب على مختلف الشرائح التى تتكون منها طبقة الفلاحين ، الأمر الذى عاونه على بلورة أفكاره الأشد تأثيراً على هذه الطبقة فى كتابه «تحليل الطبقات فى المجتمع الصينى» عام١٩٢٦م، وتقريره عن الحركة الفلاحية فى هونان عام ١٩٢٧م .

وعندما وقعت كارثة الصدام المأساوى مع الكومنتانج واختلف «ماو» مع قيادات الحزب الشيوعى الصينى حول أساليب العمل فى المرحلة التالية ، جمع الزعيم «ماو» العديد

١- ماوتسى تونج : مؤلفات ماوتسى تونج المختارة ، المجلد الأول ، مرجع سابق ، ص ٣٠.

٢- محيى الدين فوزى وإبراهيم عارف كيره : مرجع سابق ، ص ٦٨ .

من فلول الحزب وانسحب إلى الحدود الفاصلة بين مقاطعتى هونان وكيانجسى ، وهناك استقر فى جريشين فى الجنوب الشرقى من مقاطعة كيانجسى لإقامة ماعرف بالسوفييتية الأولى ، وفضلا عن أن هذه السوفييتية كانت قاعدة لأول حكومة ثورية تتحدى الحكم الفعلى «لشيانج كاى شيك» ، فإنها كانت أيضا معمل اختبار للأفكار والمقولات التى سبق أن طرحها «ماوتسى تونج» بالنسبة للفلاحين وحركتهم الثورية ، وقد استطاع «ماو» أن ينشىء فى هذه السوفييتية أول قيادة مركزية ينتظم الفلاحون فى صفوفها من أجل الإعداد للمرحلة الجديدة من الثورة .

وفى هذه المنطقة المعزولة من مقاطعة كيانجسى عكف «ماو» على تأليف بعض الكتب التى تناول بعضها موضوعات كأساليب التنظيم والقيادة ، كما ناقش بعضها الآخر المبادئ والسياسات التى يتعين على الحزب اتباعها ليكتب للثورة الاستمرار والنجاح[١]. وفى كل هذه المؤلفات ، امتزجت الأفكار بالممارسات السياسية العملية التى تحققت لماو بين صفوف الفلاحين ، وبرهن «ماوتسى تونج» على قدرته المتميزة - هو ومن تبعه - على النهوض بعمليات تعبئة الفلاحين وتنظيم صفوفهم ، وهى العمليات التى تأيدت بفضل إجراءات الإصلاح الزراعى التى كان «ماو» قد بدأها فى ذلك الوقت [٢] . وهكذا تهيأت للقائد الكبير فرص هامة للعمل مع الفلاحين ، وهو ماأمده دون شك بمبررات قوية للتمسك بمقولاته التى تخص دورهم الثورى .

---

١ - من هذه الكتابات «حول تصحيح الأفكار الخاطئة فى الحزب» ، «ورب شرارة أحرقت سهلاً» وكتبها ماو فى عامى ١٩٢٩م و ١٩٣٠م على التوالى . وفى كل منهما حدد ماوتسى تونج دعوته بضرورة تصحيح الأفكار الحزبية التى تحول دون تعاون الشيوعيين مع الفلاحين . . لمزيد من التفاصيل انظر: ماوتسى تونج : المؤلفات المختارة ، المجلد الأول ، مرجع سابق ، ص ٧٦ .

٢- لم يتورط «ماو» فى هذا الوقت فى التأميم الكامل لأراضى كبار الملاك وما إلى ذلك من الإجراءات التى اعتقد أنها تنتمى بصورة أكبر للمرحلة الاشتراكية وليس مرحلتها الديمقطراطية البرجوازية ، وقد عبر ماو عن رأيه فى هذا الموضوع فى مقاله «عن الحكومة الائتلافية» والذى ألفه فى عام ١٩٤٥م . لمزيد من التفاصيل انظر : ماوتسى تونج ، المؤلفات المختارة ، المجلد الثالث ، مرجع سابق ، ص ص ٣٣٧ - ٣٤٤ .

ومما يشار إليه أن أول إجراء اقتصادي اتخذه «ماو» هو إنشاء مصانع للورق والغزل والنسيج وتكرير السكر والتعدين وصناعة الأدوات الزراعية بمنطقة جوتشين بولاية كيانجسى .

وإلى جانب ذلك انتشرت المدارس وأنشأ «ماو» جريدة يومية أخذ ينشر فيها آراءه وأفكاره الثورية في الإصلاح والتغيير الاجتماعي وموقفه من الكومنتانج المتآمر على وحدة الصين مع الدول الاستعمارية بقيادة قائده «شيانج كاي شيك».

وبناءً على ذلك فقد نشأ صراع بين حزب الكومنتانج المسيطر على المدن الصينية، والحزب الشيوعي المسيطر على معظم الريف ، والذى أسس حكومة مركزية له فى جوتشين Juichin ، بولاية كيانجسي وأطلق عليها السوفييتية الأولى ، أو جمهورية الصين السوفييتية.

واستطاع الحزب الشيوعى أن يدعم الجمعيات السرية التى تكونت فى البلاد آنذاك ، ومنها جمعيات «الحرب الحمراء» و«السكاكين الصغيرة» و «الحرب الصفراء» وتمكن من ضمهم إلى الحزب وإدخالهم في تكوين الجيش الأحمر[1] .

وتمكنت قوات الكومنتانج في عام ١٩٢٨م، من السيطرة على مدينة «بكين» وأصبحت الصين دولة موحدة تحت حكومة موحدة واتخذت من «نانكينج» عاصمة لها ، وجرى تغيير اسم بكين ليصبح «بيين» وتعني (السلام الشمالي) ، وذلك بعد أن تمكن «شيانج» من الإطاحة برئيس حكومة الصين الشمالية وهو أحد أمراء الحرب في الصين .

وكان إخضاع الصين وما تلى ذلك من اعتراف الدول الغربية واليابان بحكومة «نانكينج» فى عام ١٩٢٨م، نهاية للمرحلة العسكرية، وبداية للوصاية الداخلية

١ - الجيش الأحمر : هو منظمة مسلحة تعمل على تحقيق الأهداف السياسية للثورة الشيوعية بقيادة الزعيم (ماو) وكان الجيش الأحمر آنذاك يتكون من نحو ٣٠ ألف مقاتل تجمعوا فى ولاية «كيانجستى» فى أغسطس عام ١٩٢٧م، ويعتبر هذا اليوم تاريخاً لميلاد الجيش الأحمر ، حتى إن أفراده كانوا يضعون الأرقام الصينية المقابلة لهذا التاريخ كرمز على شعار النجمة الحمراء ، ويحتفل بهذا التاريخ حتى اليوم باعتباره يوم الجيش الأحمر. لمزيد من التفاصيل انظر: أبشتاين : مرجع سابق ، ص ١٣١ .

العسكرية، وتميز هذا التحول الداخلى بصدور قانون يعد بمثابة دستور مؤقت، وكان هذا الدستور فرصة لدكتاتورية الكومنتانج، وأصبح الحزب هو الذى يشرع القوانين ويقوم بتنفيذها، واحتفظ «شيانج» بزعامة الحزب والقيادة العامة للجيوش الوطنية، ومن هذا المنطلق بدأ «شيانج كاى شيك» يعد العدة لمكافحة الشيوعيين فى شتى أنحاء البلاد .

وعندما حاول الجيش الأحمر الشيوعى أن يجمع قواته فى عام ١٩٣٤م، ويتبع أسلوب الحرب المباشرة «حرب المواقع» بدلا من حرب العصابات أو التكتيك الريفى، فى وقت كانت جيوش الكومنتانج هى الأقوى من حيث التسليح بفضل دعم الدول الاستعمارية، اضطر الجيش الأحمر أن يتخلى عن قاعدته المركزية فى ولاية كيانجسي، متجها إلى إقليم «شانسى» فى أقصى الشمال وهذا الزحف أطلق عليه «المسيرة الكبرى» أو «الهجرة الكبرى» واستمر هذا الزحف قرابة عام كامل، اخترق خلالها مقاتلو الجيش الأحمر السلاسل الجبلية والجبال العالية، وتغلبوا على الحواجز الطبيعية كالأنهار وساروا فوق المستنقعات حتى أنهى الجيش مهمته، وخلال تلك المسيرة الكبرى أصبح «ماوتسى تونج» يمثل القوة القيادية الأولى فى الحزب الشيوعى [١] أو بمعنى آخر أصبح الزعيم الشيوعى الأول فى الصين .

ومنذ ذلك الحين أكد «ماوتسى تونج» على أن المبادئ العسكرية فى مرحلة كفاحه يجب أن تتعدد فى أربع قواعد تتضمن [٢] :

١ـ **الحركية**: بمعنى نشر القوات بطريقة جيدة وتركيز القوات لمجابهة العدو .

٢- **التكيف**: بمعنى أنه فى حالة تقدم العدو يجب التراجع وهذا كان مستنفذاً يجب ضربه وهذا كان متقهقراً يجب ملاحقته .

٣- **التقدمية**: تعنى خلق قواعد ثورية ثابتة بغرض التقدم فى موجات ويجب الدوران فى حلقة فى حال التعقب من قبل عدو قوى .

١- Lexicon Universal Encyclopedia : New York 1968. p.375.

٢- أدمون جوف : علاقات دولية، ترجمة/ منصور القاضى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٣ . ص ٣٦٣ .

٤ - **الفاعلية**: فيقصد بها استخدام الظروف المناسبة لتحقيق مكاسب ملموسة، وبدأ ماوتسي تونج فى تلقين الشيوعيين مبادئ الأيديولوجية الحزبية والسياسات المتعلقة بإصلاح الأراضي [١].

وفي عام ١٩٣٤م كتب «ماو» قائلا : يجب علينا بأي شكل من الأشكال ألا نتجاهل أو ننقص من قدر مسألة المصالح العاجلة التي تكمن فى سعادة الشعب ، لأن حرب الثورة كانت حرب الشعب والتي يمكن أن تنشب فقط عن طريق تحريك الشعب والاعتماد عليه... ويستطرد في حديثه قائلا : ويجب أن نقود كفاح الفلاحين من أجل الأرض ونقسم الأرض بينهم .. نؤمن مصالح العمال .. ننمي التجارة مع المناطق الخارجية ، نحل المشاكل التى تواجه الشعب مثل المأكل والملبس والمسكن والصحة وأيضا مشكلة الزواج [٢] .

وأعلن «ماو» أن ثورة الفلاحين نتيجة حتمية للمظالم التى ظل يرتكبها ملاك الأرض وموظفو الحكومة الرسميون أزماناً طويلة ، ولهذا فإنه كلما استفحلت المظالم في منطقة من مناطق الصين ، عظمت حدة الثورة ، وإذا كانت سلطة ملاك الأرض عميقة الجذور للغاية في المجتمع الصيني ، فلا بد لثورة الفلاحين – كما قال ماو – أن تكون من القوة والعنف بحيث تجتث سلطان ملاك الأرض من جذوره [٣] . وبعد أن استقر الشيوعيون في الشمال الصيني ، وأعلنوا عن حكومة جديدة بمدينة «باوان» برئاسة «ماو» بدأ تنظيم الجيش من جديد تنظيماً محكماً والرفع من مستواه القتالى [٤] .

ثالثا : فترة الحرب الصينية اليابانية (١٩٣٧م إلى ١٩٤٥م) :

في أثناء مطاردة «شيانج كاى شيك» للجيش الأحمر الشيوعى استولت اليابان على مدن الصين الشمالية ، كما استولت على شنغهاي ونانكنج وكانتون وهانكاو ، ولم

١- Howard Micheal and Roger Louis : The Oxford History of the Twenty Century. Oxford university press 1998,p.220.

٢- Ibid : p.232.

٣- فؤاد محمد شبل : مرجع سابق ، ص ٢٦١ .

٤- محمد نعمان جلال : الصراع بين اليابان والصين ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ١٩٨٩ ، ص ٧٧ .

يبد القائد «شيانج» اهتمامه بذلك وانحصر فكره فى شعاره «الوحدة قبل المقاومة» أى ضرورة العمل على توحيد البلاد وتقويتها قبل الاتجاه لمقاومة اليابان [١] .

وكان مؤدى هذا الشعار ، جعل الأولوية للقضاء على الشيوعيين، وترك اليابان لتحقيق المزيد من التوسع والحصول على امتيازات فى الصين .

وفى ظل تجاهل الاعتداء اليابانى من جانب القائد «شيانج كاى شيك» وموقفه من الشيوعيين ، اندلعت مظاهرة كبرى قام بها طلبة جامعة بكين فى التاسع من ديسمبر عام ١٩٣٥م ، وقد كانت هذه المظاهرة بداية لحركة واسعة النطاق فى جميع أنحاء الصين تدعو لوقف القتال أو الصراع الداخلى والاتحاد من أجل مقاومة اليابان [٢] .

وعليه فقد وجه «ماوتسى تونج» نداء يدعو فيه القائد «شيانج» بأن يفتح عينيه ليرى الخطر اليابانى ، وأن يقدم المصلحة الوطنية على المصلحة الطبقية ، وأصدر «ماو» سنة ١٩٣٥م بيانه الشهير إذ يقول فيه : «إذا استمر العدوان ، فإن بلادنا التى يرجع تاريخها إلى خمسة آلاف عام سوف تتحول إلى مستعمرة ، لقد أصبحت مقاومة الغزو اليابانى واجباً مقدساً على كل مواطن صينى .

وتقدم الحزب الشيوعى بعدة مقترحات ترمى إلى توحيد الصفوف وإلى وضع برنامج محكم لمقاومة العدو اليابانى وأهم هذه المقترحات هو البرنامج ذو العشر نقاط الذى عرضه «ماو» على حزب الكومنتانج على النحو التالى[٣] :

١ – تحطيم الاستعمار اليابانى .

٢ – التعبئة العامة لخوض غمار الحرب .

٣ – تجنيد الشعب كله .

٤ – تنظيم هيكل الدولة من جديد .

---

١ – Maki John : op.cit.p. 40.

٢ – Ibid : p.41.

٣ – ماوتسى تونج : مؤلفات ماوتسى المختارة ، المجلد الأول ، مرجع سابق ، ص ٣٨٧.

٥- اتباع سياسة خارجية معادية لليابان .

٦- تحسين ظروف حياة الشعب .

٧- سلوك سياسة مالية واقتصادية ذات صبغة حزبية .

٨- توجيه التعليم حتى ينسجم مع الكفاح ضد اليابان .

٩- تعزيز المؤخرة بتطهيرها من الخونة ومن العناصر الموالية لليابانيين .

١٠- توجيه الأمة باسم الكفاح المقدس ضد الغزاة اليابانيين .

وبالفعل تم التعاون بين الشيوعيين والكومنتانج بهدف مقاومة اليابان وجاء هذا التعاون فى صيغة اتفاق مؤقت بين الجانبين من أجل كبح العدوان اليابانى ونص الاتفاق على البنود التالية [١] :

١- انضمام الجيش الشيوعى لقوات الكومنتانج .

٢- موافقة حكومة نانكينج الرسمية على حكم الجيش الأحمر لإقليم «شانسى» .

٣- موافقة الشيوعيين على التراخى فى تنفيذ برنامجهم الاشتراكى .

وعبر «ماوتسى تونج» عن إبعاد استراتيجية الكفاح العسكرى فى عدد من الأعمال الهامة لعل على رأسها مخطوطيه «عن الحرب الممتدة» «وقضايا الحرب والإستراتيجية» ، وقد ألفهما معا فى عام ١٩٣٨م.

وقد أقام «ماو» استراتيجيته العسكرية على اعتقاد راسخ فى أن الانتصار على اليابانيين لايمكن أن يتحقق بمواجهتهم فى المدن الصينية فى حروب نظامية خاطفة . فالأسلوب الأمثل هو أن يتم سحب الغزاة إلى العمق الصينى (أى المناطق الريفية) وإجبارهم على خوض حروب ممتدة يواجهون فيها عصابات غير نظامية من الفلاحين ، لقد كانت الآلة العسكرية اليابانية شديدة التفوق ، ولم يكن ثمة أمل فى مجاراتها بعد أن سخر «شيانج كاى شيك» وحكومته معظم القوات العسكرية لمطاردة الشيوعيين واقتفاء آثارهم بدلا من توجيهها لقتال اليابانيين .

١- Howard Michael and Rager louis : op.cit.p.220.

ولقد أثبتت الأحداث صدق ظنون ماوتسى تونج حينما تهاوت المدن الصينية الكبرى واحدة تلو الأخرى أمام قواتهم ، لذا كان البديل هو الاعتماد على هذه الأعداد الهائلة من الفلاحين ، والتى لم يكن اليابانيون بالنسبة لها سوى قطرة فى بحر ، وبعد أن اطمأنت قوات المقاومة إلى أن اليد الطولى أصبحت لها ، فإن على الفلاحين حينئذ أن ينتقلوا من مواقعهم الريفية لمحاصرة المدن التى سقطت فى يد المحتلين ، وبهذه الطريقة وحدها يمكن تحقيق النصر الرادع الناجع ضد القوات اليابانية الغازية ، وبسبب رؤيته العسكرية هذه ، واجه ماو نقداً شديداً من ستالين والكومنترن ، كما وقعت صدامات عنيفة بينه وبين ممثليهم فى الحزب الشيوعى الصينى وعلى رأس هؤلاء كان «وانج منج» وأراد الأخير - وبمباركة من الدولة السوفيتية وتنظيم الشيوعية الدولية - أن تصمم الحرب ضد اليابان بحيث ترتكز على المدن ، مع الاعتماد على العمال الحضريين لقيادة مختلف الطبقات الأخرى ، وعندما تتم المواجهة بنجاح فى المناطق الحضرية ، يتحرك المقاتلون إلى المناطق الريفية لمطاردة ماقد يبقى من فلول المحتلين ، غير أن الهزيمة التى منى بها هذا الاتجاه فى عام ١٩٣٨م بسقوط عدد من المدن الصينية التى علقت عليها آمال المقاومة ، هذه الهزيمة ما لبثت أن عضدت موقف «ماوتسى تونج» فى الداخل والخارج معا ، مما كان له أبلغ الأثر فيما بعد على نجاح سياساته وعلى نجاحه هو شخصيًّا فى بلوغ قمة السلطة .

وبعد مواجهات دامية مع القوات اليابانية ، وإعلان الاتحاد السوفيتى الحرب على اليابان ، وقيام الولايات المتحدة الأمريكية بضرب هيروشيما بالقنابل فى ٦ أغسطس ١٩٤٥ ونجازاكى فى ٩ أغسطس من نفس العام ، اضطرت اليابان لطلب الصلح وتخلت عن جميع مستعمراتها فى الصين وشرق آسيا عامة .

وخلال حرب المقاومة نظرت معظم فئات المجتمع إلى الحزب الشيوعى باعتباره حزب الأمة ، وازداد عدد الأعضاء من ٤٠ألفاً عام ١٩٣٧م إلى ١,٢٠٠,٠٠٠ عام ١٩٤٥م ، كما ازداد عدد الجيش الشعبى من ٣٠ ألفا عام ١٩٣٧م بعد نهاية المسيرة الكبرى إلى ٩١٠ آلاف، بالإضافة إلى مايزيد عن مليونين وخمسمائة ألف رجل مسلح

يكونون ميليشا الشعب .

وبالنسبة للقواعد الثورية ففى عام ١٩٣٧م كان للحزب الشيوعى قاعدة ثورية واحدة فى ركن فقير شمال غرب البلاد تعداد سكانه نحو مليون وخمسمائة ألف ، وما أن حل شهر أبريل ١٩٤٥م أى قبل استسلام القوات اليابانية بخمسة شهور حتى كانت المناطق المحررة تضم نحو ٩٥ مليون نسمة بإدارات محلية حسنة التنظيم[١]، ومع نهاية الحرب تمكن الشيوعيون من السيطرة على الأقاليم فى شمال الصين ، والتى بلغ سكانها نحو ١٠٠ ملايين نسمة [٢] .

وتجدر الإشارة إلى أن الحزب الشيوعى عقد مؤتمره الوطنى السابع فى عام ١٩٤٥م، وأجاز المؤتمر بالإجماع التقرير السياسى «حول الحكومة الائتلافية» الذى قدمه «ماوتسى تونج» وحلل فيه الوضعين الدولى والمحلى ، ولخص تجربة الحزب فى قيادة الثورة الديمقراطية الجديدة [٣] خصوصا أثناء حرب المقاومة ، وصاغ برنامجاً شاملاً لكل من الحزب والأمة من أجل بناء صين جديدة ، وأوضح المؤتمر أن الانتصار فى قضية الديمقراطية يمكن ضمانه بالاعتماد على جيش التحرير الشعبى وعلى وحدة شعب البلاد بأسرها وأهاب المؤتمر بدور الحزب والشعب فى حرب المقاومة ، وأيضا من أجل إقامة حكومة ائتلافية ديمقراطية .

هذا فى الوقت الذى كان فيه (شيانج) ينظر إلى الشيوعيين ، بأنهم العدو الرئيسى ، وأنه يجب إبادتهم ، ومن ثم فإن الاتفاق المؤقت الذى وقع بين الحزبين كأن لم يكن ، وبدأت مرحلة جديدة من مراحل الصراع السياسى الداخلى فى الصين .

١- ابشتاين : مرجع سابق ، ص ص ١٥١ - ١٥٢ .

٢- Lexicon Universal Encyclopedia :op.cit.p.316.

٣- الثورة الديمقراطية الجديدة : هى ثورة الجماهير الشعبية ضد الاستعمار والإقطاعية تحت قيادة البروليتاريا، وكان «ماو» يرى أنه يجب على الصين اجتياز هذه الثورة قبل أن تتمكن من السير نحو المجتمع الاشتراكى . لمزيد من التفاصيل انظر : ماوتسى تونج : الثورة الصينية وبعض قضاياها ، مرجع سابق ، ص ٤٦ .

رابعا : الفترة (من ١٩٤٦ إلى ١٩٤٩م) :

بعد انتهاء حرب المقاومة ضد اليابان ، خطط الكومنتانج لإقامة حكم ديكتاتورى فى سائر أرجاء الصين ، ولجأ إلى استخدام القوة العسكرية التى بناها فى أثناء الحرب ، والأسلحة الأجنبية التى تلقاها ، لشن حرب أهلية واسعة النطاق ، وسحق الحزب الشيوعى الصينى وكل قوى الشعب الثورية .

وسعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تحل محل اليابان فى السيطرة على الصين، وذلك بتقديم المساعدات المالية والحربية لحزب الكومنتانج فى صراعه ضد الشيوعيين[١].

وفى المرحلة الأولى من الصراع بين الحزبين فى هذه الفترة والتى استمرت من منتصف ١٩٤٦م حتى يوليو عام ١٩٤٧م انسحبت قوات الجيش الشيوعى من عدة مدن بما فى ذلك «باوان» التى كانت مقر قيادته القديمة ، واتخذ الشيوعيون مرة أخرى تكتيك «ماوتسى تونج» الريفى وإرهاق جيوش الكومنتانج فى مراكزه الثابتة فى المدن بهجمات مفاجئة .

وأثناء ذلك أبرمت حكومة «شيانج كاى شيك» مع الولايات المتحدة الأمريكية معاهدة صداقة وتجارة وملاحة تمكن الحكومة الصينية من إعانات مالية بينما تمنح الحكومة الأمريكية امتيازات هامة وقواعد حربية . وذلك إلى جانب تدفق البضائع الأمريكية للأسواق الصينية مما نتج عنه إغلاق بعض المصانع الصينية لعدم القدرة على المنافسة . وسرعان ماقامت اضطرابات العمال والطلبة فى أغلب المناطق الصينية ضد حكومة «شيانج» وسياستها تجاه الولايات المتحدة الأمريكية .

ولا شك أن هذا الوضع لم يكن ليرضى قسماً كبيراً من الشعب الصينى الذى أخذ يحتج على ماوصلت إليه الصين من وظيفة شبه استعمارية . يضاف إلى ذلك السلوك السيئ

١- تهانى محمد شوقى عبد الرحمن : السياسة الأمريكية الجديدة تجاه الصين وتطورها ، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٩٧ ، ص ٢٩ .

الذى كان يسلكه الأمريكان جنوداً كانوا أم مدنيين والذى يتمثل فى احتقار الصينيين إلى أقصى درجة ، وانتهاك حرمة النساء مما كان يعين على استفزاز لشعور الشعب ويتسبب فى حوادث دامية فى أغلب الأحيان .

وعلى الجانب الآخر أخذ «ماو» موقعه فى الريف الصينى يصادر الأراضى الزراعية من الإقطاعيين ويوزعها على الفلاحين ويلغى كل الديون الزراعية المتجمعة على الفور.

ومما هو جدير بالذكر أن الحزب الشيوعى بقيادة الزعيم (ماوتسى تونج) طوال ثورته ونضاله حاول الحفاظ على ارتفاع الروح المعنوية لقواته المقاتلة فاتجه لكفالة ثلاثة عوامل (١) :

الأول : أهلية القيادة وكفايتها للاضطلاع بواجباتها . فلا تعرف المحسوبية سبيلها إلى مراكز الجيش جميعها .

الثانى : تثقيف الجنود عن طريق التوعية ليكونوا على بصيرة بالقضية التى يبذلون دماءهم فى سبيلها .

الثالث : توفير الاحتياجات المادية للجيش . وكان الجيش يضطلع بتوفير احتياجاته لنفسه فلا يكلف حكومته شيئا . إذ كان يمنح كل جندى أو ضابط قطعة أرض يتولى زراعتها بنفسه فى وقت السلام أو ينيب غيره إبان الحروب ويرتدى الضباط والجنود نفس الزى وليس للضباط أندية أو مستشفيات أو أماكن للطعام منفصلة عن الجنود ، ويحكم الحزب تصرفاتهم جميعا، وهذا ماعبر عنه ماو بقوله «نعتنق مبدأ أن الحزب يهيمن على المدفع ولانسمح إطلاقاً للمدفع بالتحكم فى الحزب» (٢) .

وقد أثر الإصلاح الزراعى الذى تبناه «ماو» على معنويات قوات الكومنتانج ، فقد

١- فؤاد محمد شبل : مرجع سابق ، ص ٢١٨ .

٢- ماوتسى تونج : مؤلفات ماوتسى تونج المختارة ، المجلد الثانى ، مرجع سابق ، ص ٢٧٢ .

منح أفراد حزب الكومنتانج الذين كانت ديارهم تقع فى مناطق يحتلها الجيش الشعبى أرضاً كأى فلاحين آخرين ، ولعل هذه لفتة ذات أثر بعيد من جانب الشيوعيين ، فلم يكن باستطاعة هؤلاء الجنود أن ينظروا إلى الشيوعيين الذين منحوهم وعائلاتهم الأرض نظرة عداء .

ومن هنا بدأت قوات «ماو» تحرز النصر تلو الآخر ، فلم يحل نهاية عام ١٩٤٨م ، إلا وكانت الصين تقريبا فيما يلى نهر اليانجستى شمالاً فى قبضة الشيوعيين .

وعلى الرغم من المحاولات التى قامت بها الولايات المتحدة الأمريكية للصلح بين الطرفين ، بعد أن استشعرت ضعف الكومنتانج وقيادته السياسية فى مواجهة الشيوعيين ، ولم تكن الولايات المتحدة الأمريكية باستطاعتها التدخل عسكريًّا بجانب الكومنتانج ، نظراً لمساعدة الاتحاد السوفيتى آنذاك للحزب الشيوعى الصينى ، ولكى تتفادى أمريكا المواجهة مع الاتحاد السوفيتى قامت بدور الوسيط فى الصلح بين الطرفين ، ولكن «ماو» رفض هذا الصلح لعلمه بسياسة الكومنتانج التآمرية مع الولايات المتحدة الأمريكية على الصين .

وفى ٢١ من إبريل ١٩٤٩م أصدر «ماوتسى تونج» أمره إلى جيش التحرير الشعبى وهذا نصه : «عليكم أن تتقدموا فى زحفكم ببسالة وتمحوا بإصرار وعزيمة جميع العناصر الرجعية من الكومنتانج داخل حدود الصين محواً نهائيًّا إذا أثارت أمامكم أية مقاومة ، وعليكم أن تحرروا الشعب الصينى وأن تدافعوا عن سيادة البلاد ووحدتها الإقليمية»[١].

وفى الشهور المتبقية من عام ١٩٤٩م ،تم تحرير كل المدن الرئيسية فى الصين وبذلك صارت الصين تحت قبضة الشيوعيين ، وفر القائد «شيانج» هرباً إلى جزيرة «فرموزا» تايوان حالياً.

١- روي ماك جريجور هاشي : ماوتسي تونج «حياته وعصره»، ترجمة/ حسين الحوت، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة (د.ت)، ص١٠٧.

خامسا : إعلان الجمهورية عام ١٩٤٩م :

عقد المؤتمر الاستشارى السياسي للشعب الصينى دورته فى الفترة من ٢١-٣٠سبتمبر ١٩٤٩م ، وحضره ممثلو الأحزاب السياسية [١] ، والجمعيات والشخصيات الديمقراطية غير الحزبية ، ووضع فيه «البرنامج العام» الذى كان بمثابة الدستور المؤقت للبلاد .

وفى الأول من أكتوبر عام ١٩٤٩م ، أعلن «ماوتسى تونج» الزعيم الصينى لشعبه وللعالم بأسره ، فى احتفال كبير ببكين وبالتحديد فى ميدان (تيان آن) عن قيام جمهورية الصين الشعبية وعاصمتها بكين ، بقيادته رئيساً للجمهورية وشواين لاى [٢] رئيسا للوزراء.

وتحدث «ماو» بعد إعلانه الجمهورية قائلاً : «بعد الآن فإن دولتنا لن تكون دولة مهانة أبداً .... انتهى الآن زمن اعتبار الصين بأنها غير متحضرة» ومن خلال هذه الكلمات يتضح إيمانه بالثورة ودورها المؤثر فى إحداث التغيرات فى المجتمع الصينى ، وأن الهدف من الثورة هو خلق دولة صينية متقدمة ومتحضرة تتبوأ مكانة متقدمة فى عالم الدول الكبرى .

١- كانت توجد فى الصين عدة أحزاب منها «الحزب الثالث» الذى تأسس بواسطة بعض الأشخاص الذين رفضوا الانضمام إلى الكومنتانج ، وحزب «الصين الجديدة» ويضم خاصة المثقفين والضباط التقدميين ، والحزب «القومى الاشتراكى» الذى كان ينادى بالرأسمالية الحكومية . لمزيد من التفاصيل انظر : تشين شى : مرجع سابق ، ص ٧٨ .

٢- ولد «شواين لاى» فى جنوب الصين سنة ١٨٩٨م ، وكان أبوه أستاذا وأمه تتمتع بثقافة واسعة النطاق، فى سنة ١٩١٣م هاجرت عائلته إلى مقاطعة منشوريا حيث التحق بمدرسة «نانكاى بيتان» وحصل على الشهادة بعد أربع سنوات ، وفى سنة ١٩١٧م التحق بجامعة واسيدا باليابان ولم يمكث بها إلا سنتين ، ، ورجع سنة ١٩١٩م ، إلى جامعة نانكاى لدراسة الحركة الثورية والمشاركة فيها ، وسافر سنة ١٩٢٠م إلى فرنسا لمتابعة الدراسة، وأسس هناك فرعا للحزب الشيوعى الصينى وقضى أربع سنوات في أوربا ورجع إلى الصين سنة ١٩٤٢م ، فانتخب كاتبا عامًا لهيئة الحكومة التابعة لمدينة كانتون ، ثم رئيسا للقسم السياسى فى أكاديمية هوامبوا تحت قيادة القائد «شيانج» فى عهد الدكتور «صن يات صن» ثم تقلد عدة مناصب حكومية . لمزيد من التفاصيل انظر : عبد الوهاب الكيالى وآخرين، مرجع سابق ، ص ٤٩٦ .

ويصف «ماو» من حديث آخر انطباعه عن تنظيم الدولة المتحضرة وخاصة أنظمة الزراعة والصناعة والحياة الاجتماعية والثقافية ، ويعلن أنه بتأسيس الجمهورية الشعبية انتهى التاريخ الإمبريالى والإقطاعى وبدأت صفحة جديدة من تاريخ البلاد [1]. وتم وضع أول دستور لجمهورية الصين الشعبية سنة ١٩٥٤ م [2] .

ومما سبق يتضح أن الزعيم «ماوتسى تونج» بفكره السياسى وعمله الثورى ، واليقظة الوطنية التى جسدها الحزب الشيوعى الصينى ، هى التى سمحت له ، كما يجمع المؤرخون اليوم ، بشق طريقه إلى السلطة السياسية فى الصين ، وذلك مثلما فعل تيتو فى يوغسلافيا وكاسترو فى كوبا وجمال عبد الناصر في مصر، انتزع الحزب الشيوعى الصينى بقيادة الزعيم «ماو» شرعيته الوطنية ، بل وأكثر من ذلك فقد صاغ الشيوعيون من خلال مابذلوه ببسالة من جهود نمط انضباطهم الحديدى ، وأطرهم التنظيمية فى قيادة الثورة.

وتكمن الخاصية المميزة لثورة «ماوتسى تونج» الشيوعية فى الصين فى أنه اعتمد على التعبئة السياسية للفلاحين أكثر من اعتماده على البوليتاريا . ويرى جميع الماركسيين أن الفلاحين يمثلون قوةً ثورية هامة ولكن لم يستطع أحد منهم قبل «ماو» أن يدرك أن الفلاحين يمكن أن يصبحوا طلائع الثورة الشيوعية .

والواقع أن الفكر الماوى جعل الصين ، ذات الماضى الحضارى الطويل والشخصية المتميزة ، أن تخطط لنفسها طريقا خاصا بها يتفق مع ظروفها الخاصة ، وأن تسهم فى نفس الوقت بنصيب متميز من تراثها وشخصيتها يتفق مع بناء الدولة العصرية ، وأخذت من التجارب الأخرى ماتسمح ظروفها بتطبيقه فى حدود الإمكانيات العملية المتاحة لتغيير هذه الظروف . الأمر الذى أسفر عن قيام جمهورية الصين الشعبية ، وبداية عهد جديد فى شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

١- Godman Davd and Segal Grald : Chiana Deconstrucls politics . New Yor;، ١٩٩٠،p.٣٦.

٢- سعاد الشرقاوى : النظم السياسية فى العالم المعاصر ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٦م ، ص ٤٣٨



إصلاحات «ماوتسى تونج» الاقتصادية

مقدمة :

بعد أن انتصرت الثورة الشيوعية فى الصين على يد الزعيم «ماوتسى تونج»، أعلن تأسيس جمهورية الصين الشعبية ثانى دولة اشتراكية فى العالم يوم الأول من أكتوبر عام ١٩٤٩م، وذلك بعد أن استلهم الصينيون روح الثورة الروسية عام ١٩١٧م ، واعتنقوا المذهب الماركسى اللينينى ، ولذا كان من الطبيعى أن يكون الاتحاد السوفيتى من أوائل الدول التى اعترفت بالدولة الاشتراكية الجديدة .

وسرعان ما ارتمت الصين فى أحضان «الشقيق الأكبر للشيوعية» وكان أول عمل دبلوماسى قامت به الصين الشعبية هو إبرام معاهدة الصداقة والتحالف والمعونة المتبادلة مع الاتحاد السوفيتى أول دولة اشتراكية فى العالم فى ١٤ فبراير سنة ١٩٥٠م .

واتفق الطرفان على أن مدة المعاهدة ثلاثون عاما وأن تقدم موسكو المساعدات الفنية والعسكرية والاقتصادية للحكومة الاشتراكية الفتية فى بكين بهدف تثبيت دعائم النظام الشيوعى الجديد فى مواجهة التهديدات الداخلية والخارجية ، وخاصة تهديدات حزب الكومنتانج بزعامة الوطنيين الصينيين الذين منوا بهزيمة ساحقة على يد الزعيم ماوتسي تونج قائد الحزب الشيوعى الصينى ولاذوا بالفرار إلى جزيرة فرموزا (تايوان) حالياً .

ويشير المؤرخ الصيني «ووبن» إلى أن الصين قبل ١٩٤٩م، كانت تنتمى إلى الدول المتأخرة فى شتى المجالات، وأن التحديث الصينى كان يحتاج إلى سلطة الدولة القوية الموحدة والمستقلة وتعزيز مستوى الوحدة السياسية والاجتماعية الداخلية ، وأيضا تكريس الظروف الملائمة فى كل أنحاء الصين لتأييد مسيرة التحديث ، وقد هيأ انتصار

الثورة الصينية على يد القائد والزعيم «ماو» فى عام ١٩٤٩م كل تلك الأحوال [١] .

ولعل السؤال الذى يطرح نفسه في هذا السياق هو:

- ماهى إنجازات أو إصلاحات الزعيم «ماوتسى تونج» الاقتصادية ؟

وفى محاولة الإجابة على هذا السؤال ، نتناول إنجازات ماو الاقتصادية من خلال محورين على النحو التالى :

أولاً : نلقى الضوء على الإصلاح الزراعى الذى تبناه الزعيم «ماوتسى تونج» بهدف رفع المستوى المعيشى للسواد الأعظم من فلاحى الصين الذين يمثلون أكثر من ٨٠٪ من مجموع سكان الصين .

ثانياً : نشير إلى تحديث الصناعة الصينية من وجهة نظر ماو ، حيث تغير ملامح الصين من بلد زراعى فى المقام الأول إلى بلد صناعى ، يصنع الطائرات والسيارات وغير ذلك من الصناعات المتقدمة إلى جانب الأسلحة الحربية وخاصة النووية ، مما يعكس ذلك مدى التقدم الصناعى فى الصين .

أولاً : «ماو» والإصلاح الزراعى:

فى الواقع أن الصين دولة زراعية بالدرجة الأولى، وبقيت كذلك حتى بعد نجاح ثورة ١٩٤٩م، حيث أعطت الزراعة أهمية بالغة ، وقد أطلقت القيادة الصينية متمثلة في «ماو» شعار «اعتبار الزراعة كأساس والصناعة كعامل قيادى» لتعطى الطريق الصينى المعتمد على الزراعة بعداً أيديولوجيًا ، كما أعطت الأولوية فى إقامة المصانع إلى تلك التى تهتم بإنتاج الوسائل الزراعية.

وقد حصل القطاع الزراعى فى الصين على رعاية جميع المسئولين الصينيين وعلى رأسهم ماو نفسه الذى أدرك مشاكل مجتمعه الفعلية فأعطى أولوية لتطوير الريف فى سبيل توفير الغذاء لهذا العدد الهائل من البشر ، مما جعل التجربة الصينية فى مجال التنمية

١- ووبن : مرجع سابق ،ص ٢٧.

تخالف التجربة السوفييتية ، وقد أصبح هذا الاختلاف فيما بعد إحدى التهم التى تم تبادلها فى الصراع العقائدى بين الدولتين.

وعندما انفصل الشيوعيون عن حزب الكومنتانج فى عام ١٩٢٧م ، شن الزعيم ماو حربا شعواء على كبار الملاك وأثرياء الفلاحين مطالبا إياهم بالتنازل عن ملكياتهم لصالح جماهير الفلاحين ، كما دعا إلى تحرير الفلاحين من غوائل الإقطاعية والاستغلال وتغيير أنفسهم فى ظل قيادة الحزب الشيوعى وفى إطار المؤتمرات الشعبية للفلاحين ، وكان ذلك إيذانا ببدء برنامج الإصلاح الزراعى فى مراحله المبكرة الذى تمحور على إنشاء الإصلاح الزراعى وتأسيس نظام «السوفيتيات» الصينية وتجريد الإقطاعيين من أراضيهم ، وكان نتيجة ذلك أن تمكن ما يقرب من مائة مليون من الفلاحين أن يحصلوا على أراضٍ زراعية فى المناطق المحررة تحت قيادة الحزب .

ولم يتهاون «ماوتسى تونج» فى اتخاذ الإجراءات الصارمة التى تكفل الاستيلاء على الأراضى وتوزيعها على الفلاحين منعا لظهور الزراعة الرأسمالية من جديد، خاصة وأن كبار الملاك وأثرياء الفلاحين يملكون القدرة على تحقيق تراكم الثورة بسهولة وبسرعة إذا ما تركت الأراضى موزعة بين ملكيات خاصة صغيرة .

وكان «ماو» يهدف من الاستيلاء على الأراضى الزراعية إلى تجميع هذه الأراضى فيما بعد فى شكل تعاونيات كبيرة Collectivization حتى يمكن تحديث النشاط الزراعى عن طريق إدخال الميكنة المتقدمة التى تدر إنتاجا زراعيا كبيرا واستغلال أكبر مساحة ممكنة من الأراضى الزراعية.

(أ) قانون الإصلاح الزراعي :

لذلك كان البرنامج المشترك الذى أقره المؤتمر الاستشارى السياسى للشعب الصينى سنة ١٩٤٩م ، يقضى بصفة خاصة بأن تقوم جمهورية الصين الشعبية بطريقة منهجية بتحويل النظام الإقطاعى، أو شبه الإقطاعى لملكية الأراضى الزراعية، إلى نظام ملكية الفلاحين، وأن الإصلاح الزراعى هو الشرط الذى لا غنى عنه لتنمية القوى الإنتاجية.

وقد أعقب ذلك إصدار الحكومة الصينية في ١٤ يونيو ١٩٥٠م قانون الإصلاح الزراعي الذى أحدث تغييرا جوهريًّا في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الريف وتضمن القانون البنود التالية[١]:

١- مصادرة الأرض وحيوانات الجر والأدوات الزراعية والمباني العائدة إلى كبار الملاك الزراعيين .

٢- الاستيلاء على الأراضى الملحقة بأضرحة الأجداد والمعابد والأديرة والكنائس والمدارس والجمعيات والهيئات المشتركة ، وتتخذ حلول حكومية لتمويل المدارس ودور الأيتام والمستشفيات التى تعتمد على وارداتها الخاصة سابقاً .

٣- يجب حماية الصناعة والتجارة من أي اعتداء ، ويجب ألا تصادر المؤسسات الصناعية والتجارية التى يديرها الملاك والأراضي والممتلكات الأخرى التي يستخدمها الملاك مباشرة فى تشغيل المؤسسات الصناعية والتجارية ، والسبب فى وجوب الحماية هو أنه لاغنى عنهما للفلاحين فى إنتاجهم ، وأن مهمة الإصلاح الزراعي هو القضاء على الإقطاع أكثر من قضائه على الرأسمالية .

ويعد هذا البند من قانون الإصلاح الزراعى ضمن سياسة الحكومة تجاه أصحاب المشروعات الخاصة، والتي تميزت في بادئ الأمر بسياسة الاستغلال الاقتصادي ثم التقييد بالقوانين حتى مرحلة التحول الاشتراكى ، وهذا هو ما أطلقت عليه الحكومة السياسة المرنة[٢] تجاه المشروعات الخاصة.

٤- الغابات الكبرى والأعمال المائية الكبيرة، والجبال غير المستثمرة، والملاحات والجبال الغنية بالمعادن والبحيرات والموانى تعود كلها للدولة ، ويمكن للأشخاص المستثمرة أن يتابعوا استثمار أموالهم التى كانوا قد وظفوها سابقاً فى ذات الأماكن ، طبقا للقوانين الموضوعة .

١- Maki John :Op.Cit. p.p.130-131.

٢- السياسات المرنة التى اتخذتها الحكومة الصينية ، تجاه المشروعات الخاصة تتمثل فى ثلاث مراحل هى على الترتيب : سياسة الاستغلال ، ثم التقييد فى التحويل ، والتأميم. لمزيد من التفاصيل انظر : محمود المعمورى : ريح الشرق ، الشركة القومية للنشر والتوزيع ، تونس ١٩٦٢ ، ص ٩١.

٥- يجب حماية أراضى وممتلكات الفلاحين المتوسطين من أى اعتداء .

٦- لايجب اعتبار رجال الجيش أو أسر الشهداء أو العمال أو الموظفين أو الباعة المتجولين وغيرهم ، ممن يؤجرون قطعاً صغيرة من الأرض لانشغالهم فى الأعمال الأخرى ، أو لافتقارهم إلى القوة العاملة من الملاك . وإذا كان متوسط مايملكه الفرد من هؤلاء الأشخاص من الأراضى لا يتجاوز ٢٠٪ من متوسط الملكية الفردية فى الناحية التى يقطن بها ، فينبغى عدم المساس بها ، والسبب فى ذلك هو أن الأرض التى يمتلكونها ليست كبيرة، وأنهم من صغار المؤجرين .

٧- الأراضى الزراعية الواقعة فى ضواحى المدن يوضع لها قانون خاص .

٨- توزيع الأراضى المصادرة طبقا للقانون وبواسطة اتحادات الفلاحين فى المقاطعات الريفية ، مع الأخذ فى الاعتبار جودة وموقع الأرض .

٩-المنشآت الخاصة بالرى والتى تم مصادرتها يجب أن توزع مع الحقول إذا كان ممكناً، وإلا فتوضع تحت إشراف الحكومة المحلية ، مع أخذ العادات المحلية بعين الاعتبار.

١٠-بعد مصادرة الأرض ووسائل الإنتاج الأخرى ، يعطى الملاك حصة مساوية حتى يمكنهم كسب عيشهم بعملهم ، ومن ثم يصلحون أنفسهم عن طريق العمل .

والواضح أن الحكومة الصينية من خلال هذا القانون اتخذت الإجراءات الصارمة التى تكفل الاستيلاء على الأراضى وتوزيعها على الفلاحين منعاً لظهور الزراعة الرأسمالية من جديد ، خاصة وأن كبار الملاك وأثرياء الفلاحين يملكون القدرة على تحقيق تراكم الثروة بسهولة وبسرعة إذا ماتركت الأراضى موزعة بين ملكيات خاصة ، كما أن الملاحظ فى السياسة العامة للإصلاح الزراعى الاعتماد على فقراء الفلاحين ، وعمال الزراعة إلى جانب توحيدهم مع الفلاحين المتوسطين وذلك بهدف تنمية الإنتاج الزراعى .

والواقع أن قادة الصين يركزون على الإصلاحات والإنجازات التى تزيد من ارتباط الفلاحين وانتمائهم للحزب الشيوعى الصينى ، ولا غرو أن تنطلق الإصلاحات الصينية من الأرياف ، بينما كان الأمر عكس ذلك فى أغلب الدول الشيوعية الأخرى بما

فيها الاتحاد السوفييتى حيث تدنى مستوى المعيشة فيها ، ولم تنعم شعوبها بحياة أفضل فى ظل الحكم الشيوعي عما كانت عليه قبل الشيوعية .

وكان هدف الإصلاح الزراعي كما أوضحه «ماوتسي تونج» هو تحويل الأراضي من أيدي المستغلين الإقطاعيين إلى ملكية خاصة للفلاحين ، حتى يمكن بهذه الطريقة ضمان تحرير الفلاحين من علاقات الأراضي الإقطاعية وتوفير الظروف المناسبة لتحويل الصين من بلد زراعي إلى بلد صناعي .

وقد بذلت الحكومة جهوداً ضخمة لصيانة موارد المياه وتجنب أضرار الفيضان ، وتوفير مياه الرى واستغلال مياهها فى توليد الكهرباء ، فأقيمت السدود وشيدت الجسور وشقت القنوات، وعلى سبيل المثال تم تنفيذ مشروع نهر «هوى» Hawi لوقاية البلاد من فيضان هذا النهر ، وشقت قناة لنحو ٤ ملايين فدان تسمى قناة شمال كيانجستو «North Kinangsu» ، وأقيم سد على نهر «يونجتنج هو» Yongting Ho إلى الغرب من بكين ، وشقت قناة لتخفيف حدة طغيان المياه فى الجزء الأدنى من النهر ، وأقيمت جسور على طول نهر اليانجستي.

كما شيدت السدود لتخزين المياه والوقاية من أضرار الفيضان ، وأهم مشروعات التخزين هى خزان «كوانتونج» فى ولاية «هوبى» ويتسع لنحو ٢,٢٧٠ مليون متر مكعب، وأيضا خزان «جوها فنج» Johafing ويتسع لنحو ١,٠٨٠. مليون متر مكعب وكثير غيرها [١] ، ونظرا لأن صيانة وحسن الانتفاع بمواد المياه ذات أهمية قصوى ، فقد اهتمت القيادة الشيوعية بتنفيذ العديد من المشروعات .

وفى عام ١٩٥٠م عقد الاتحاد السوفيتي مع الصين «معاهدة الصداقة»[٢] للمساعدة

١- Maki John : Op.Cit.P.P.151-152 .

٢- وقعت معاهدة الصداقة فى ١٤ فبراير ١٩٥٠م ، وكانت تهدف إلى الصداقة والتحالف والمعونة المتبادلة بين الصين والاتحاد السوفيتي، وقررت المعاهدة أن تتعهد كلا الدولتين بروح الصداقة والتعاون ، تماشياً مع مبدأ المساواة والمنفعة المتبادلة والاحترام المتبادل للسيادة القومية والسلامة الإقليمية وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية للطرف الآخر . وأشارت المعاهدة إلى تنمية وتدعيم العلاقات الاقتصادية وأن يقدم للآخر كل مساعدة اقتصادية تمكنه من تنفيذ التعاون الاقتصادي اللازم ، وقد عقدت بعد معاهدة الصداقة سلسلة من الاتفاقيات كان من شأنها تدعيم ورفع مركز الصين الدولي ، وعجلت =

المتبادلة بين الطرفين ، وقام الاتحاد السوفيتى بإمداد الصين بما تحتاجه من آلات زراعية من أجل الإصلاح الزراعى [١] .

وفى هذا المضمار فقد كان الاتحاد السوفيتى من أوائل الدول التى قدمت يد المساعة للصين من أجل المساهمة فى نجاح برنامج الإصلاح الزراعي ، وهذه الخطوة الهامة أدت إلى تدعيم العلاقات بصورة واقعية بين الاتحاد السوفيتى وجمهورية الصين الشعبية .

وقامت السياسة العامة لقوانين الإصلاح الزراعى على وجوب الاعتماد على فقراء الفلاحين وتوحيدهم مع متوسطى الحال ، وفى المقابل وقف نشاط الفلاحين الأثرياء ، وذلك للقضاء على الاستغلال الإقطاعى ، ومن ثم العمل على تنمية الإنتاج الزراعى .

وحاولت حكومة «ماوتسى تونج» بقدر المستطاع تحقيق العدالة الاجتماعية المتمثلة فى مساواة الأفراد فى توزيع الأراضى ، ويرى البعض أنه نظراً لأن جذور الفكر الاشتراكى ظهر فى فترة كانت الصين أحوج ماتكون فيها إلى سماع الشعارات الاشتراكية من عدالة التوزيع ومساواة الأفراد ، فقد حفرت تعاليم «ماو» نفسها فى المجتمع الصينى [٢]، وكان ذلك متمشياً مع سياسة الحكومة الشيوعية التى نادت بالمساواة المحلية ، وذلك عن طريق توزيع الأراضى توزيعاً عادلاً [٣] .

(ب)- المزارع التعاونية :

نفذ قانون الاصلاح الزراعي فى جوهره فى أكتوبر عام ١٩٥٢م، فشمل توزيع

= بعملية التغيير فى الصين ، وساعدت الشعب الصينى على أن يقطع العلاقات الاقتصادية التى أبقته طويلا فى حالة تبعية مع الدول الإمبريالية . لمزيد من التفاصيل انظر : راشد البراوى : الصراع الكبير بين الصين والاتحاد السوفيتى ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٤ ،ص ص ٣٥ ، ٣٨ .

١- Chapman Graham and Baker Katlbleen : The Changing Geapraging of Asia. New York 1992.p.123.

٢- عزة جلال هاشم : الثقافة السياسية الصينية ، السياسة الدولية ، العدد ١٣٢ ، أبريل ١٩٩٨ ، صـ٨٣.

٣- Chapman Graham and Baker Katbleen : op. cit. p.123.

الأراضى ٤٧ مليون هكتار أى حوالى ١١٧ مليون فدان، واستفاد منه حوالى ٤٢٠ مليون فلاح تقريبا آنذاك، فزال من على كاهلهم عبء الإيجارات التى كان يحصل عليها الملاك فى عهد حزب الكومنتانج، وكانت تعادل من ٤٠ إلى ٥٠ مليون طن من الحبوب أى ربع الإنتاج الكلى، مما حفز الفلاحين إلى زيادة الإنتاج وتحسين أسلوب العمل، فزاد إنتاج الحبوب عام ١٩٥٢م بنسبة ٩٠٪، ولكن بما أن تفتيت الملكية لايساعد على إشباع حاجات السكان المتزايدة، فقد حث «ماو» الفلاحين منذ عام ١٩٥١م، على تكوين «فرق المساعدة المتبادلة» Mutual Aid Teams تمهيداً لإنشاء جمعيات تعاونية وانضم إلى هذه الفرق حوالى ٤٠٪ من الفلاحين فى عام ١٩٥٢م[1].

وانخرط الفلاحون الصينيون فى «فرق المساعدة المتبادلة» حيث يتبادلون الخدمات والمعارف الزراعية فيما بينهم، وجسد ذلك رؤية القيادة الصينية فى النهوض بالقرية الصينية وزيادة الإنتاج الزراعي، حيث ذكر «ماو» فى عام ١٩٤٣م بأن: «العمل التعاونى المطرد فى الحقل الزراعي هو الحل الوحيد القادر أن ينقذ الفلاح من فقره وجوعه»، وقطعت هذه الفرق شوطاً طويلاً واتخذت شكلاً أكثر تطوراً يطلق عليه «تعاونيات المنتجين الاشتراكيين الجزئية» Semi Socialist Producers Cooperatives التى طورت العمل المتبادل حتى أصبحت الأرض والخدمات الزراعية والأرباح تخضع للطابع الجماعى التعاوني المشترك، كما أصبح أكثر من ٩٣٪ من الفلاحين الصينيين أعضاء عاملين فى تلك التنظيمات قبل حلول عام ١٩٥٨م.

وقامت الحكومة بحشد الملايين من الفلاحين للمشاركة فى تخزين المياه وتطهير الأنهار وأعلنت الحكومة فى شتاء ١٩٥٧م عن رغبتها فى تنفيذ خطة زراعية جديدة لإصلاح مساحات كبيرة من الأراضي البور.

وقد تم وضع مشروع للسيطرة على صيانة المياه وتوسيع مساحات من الري، ويرجع ذلك إلى أن الفيضانات والجفاف كانت دائماً تسبب بصورة دورية ابتلاء المحاصيل خاصة

١- كلودروا: مرجع سابق، صـ٦٣.

فى شمال البلاد ، وفى الماضى حدثت كوارث عديدة بسبب الفيضانات ، وتم إنشاء خزانات لإمداد الأراضى بالمياه فى الأوقات المناسبة ، وتم بناء خزانات وبرك وقنوات وحواجز وذلك أثناء موسم الزراعة ، كما تم بناء خزانات كبيرة ، ومعظم التشييد من هذا النوع كان فى شمال الصين وذلك نظراً لكثرة حدوث الجفاف والفيضان هناك ، والتي كانت تسبب خطورة كبيرة .

(ج)- الكوميونات :

وتماشياً مع سياسة التحول الاقتصادى، أو التطبيق الاشتراكي، فقد طورت الحكومة الصينية نظام الإنتاج الزراعي من إنتاج فى ظل مزارع تعاونية إلى إنتاج فى ظل مزارع جماعية وأطلق عليها «كوميونات» Communes .

وبدأ نظام الكوميونات كتطور حتمى لنظام المزارع التعاونية ، ويعد خطوة على طريق التحول الاشتراكي فى الصين ، وهو نظام يخدم أغراضاً متعددة فهو أداة للإنتاج الزراعى والحيوانى. وفى نفس الوقت إدارة للخدمات الصحية والتعليمية والصناعية[١] فهو بذلك يعد وحدة زراعية صناعية تعليمية صحية كاملة.

وترجع فكرة إنشاء «الكوميونات» Communes إلى عام ١٩٥٨م ، عندما أعلنت الحكومة الصينية تنفيذ خطة زراعية أدت إلى إصلاح خمسة عشر مليون هكتار من الأراضى الزراعية فى فترة وجيزة، ووجدت التنظيمات التعاونية نفسها أمام «طفرة» مفاجئة من الأرض لم تكن إمكانياتها المحدودة مستعدة لمواجهتها أو استغلال خدماتها ، وأدى ذلك إلى عملية دمج تلك التنظيمات بغية توفير المزيد من الإمكانيات كالقوة العاملة والخبرة ورأس المال لمواجهة الوضع الجديد على الساحة الزراعية ، وسرعان ماحظيت التنظيمات المندمجة بتأييد الرئيس «ماو» نفسه وبمؤازرته وتشجيعه ومدها بالقروض المالية وأطلق عليها اسم «الكوميونات» .

١- صلاح الدين نامق: النظم الاقتصادية المعاصرة وتطبيقاتها ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٢م ، صـ٢٦٠.

وبدأت أنظار العالم تتجه نحو الصين لمعرفة ماهية «الكوميون الصينى» فى خريف عام ١٩٥٨م، حيث إن فكرة ذلك الكوميون واحدة ، وهدفها واحد ، ولكن تختلف تكويناته وهيكله وأشكاله وظروف تطبيقه من منطقة إلى أخرى .

وقد بلغ عدد الكوميونات الشعبية فى الصين أكثر من ثلاثين ألف كوميون يقطنها ٩٨٪ من سكان الأرياف ، وأصبح الكوميون هو الريف الصينى ومنه تنبع الثروة الزراعية الصينية ، مما أدى إلى اندثار القرية الصينية وحل محلها الكوميون الواسع الكبير.

وفي هذا السياق ذكر «ماو» فى عام ١٩٥٨م، أنه من الأفضل أن نضطلع بالكوميونات الشعبية ، حيث تكمن مميزاتها فى قدرتها على تحقيق إدماج الزراعة والصناعة والتجارة والثقافة والتعليم فى كيان واحد يجعل من السهل قيادتها[١]. ولذا أصبحت التعاونيات الزراعية والصناعية الوحدة الأساسية للتنظيم الاشتراكى ، وقد تعززت حلقة الوصل بين الكوميون والحزب الشيوعى ، وخصصت أهداف إنتاجية بواسطة الحكومة .

وعلى أية حال ، يعد إنشاء نظام الكوميونات من أهم المراحل الفاصلة فى تاريخ الحكم الشيوعى فى الصين ، فقد قامت الثورة الشيوعية فى الصين على أكتاف الملايين من الفلاحين ونجحت بفضل قوتهم التى ساهمت بأوفر نصيب فى معركة الثورة ، وأصبح من حق الفلاحين جنى ثمار هذه الثورة والتطلع إلى حياة أفضل ورفع مستوى معيشتهم وتوفير الغذاء للشعب بأسره ومضاعفة الإنتاج الزراعى كمًّا ونوعاً ، وأدركت الثورة أيضا أن توزيع الأراضى على الفلاحين بعد انتصار الثورة لم يقدر أن يفى بالغرض المطلوب منها من القضاء على المجاعة والحاجة والفقر ، ناهيك عن تحقيق مصلحة الفلاح الأولى وهى التحرر من رق الإقطاعيين .

ولقد آمنت الثورة الشيوعية الصينية بقيادة الزعيم «ماو» بالكوميون باعتباره فكرة ومبدأ ينتميان إلى الشيوعية ، أكثر من كونه مزرعة جماعية أو مجموعة سكانية ، كما ارتأت الصين أن إنشاء الكوميون يكمل الوحدة العضوية لأركان النظام الشيوعى فى البلاد.

١- Lexicon Universal Encyclopedia:op .cit .p.368.

ويشير «ماو» إلى ذلك قائلا : «أن الكوميون مهم للشيوعية ، حيث لا شيوعية بلا كوميون .... إنه أساسها ، وان أول ثورة للشيوعيين فى باريس عام ١٨٧٦م كانت تحمل اسم : «باريس كوميون» .... إن الكوميون أسلوب ..... والشيوعية أسلوب..... والأسلوب الأول يخدم الأسلوب الثانى ...... إنه نظام الشيوعية وهيكلها الاجتماعى، وإذا كان ستالين قد مات قبل أن ينفذ أسلوب الكوميون كما يشتهى فليس معناه أن فكرة الكوميون قد ماتت ، إن ستالين بالذات قد أعلن أنه سيعود إلى تنفيذ هذه الفكرة فيما بعد ، ولكنه مات قبل أن يفعل ذلك ، فلماذا لا ينفذ الصينيون فكرة هى فى صميم الفكر الشيوعى، وفى صميم تفكير أقطاب الشيوعية[1] .

وتعد الكوميونات خطوة جديدة على طريق التحول الاشتراكى فى الصين ، وكانت الكوميونة تتألف من ثلاثين جمعية تعاونية إنتاجية اشتراكية تهدف - فى المقام الأول - إلى الاستغلال الأمثل والأقصى للأرض والقوى العاملة واستخدام الآلات الزراعية وتولى المسئولية لتنفيذ مشروعات الاستثمار الزراعية .

وعلى الصعيد السياسى جسدت الكوميونات مبدأ اللامركزية فى العمل الإدارى وإدارة الأنشطة التجارية وإقامة المرافق وبناء المدارس والمستشفيات ، ناهيك عن انتخاب مدراء الكوميونات انتخابا ديمقراطيا من قِبل أعضائها ، وخلال مرحلة الثورة الثقافية تكونت اللجان الفلاحية الثورية لتتمتع بسلطات أوسع خصوصاً فى مجال الممارسة الديمقراطية ، فقد أعلن عن ضرورة تمتع هذه اللجان بحق مناقشة أمورها بشكل مفتوح من الحرية السياسية ، أما الكوميونات ، فقد أحرزت أثناء الثورة الثقافية تقدما كبيرا فيما يتصل باستخدام الميكنة الزراعية ، والتى كان لها أكبر الأثر فى تطوير مشروعات الرى وحفظ المياه ، ودرء أخطار الفيضانات ، كما نجحت الكوميونات فى تحقيق معدلات مرتفعة من الناتج الزراعى ، وفضلا عن هذا وذاك ، شهدت هذه الفترة أيضا أعمال إنشاءات واسعة داخل الكوميونات لعدد من المصانع الملحقة بها والتى تعيد

١- Mao-Tse-Tung :Op.Cit.p.p.55-56.

استخدام الناتج الزراعى لصالحها فى شكل سلع [1] .

وفى هذا الصدد يشير «ماوتسي تونج» إلى «الكميون» بأنه الوحدة الأساسية للبناء الاقتصادى للبلاد ويضم قطاع الصناعة والزراعة والتجارة والتعليم والقطاع العسكرى ، وهو فى نفس الوقت التنظيم الأساسى للسلطة الاجتماعية[2] .

هذا وقد شهدت الزراعة فى الصين تطورا ماموسا ومستمرا بسبب تقدم العلوم والتكنولوجيا ، مما جعل الاقتصاد الريفى يتطور تطورا تدريجيا من حيث الحجم والجودة والسلعة .

وفى إشارة للزعيم «ماوتسى تونج» عن الميكنة الزراعية يقول : «على المدى الطويل فإنه ينبغى على الصين أن تهدف نحو قدر ممكن من الميكنة الزراعية، فهى الأساس الذى تبنى عليه سياسة إدخال الآلات فى الزراعة برغم توافر الأيدى العاملة ....» .

ويستطرد «ماو» قائلا: «.......... إنه لابد من إنشاء العديد من محطات بحوث الميكنة الزراعية ليتمكن أى فلاح من الرجوع إليها فى تطوير البلاد والمساهمة فى بناء حضارة قوية امتدادا لحضارة الأجداد»[3] .

والواضح مما سبق أن الزعيم الصينى «ماوتسى تونج» قد أعطى التكنولجيا الدور الرئيسى فى زيادة الإنتاج حيث تحسين طرق الرى والتسمين والمبيدات الحشرية ، والرجوع إلى مراكز الأبحاث الزراعية فى استعمال التقاوى وفيرة الإنتاج ، الأمر الذى كان له أثره فى مضاعفة إنتاجية المحاصيل.

ومن الجدير بالذكر أن (ماو) فى الدورة الثالثة للحزب فى ديسمبر ١٩٦٨م ، قام بإجراء تغييرات على نظام الإدارة داخل الكوميونات، بعد أن أثبتت التجارب أن فرق الإنتاج التى حققت حصادا وفيرا هى الفرق التى قسمت مسؤولية تحقيق المستهدف

١- حنان ماهر: تجربة الصين بعد ماو ، السياسة الدولية ، العدد ٨٩ ، يوليو ١٩٨٧م ، صـ١٠٨ .

٢- تشونغ شيان : مرجع سابق، صـ٢٥٥.

٣- Mao-Tse-Tung :Op.Cit.p.350.

من الإنتاج الزراعى بين مجموعات صغيرة تتألف من أسر ريفية قليلة العدد اضطلعت بالعمل الزراعى بصورة مستقلة، بعد أن أيقنت أنها تتقاسم مردود الإنتاج بصورة مستقلة. ولم تضن بالعمل الشاق لزيادة المحصول والعناية بالحقول الزراعية ، وقام الحزب بتطبيق نظام المجموعة الصغيرة فى عدد من الأقاليم الصينية[1].

وظهر نظام عرف «بالعقود الثلاثة والمكافأة الواحدة» [2] ويقصد بالعقود الثلاثة العمل ، وحصص الإنتاج ، وتكاليف الإنتاج . أما المكافأة الواحدة فهى تمنح لمن يحقق زيادة تفوق المستهدف فى خطة الإنتاج ، وكانت بداية التحول فى السياسات الزراعية منذ أصدرت الحكومة الوثيقة الأولى بعنوان «قواعد العمل» فى كوميونات الشعب الريفى، والتى أرست القواعد الأساسية للسياسة الزراعية الجديدة التى كان من شأنها تفكيك الكوميونات وتحويلها إلى وحدات جماعية، تقوم بالاعتماد الذاتى من خلال تقسيم الأراضى على نحو فردى، بما يعزز نماء وإثراء الفلاح من خلال السماح بنقل الأرض الزراعية من أسرة لأخرى لتشجيع الاستثمار، والسماح للمزارعين بأن يمتلكوا الأراضى المتعاقدين عليها لمدة ١٥ سنة مع تطبيق هذه البنود على الأرض الجبلية من خلال السماح بتملكها من جيل إلى جيل .

وإن دل هذا فإنما يدل على تأكيد مبدأ الملكية الفردية ، وأسهم هذا فى تشجيع الفلاحين على الارتباط بالأرض الزراعية ، وهذا بدوره أدى إلى ظهور الملكية الخاصة بالتكنولوجيا الزراعية حتى أصبح ثلثا الميكنة الزراعية فى الصين مملوكة ومدارة بواسطة الملكيات الصغيرة ، مما جعل ملاك الأراضى يستخدمون التكنولوجيا الزراعية بالقدر الذى يحقق لهم أعلى ناتج زراعى بأقل تكلفة ممكنة.

والملاحظ مما سبق أن الزعيم «ماوتسى تونج» قد أعطى الأولوية للتنمية الزراعية باعتبارها العمود الفِقَرِى لتنمية الاقتصاد الصينى ، فى الوقت الذى نفذت الحكومة

١- Ibid: p.352.

٢- أحمد محمد فرج : الإصلاحات الاقتصادية والسياسية فى الصين ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١١٤، يوليو ١٩٩٢ ، صـ٢٢٦ .

سلسلة من السياسات الهادفة لتعبئة وحشد همم الفلاحين ، مثل تطبيق قانون الإصلاح الزراعي ، وإلغاء الضرائب الزراعية، وتخفيض حصص مشتريات الدولة من الحبوب فى بعض المقاطعات، وهذا ما أدى إلى توافر مناخ جيد لنمو الاقتصاد الزراعى والريفى فى الصين هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فقد عمل الزعيم «ماوتسى تونج» على تغيير المفاهيم الأيديولوجية فى القرى وأدركت الأسر الريفية أنها تعمل من أجل نفسها وليست باعتبارها جزءا من المجموعة الاشتراكية ، وشجعت قيادة الحزب الشيوعي الاتجاه الجديد للعمل الزراعى فى الأرياف .

الأمر الذى يتضح من خلاله أن إصلاحات الزعيم ماو في قطاع الزراعة قد لعبت دورا جوهريا فى بناء التقدم الاقتصادى الصينى، لأنها الأساس الأول لهيكل الاقتصاد الصينى من خلال مضاعفة الإنتاج الزراعى، والذى لعب دورا هاما فى تحقيق معدل مناسب من النمو لفت أنظار العالم نحو هذا العملاق الصيني ، ومن ثم فقد تغير هيكل الاقتصاد الزراعى بصورة كبيرة • فضلا عن تطور بعض الصناعات المرتبطة بقطاع الزراعة.

ومن هنا يمكن القول بأن الزعيم ماو وهو في سبيل تبنيه وإيمانه بالأفكار الماركسية التي جعلها واقعا حيًّا على الأرض، إلا أنه طوعها بما يتفق وظروف وخصائص وثقافة وبيئة وتركيبة السكان في الصين .

ثانياً : «ماو» وتحديث الصناعة:

تعد الصناعة أحد محاور الاقتصاد الصينى ، الذى ساهم فى مسيرة تحديث وتنمية المجتمع ، حيث أثبت العديد من الحقائق أن الصناعة وسيلة مهمة تجعل الدول المتخلفة تتغير وتصبح دولا متقدمة ، كما أنها مفتاح التقدم تجاه التنمية والتطور . والصناعة الصينية بدأت متأخرة نسبيا عند مقارنتها بالصناعات العالمية، وبالرغم من ظهور المؤسسات الصناعية الصينية فى النصف الأول من القرن العشرين، إلا أنها لم تشهد

تطورا يذكر فى هذه الفترة التاريخية .

ويشير إلى ذلك(تشونج تشينج) أحد رواد الاقتصاد الصيني بقوله : «إن القاعدة الصناعية فى الصين خلال النصف الأول من القرن العشرين ، كانت ضعيفة جدا ، وتقنيتها فى غاية التخلف. ولم تكن قيمة الإنتاج الإجمالية للصناعة تشكل سوى ١٠٪ من القيمة الإجمالية للإنتاج الصناعى والزراعى(١).

وفى الواقع أن الصناعة الصينية قبل إعلان الجمهورية عام ١٩٤٩م ، كانت تحت وطأة الرأسمالية الأجنبية التي احتكرت الأعمال المصرفية والمالية والمواصلات ، والاتصالات ، والمناجم، ومصادر الطاقة وغيرها من الموارد ، وأخذت تمتلك الاقتصادي الصيني.

وتحدث «ماو» عن تلك الفترة قائلا : إن هناك ثلاثة عوامل رئيسية اعترضت حركة التصنيع فى الصين قبل عام ١٩٤٩م وهي (٢) :

١ -تحطيم كل إمكانيات الصناعة في أثناء الحرب العالمية الثانية.

٢- العجز في رأس المال وفى الأيدي المدربة.

٣- القصور فى وسائل المواصلات.

ومن المشكلات التي كانت تواجه الصين آنذاك أنها لا يوجد بها طبقة من الصناع، كما يوجد فى الاتحاد السوفيتي، بحيث يمكن أن تكون قاعدة تعتمد عليها الحركة الشيوعية.

وعموما فقد كانت الصناعة قبل عام ١٩٤٩ ضعيفة نسبيا، وكان يعمل بها نحو مليونيْ عامل فقط ، وتركزت المدن الصناعية الرئيسية في بكين وكانتون ونانكينج وتيان وماكاو ومنشوريا وهونج كونج (٣).

والواقع أن الدول الاستعمارية ، حرصت على تعميق تخلف الدول المتخلفة ، وذلك

١- تشونج تشينج شى: كل شيء عن الصين، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين ٢٠٠٩ ، ص١٧.

٢- Mao-Tse-Tung :Op.Cit.p.p.63-64.

٣- Encyclopedia Apollo:op.Cit.p.365.

عن طريق وأد البرجوازيات الوطنية ، وأحكام السيطرة الاقتصادية . ولذلك فإن الصين ظلت طوال الحقبة الاستعمارية تلعب دورا هاما فى تصدير المواد الخام رخيصة الثمن ، واستيراد السلع المصنعة عالية الثمن . الأمر الذى أضر بحركة التصنيع فى الصين .

وفى هذا السياق يشير «ماوتسي تونج» إلى أن الدول الرأسمالية الأجنبية قامت بإدارة العديد من مؤسسات الصناعة الخفيفة والثقيلة فى الصين بهدف تحقيق الاستفادة المباشرة من المواد الخام والقوى العاملة الرخيصة فى الصين ، كما مارست الضغط الاقتصادى المباشر على الصناعة الوطنية ، وأعاقت حركة تطوير القوى الإنتاجية الصينية بصورة مباشرة ، كما قامت أيضا بإنشاء البنوك ، واحتكار الأعمال المالية والمصرفية الصينية ، ولذلك أطاحت بالرأسمالية الوطنية فى مجال المنافسة التجارية[1] .

ومن ثَمَّ فإن الصين لم تؤسس قبل عام ١٩٤٩م نظاما صناعيا ، برغم وجود بعض المؤسسات الصناعية الأجنبية المقامة بهدف الاستغلال الاقتصادى حيث كان مجملها صناعات تحويلية تستهلك المواد الخام الصينية واليد العاملة المتدنية الأجر ، بالإضافة إلى افتقار هذه الصناعات إلى الآلات الحديثة ورغبة الرأسمالية الأجنبية فى جعل الصين سوقا لإنتاجها القومى[2] مما أظهر ضعف الصناعة الصينية فى ذلك الوقت .

وحاولت حكومة «ماوتسى تونج» أن ترتفع بالمستوى الاقتصادى للبلاد لأنها كانت مؤمنة بأن المجتمع الصينى لن يشعر بالاستقرار إلا إذا تقدمت الصناعة ، وقد كان التصنيع حلما يراود الصينيين عاشوا فيه خلال أجيال عديدة، ولقد بدأ هذا الحلم يسير فى طريقه نحو التحقيق منذ جلوس «ماو» على عرش الصين.

وغداة إعلان جمهورية الصين الشعبية فى سنة ١٩٤٩م، أصبحت الحكومة الجديدة تسيطر على اقتصادياتها الوطنية ، واتخذت تجاه المشروعات الأجنبية سياسة المصادرة، وحولتها إلى ملكية الدولة ، وصارت من الاقتصاديات الحكومية ذات الطبيعية الاشتراكية.

١- ووبن : مرجع سابق، ص٢٠٣ .

٢- World Geographic Encyclopedia : «Asia» v.l.3.New York.1994.p.181.

وطبقا للإحصاء الذى يذكره الزعيم (ماو) في خطابه عن الاقتصاد الصيني قائلا:........ إنه تمت مصادرة ما يقرب من ٢٨٥٠مؤسسة صناعية رأسمالية أجنبية حتى نهاية عام ١٩٤٩م ،......... واحتلت نسبة الصناعة الاشتراكية للدولة ٤١,٣٪ القيمة الإجمالية لإنتاج الصناعات الكبيرة الحجم..... وفى ذلك الوقت سيطرة الدولة على ٥٨٪ من حجم الطاقة الكهربائية، ٦٨٪ من حجم إنتاج الفحم الخام، ٩٢٪ من حجم الحديد ، ٩٧٪ من حجم إنتاج الفولاذ، ٦٨٪ من حجم إنتاج الأسمنت ، ٥٣٪ من حجم الغزل القطنى،.......... بالإضافة إلى سيطرتها الكاملة على مرافق السكك الحديدية ، ومعظم وسائل النقل ، وأعمال البنوك والتجارة ،...... علاوة على استعادة حقوق الجمارك التى سيطرت عليها الدول الاستعمارية منذ زمن طويل ......وقامت الحكومية بتطبيق نظام التوحيد فيما يتعلق بالإشراف على العملة الأجنبية والتجارة الخارجية ، وأصدرت عملة وطنية موحدة تعرف باسم «اليوان»[١].

ويستطرد «ماو» قائلا في موطن آخر:.......... أما بالنسبة لمؤسسات الصناعة الوطنية والتى يمتلكها الرأسماليون الصينيون، فقد استخدمت الحكومة سياسات اقتصادية متشابهة إزاء تنظيم كل من القطاع الصناعى والزراعى ، وتتلخص هذه السياسة فى التأميم التدريجى أو السياسات المرنة، بهدف إلغاء طابع المشروع الفردى الخاص الذى كان مهيمنا على الاقتصاد القومى قبل ثورة التحرير[٢].

وعلى نحو الإجراءات التى اتخذتها الحكومة فى القطاع الزراعى ، أصدرت بعض القوانين التى بموجبها يتم إزالة القطاع الخاص فى قطاع الصناعة على مراحل ، بمعنى أن كل مرحلة زمنية تمر تزداد فيها إجراءات التأميم والرقابة الحكومية على المؤسسات الصناعية المؤممة.

ففى بداية عام ١٩٥٣م، حقق الصينيون الرقابة الحكومية الكاملة على ٥٠٪ من المشروعات الصناعية الصينية والتى تمثل نحو ٦٠٪ من جملة الناتج القومى الصناعى ،

١- Eembree Ainsile : op.cit.p.336.

٢- Ibid :p.338.

واستمرت الدولة فى سياسة التأميم إلى جانب إحكام الرقابة والإشراف الحكومى على الصناعة خلال الفترة ما بين ١٩٥٣م ، ١٩٥٥م ، ثم زادت معدلات تأميم الصناعة بعد أن أصدر «ماوتسى تونج» أوامره بإنشاء المشروعات الصناعية الحكومية، التى هى مشروعات اشتراكية مائة فى المائة منذ نشأتها.

وقد اهتم الزعيم «ماو» أن تسير النهضة الصناعية بجانب النهضة الزراعية وتحدث قائلا «......... ليكن معلوما أنه بدون تصنيع لن نضمن دفاعا وطنيا قويا ، ولا ارتفاعا فى مستوى الناس ، ولن نحقق للشعب السعادة والقوة ،............ إن الأمة التى تعتمد على الزراعة وحدها لا يمكن أن تصبح فى هذا العصر أمة غنية قوية الجانب........وليس ثمة شك أن الصين كانت تمتلك كل المقومات التى تؤهلها لإحراز قفزات هائلة فى النمو الصناعى من موقع متميز وكثرة السكان وتنوع هائل فى مواردها الطبيعية ،......... ولذا فإن القيادة الشيوعية كانت تهدف إلى رفع مستوى معيشة السكان وإعلاء شأن الصين لتصبح دولة متميزة[1].

ومن منطلق اهتمام الحكومة بإحداث نهضة صناعية فى البلاد قامت بوضع خطط التنمية للنهوض بالإنتاج الصناعى والتغلب على المشاكل التى تعوق النهضة الصناعية ، وذلك من مبدأ إيمان «ماو» بأن التصنيع هو أسرع السبل نحو التنمية الاقتصادية .

والتصنيع هو محور التحديث الاقتصادى ، ويشتمل التصنيع على سرعة التكنولوجيا والتنظيم التى أدهشت الإنسان وغيرت من طريقة الإنتاج وأسلوب المعيشة ، ولقد أشار «ماركس» إلى أن الفرق بين اقتصاديات الدول المتقدمة والمتخلفة لا يكمن فى ماهية الإنتاج بل يكمن فى وسائل العمل المستخدمة فى الإنتاج.

ويقول «ماو» بأن التصنيع الصينى قد بدأ متأخرا نسبيا عند مقارنته بتيار التصنيع العالمى ،......... وأنه فى غضون قيام الثورة عام ١٩٤٩م ، شهدت الصناعة الحديثة فى الصين تطورا كبيرا إلى حد ما ، حيث كانت الصناعة قائمة على استخراج المعادن

---

١ - Qin Shi: China. New Star Publishers . Bejing 2010. p. 99.

وغيرها من الصناعات التى بدأت من العدم للوجود ،.......... فى الوقت الذى يتمتع التحديث الصينى بالخصوصية والذاتية ، على الرغم من أنه يعد جزءا من التحديث العالمى ، وذلك لكى تلحق بركب الدول الصناعية أو على الأقل تضييق الفروق بينها وبين الدول المتقدمة مع الأخذ فى الاعتبار عدم إضفاء الطابع الغربى على التحديث الصينى ،..... فى الوقت الذى يتسم التحديث بطبيعة متناقضة ومتصادمة أثناء تغيير النظام السياسى والاقتصادى ليتلاءم مع متطلبات التحديث .

ويستطرد «ماو» قائلاً : .... إن قضية التحديث شاقة وعسيرة فإن لم تحقق النجاح وتتقدم للأمام تتأخر للخلف ،........ ومن ثم فإن الصين عملت على استيعاب وظيفة العوامل الخارجية واحتوائها ، وأصبح الاقتباس والاندماج ممكنا بين الثقافات المختلفة، وهذا يرجع إلى نجاح التجربة الصينية ،....... وأقدمت الصين على تنقية الخصائص التقليدية التى لا تتناسب مع مسيرة التحديث وتصفية العوامل السلبية وتحويلها لعوامل إيجابية،.......... وفى خضم ذلك عزز التحديث التحول من الاقتصاد التقليدى فى الصين إلى الاقتصاد الحديث[١].

وهكذا صار التصنيع هدفا أساسيا من أهداف البلدان النامية التى نالت استقلالها حديثا والتى انتهجت نموذجا تنمويا ، وانتقلت من مرحلة التصنيع لإحلال الواردات إلى التصنيع من أجل التصدير.

وكما أطلقت الحكومة الصينية شعار الزراعة عامل أساسى ، والصناعة عامل قيادى ، أصدرت أيضا شعار «السير على القدمين» وهو يقضى بضرورة تطوير الزراعة والصناعة معا ، علاوة على ما نادت به الحكومة تحت شعار «القفزة الكبرى إلى الأمام» وينطوى تحت هذا الشعار معانٍ كثيرة لعل أقربها إلى الصناعة ما ذكره (ماوتسى تونج): «العمل على زيادة الإنتاج ، وقلة الاستهلاك بالنسبة للمواد الزراعية بهدف تصديرها ، لكى تتمكن الدولة من تجهيز الصناعة الصينية بما تحتاج إليه من معدات وآلات تضمن

١- Ibid :p.p. 133-134.

لها التقدم والنهوض بالمجتمع[1].

ومما يشار اليه أن الصين فى تنظيمها للصناعة اعتمدت على الاتحاد السوفيتى (سابقا) ، حيث أخذت موسكو على عاتقها مساعدة الصين بالتجهيزات والمعلومات التكنولوجية ، فقامت بإنشاء ما يزيد على أربعمائة مشروع صناعى ضخم ، وخلال الخمسينيات قدم إلى الصين نحو ١٠,٨٠٠ خبير وفنى سوفيتى إلى جانب ١٤,٠٠٠ مجموعة متكاملة من الوثائق العلمية التكنولوجية ، علاوة على تدريب ما يقرب من سبعة آلاف صينى فى المشروعات السوفيتية المختلفة هذا بالإضافة إلى حصول الصين على قرض يبلغ ٣٠. مليون دولار لشراء معدات صناعية وتطوير السكك الحديدية.

وتأكيدا لهذا التعاون الاقتصادى أصدر مجلس الدولة الصينى فى ٣١ يناير ١٩٥٥م، قرارا «بأن الشعب الصينى وحكومة جمهورية الصين الشعبية يرحبان بالاقتراح المقدم من مجلس وزراء الاتحاد السوفيتى بتاريخ ١٧ يناير سنة ١٩٥٥م، عن مساعدة الاتحاد السوفيتي العلمية والفنية والصناعية لجمهورية الصين الشعبية فى تنمية الأبحاث الخاصة للطاقة الذرية ، وإننا واثقون أن العلماء والمهندسين والعمال فى الصين التى تحررت ، وبالمساعدة المخلصة من جانب الاتحاد السوفيتى ، يستطيعون بكل تأكيد أن يتمكنوا سريعا من تكنيك استخدام الطاقة الذرية».

ورغم هذا التعاون إلا أن الصين اختطت لبناء اقتصادها القومى نموذجا يختلف عن النموذج السوفيتى ، فبدلا من التركيز الشديد على الصناعة الثقيلة -كما يفعل السوفيت- فإنها تركز على الزراعة والصناعات الصغيرة ثم الصناعات الثقيلة ، وهى تفعل ذلك لطبيعتها الزراعية البحتة ولأسباب كامنة فى أعماق القادة الصينيين ، وهى الخوف من المجاعة ونقص الغذاء، كما يرى «ماو» أن التقدم فى الإنتاج الزراعى والتجارة الخارجية مع العالم بأسره، والصناعات الصغيرة التى تطلبها الدول النامية المجاورة للصين ضرورة قومية بحتة .

١- William Morris : Modern China, New York, 1980,p.27.

ولم تظل الصناعة مرتبطة بالاتحاد السوفيتى وبإعانته المالية أو الفنية زمنا طويلا ، بل إنها تحررت شيئا فشيئا بفضل توفير الاعتمادات المخصصة من الدولة لتنمية الإنتاج الصناعى ، إلى جانب إقامة العديد من المدارس الصناعية لتخريج المهندسين والفنيين فى شتى المجالات الصناعية .

وتتمثل فلسفة «ماو» فى التنمية فى قوله «عندما يكون من الصعب بالنسبة للقوى الإنتاجية ، إحداث التنمية دون تغير فى العلاقات الإنتاجية ، فإن التغيرات التى تشهدها الأخيرة ، تلعب الدور الأساسى والحاسم فى مجال التنمية» ، أى أن الاهتمام يوجه بدرجة أكبر ، إلى تحويل العلاقة الإنتاجية القديمة ، إلى علاقات جديدة اشتراكية ، عنه بالنسبة للتوسع الكمى فى القوى الإنتاجية. وينطوى الاهتمام بالعلاقات الإنتاجية تحت شعار «السياسة فى الإدارة»، باعتباره الاستراتيجية الإنمائية الملائمة لظروف الصين وفلسفتها، أما الاتجاه الآخر المدعم للقوى الإنتاجية ودورها الكمى فى إحداث التنمية ، فيندرج تحت شعار «الاقتصادية»[1].

وفى عام ١٩٥٦م، حدد «ماو» معالم نموذج التنمية الصينى القائم على تحقيق التوازن فى العلاقات ، وخاصة التوازن بين الصناعة والزراعة ، وهو فى واقع الأمر تحقيق التوازن بين العمال والفلاحين ، الريف والمدن. كما حدد «ماو» فى العام نفسه المبادئ العشرة للتنمية الصينية التى تمثل الصراع بين الأضداد الذى يعد بمثابة القوى الدافعة للتاريخ :

١- العلاقة بين الصناعة والزراعة. وفى داخل القطاع الأول بين الصناعة الثقيلة والخفيفة.

٢- العلاقة بين الصناعة فى المناطق الساحلية . وتلك الواقعة فى أقاليم داخلية

٣- العلاقة بين البناء الاقتصادى والبناء الدفاعى.

٤- العلاقة بين الدولة ووحدات الإنتاج والمنتجين الأفراد.

١- نزيرة الأفندى : القفزة الإنتاجية فى عهد ماو ، السياسة الدولية ، العدد ٤٧ ، ١٩٧٧ ، ص ٢٤٥ .

٥- العلاقة بين المركز والأقاليم.

٦- العلاقة بين القومية الكبرى والأقليات القومية.

٧- العلاقة بين الحزب والأفراد غير الأعضاء فيه.

٨- العلاقة بين الثوريين والمضادين لهم .

٩- العلاقة بين الصواب والخطأ.

١٠- العلاقة بين الصين والدول الأخرى.

وأقر الزعيم (ماوتسى تونج) خطط التنمية الاقتصادية الصينية ، وعمل على تحقيق أهدافها فى شتى المجالات ومختلف القطاعات ، حيث النمو المتوازن بين قطاع الصناعة سواء الخفيفة أو الثقيلة، والزراعة والعمل على تنمية الاقتصاد القومى واستقلاله حيث المواجهة مع الاقتصاديات الأجنبية . وخطط التنمية يمكن عرضها على النحو التالى[١]:

- الخطة الخمسية الأولى (١٩٥٣م -١٩٥٧م) واهتمت بالزراعة والتحول الاشتراكى للصناعات الخاصة والمشروعات التجارية.
- الخطة الخمسية الثانية (١٩٥٨م -١٩٦٢م) حيث تحقق خلالها طفرة هائلة فى الإنتاج تبعتها أزمة اقتصادية تضاعف على أثرها الخلاف الصينى السوفيتى .
- مرحلة الإصلاح (١٩٦٣م -١٩٦٥م) حيث حدث انهيار وأزمات اقتصادية مصحوبة بمجاعة ، مما ترتب عليه تجاهل الخطة الخمسية.
واتجه الاقتصاد الصينى إلى الإصلاح والتركيز على المشروعات الصناعية كزيادة الإنتاج .
- الخطة الخمسية الثالثة (١٩٦٦م - ١٩٧٠م) فقد أسفر تحرير السياسات الاقتصادية خلال حقبة الإصلاح عن إنعاش الإنتاج فى الريف ، وذلك بالرغم من ظهور تفاوت في التوزيع الاجتماعى بين الفلاحين وانقسامهم إلى أغنياء وفقراء.

١- William Morris : op. Cit.p.46.

- الخطة الخمسية الرابعة (١٩٧١م -١٩٧٥م) فى أوائل السبعينيات بدأت الثورة الثقافية وقد ساعد استقرار العلاقات مع الولايات المتحدة واليابان على ظهور مؤشرات اقتصادية مرتفعه نسبيًّا.
- الخطة الخمسية الخامسة (١٩٧٦م -١٩٨٠م) وضعت فى أواخر سنوات الثورة الثقافية ، ومثلت مرحلة انتقال من الحقبة الماوية إلى حقبة الانفتاح على العالم الخارجي.

الصناعات الصينية :

١ - الصناعة اليدوية الصينية :

بدأت الصناعة الحديثة مع الثورة الصناعية فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر وظلت تتطور حتى وقتنا الحاضر ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى الإنسان الذى يعتبر أحد المحركات الأساسية لزيادة النمو الصناعى حيث اختراع أحدث الأدوات التى تستخدم فى حل كثير من المشاكل التى تخص احتياجات الإنسان ، وتتميز الصناعة الحديثة الآن باستخدام الآلات والأدوات ، الأكثر تعقيدا ، فمثلا هناك آلات معقدة تقوم بالحفر بدلا من الأدوات التقليدية التى كانت تستخدم فى الماضى مثل (الفاس - القوس- السهم) وهذا ما كان يستخدمه الإنسان قبل التقدم التكنولوجى ، وفى الواقع أن أصل الكلمة اللاتينية التى تعنى الصناعة هى Industria والتى تعنى المهارة والكفاية الفنية.

وبالنظر إلى المجتمع الصينى يلاحظ أن هناك صناعات يدوية تقليدية ورثها الشعب الصينى منذ القدم عن الأجداد مثل صناعة النسيج ، الخزف ، الأحجار الكريمة ، وغيرها ... وهى صناعات تتصف بالبطء فى الإنتاج ، وتعكس المهارة الفنية للصانع الصينى ، وشجع الزعيم «ماو» هذا القطاع من الصناعة ، وأنشأت الحكومة الصينية العديد من المؤسسات التى يعتمد إنتاجها على الإنتاج اليدوى التقليدى الذى يتسم بالمهارة الفنية العالية ليعكس ذلك أصالة ورقي الحضارة الصينية .

٢- الصناعات الصغيرة:

بظهور الأدوات والآلات الفنية التى رفعت من القدرة الصناعية والمهارة الفنية، أدت إلى تغير شكل المجتمع المحلى وبعض المؤسسات التابعة له ، لأن هذا كما يرى «ماو» يساهم فى تخطيط جديد للعمليات الاقتصادية التى تنمو بصورة جديدة . وتظهر معها مختلف الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية التى تزدهر بوجودها .

وقد وضعت الحكومة الصينية بقيادة الزعيم «ماو» الصناعات الصغيرة فى أولويات تنظيمها للهيكل الصناعى ، وشجعت على انتشارها فى أنحاء الصين ، نظرا لأهميتها فى التنمية الاقتصادية إلى جانب أنها لا تستوجب اعتمادات مالية ضخمة كالصناعات الثقيلة. ويشير إلى ذلك (ماو) بأن التوسع الصناعى فى الصين يقوم على سياسة تشجيع المشروعات الصغيرة فى كافة أنحاء البلاد .

وتعرضت الصين لانتقادات عديدة من الدول الاشتراكية آنذاك لتوسعها فى الصناعات الصغيرة بدعوى أن ذلك فيه تشتيت للجهود وإسراف فى المواد الأولية ، إلا أن الصينيين اعتبروا ذلك نوعا من سياستهم الاقتصادية الداخلية التى تفرض عليهم التقدم الصناعى بأسرع وقت على حسب ظروفهم . حيث إن الصناعات الصغيرة أو الخفيفة تزود المجال الزراعى بأحدث الآلات الزراعية، مما يستوجب ارتفاع الإنتاج الزراعى الذى هو الأساس الاقتصادى، علاوة على أنها تعد صناعات مكملة مغذية للصناعات الثقيلة.

ويؤكد الاقتصادي الصيني «يونج لونج كوى» على أهمية الصناعات الصغيرة ودورها فى التنمية الاقتصادية الصينية . بأنها ساهمت فى توفير فرص العمل ، وتحقيق معدلات مرتفعة من الإنتاج ، والمساهمة فى تخفيض الواردات ، وتنمية الصادرات ، وتوزيع عائد التنمية بين الأقاليم الصينية المختلفة[١].

ومن الجدير بالذكر أن الصناعات الصغيرة تقوم بدورها فى النشاط الاقتصادى

١- يونج لونج كوى : التنمية الاقتصادية فى الصين ، دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين ١٩٨٠، ص٦٥.

الصينى حيث إن ٨٠٪ من الصناعات المنشئة فى الصين هى من تلك الصناعات التي تندرج تحت اسم الصناعات الصغيرة أو المتوسطة ، وتقدر فى سنة ١٩٧٩م، بنحو مليون مشروع [١] تسهم بحوالي ٢٥٪ من إجمالي قيمة السلع المصنعة فى الصين . علاوة على ذلك فإن هذه الصناعات تستخدم ٣٥٪من المجموع الكلي للعمال باستثناء عمال الصناعات الأولية كالزراعة والصناعة السمكية وغيرها من الصناعات.

ويشير (يونج لونج كوى) إلى أن انتشار الصناعات الصغيرة، وظهور الآلات والأدوات الحديث ، صاحبه تغيير فى شكل الأقاليم الصينية ، وبعض المؤسسات التابعة لها [٢] زيادة على سعي الحكومة فى تطوير هذه الصناعات من أجل تحسين الأوضاع الاجتماعية والنهوض بكافة الأقاليم من دائرة الفقر والسعى تجاه التنمية.

٣- الصناعات الثقيلة :

أعطت الحكومة الصينية أهمية متزايدة للصناعات الثقيلة وخاصة المتعلقة بالجانب العسكري فى بداية استقلالها السياسي والاقتصادي ، وذلك تدعيما للقوة العسكرية خوفا من احتمالات خوض الحروب ، وكان من الطبيعى فى ضوء اهتمام القادة الصينيين بالتصنيع العسكري أن تفجر الصين أول قنبلة نووية لها عام ١٩٦٤م [٣] أي بعد استقلالها بخمسة عشر عاماً. وفى نهاية السبعينيات سبقت الصين فرنسا وبريطانيا كقوة نووية.

وبدأت بذلك الصين مرحلة جديدة فى مجال التصنيع ، وذلك بتوجيه من الحكومة

١- منذ عام ١٩٧٥م، تطورت الصناعات الصغيرة تطوراً سريعاً ، فقد أنشئت على التوالى مؤسسات جديدة كمؤسسات إنتاج الساعات اليدوية والمنتجات البلاستيكية والمنظفات الصناعية، وقد سايرت الصين الدول القوية ذات الإنتاج المتميز فى الأجهزة الكهربائية المنزلية، وفى نفس الوقت أنتجت أعدادا كبيرة من البضائع الشهيرة والممتازة عالية الجودة ، منها الثلاجات والغسالات والمراوح الكهربائية والدراجات وماكينات الخياطة والأحذية الجلدية ولعب الأطفال، وغير ذلك من المنتجات التى تصدر إلى شتى دول العالم (انظر : يونج لونج كوى : مرجع سابق ، ص ٦٦) .

٢- يونج لونج كوى : مرجع سابق ص ٧١ .

٣- بول كيندى : الإعداد للقرن الواحد والعشرين ، الجزء الأول ، ترجمة / نظير جاهل ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ،ليبيا ١٩٩٥ ، ص ٣٢٧.

وبالتلازم مع السياسة العامة للدولة التى أطلقت شعار (السير على القدمين) فى جميع المجالات ، وينطوى تحت هذا الشعار الاهتمام بالصناعات الثقيلة والصغيرة معا ، حتى لا تضيع صناعة على حساب الأخرى.

ويؤكد «ماو» على ذلك قائلاً: إن تطوير الصناعات الكبيرة والصغيرة معا واستعمال الطرق التقليدية والحديثة يمثلان مفهوما أساسيا من مفاهيم قاعدة السير على القدمين معا ، وإن بناء المؤسسات الكبيرة يتطلب وقتا طويلا واعتمادات مالية ضخمة كما أن تجهيزها بما تحتاج إليه من الآت وأدوات أمر عسير فإذا ما اقتصرنا على الاهتمام بمثل هذه المؤسسات فإننا بلا شك عاجزين على تسديد حاجات الشعب الأساسية ومقصرين فى استعمال المواد الأولية المتنوعة ، ولذلك وبفضل تطبيق سياسة تطوير المؤسسات الكبيرة والصغيرة معا ، فإننا بصدد القضاء على الفقر والتخلف وبناء اقتصادى قومى متطور.

وفى ضوء اهتمام الحكومة الصينية بالصناعات الثقيلة زاد إنتاج الحديد والصلب[1] والطاقة ، والبتروكيماويات ، والأسمنت ، والألمونيوم ، والفولاذ وتقدر هذه الزيادة فى الإنتاج الصناعى بنحو ١٢,٧٪ فى عام ١٩٧٧م[2] . كما بدت صناعة السيارات والطائرات والإلكترونيات رمزا للتطور الصناعى الصينى.

وفى هذا الصدد يقول «شوين لاى» رئيس وزراء الصين آنذاك «لأجل أن نبنى بلدنا ونكون دولة اشتراكية قوية ذات زراعة وصناعة حديثة ، ونستحوذ على وسائل الدفاع والتكنولوجيا والعلم الحديث ، فإنه لابد من مراعاة ما يلى عند وضع خططنا الاقتصادية فى المستقبل[3] :

١ - مراعاة العلاقة بين الزراعة والصناعات الصغيرة والثقيلة.

١- تحتل الصين المركز الخامس بين دول العالم المنتجه للحديد والصلب (انظر : محمد خميس الزوكه : مرجع سابق ، ص ٢٤٠).

٢- The Encyclopedia Americana : op.cit.p.519.

٣- صلاح الدين نامق : مرجع سابق ، ص ٢٧٣ .

٢- التوافق بين الاعتماد على النفس والتعاون الدولى.

٣- القيام بنهضة كبيرة.

٤- الجمع بين القيادة المركزية والاتصال بالشعب.

ومنذ عام ١٩٧٨م، تطورت صناعة المعلومات والإليكترونيات والصناعات الدقيقة والصناعات الخاصة بأجهزة الكمبيوتر والحاسبات بأنواعها والسوفتوير والاتصالات، ودخلت الصين إلى طليعة دول العالم فى مجال صناعة التليفزيون والاستريو والهواتف حتى بلغت مجمل مبيعاتها فى هذا المجال ٣١٠مليارات يوان ووصلت قيمة الصادرات للخارج ٢٧ مليار دولار أمريكى .

وأصبحت صناعة الاتصالات ذات قدرة إنتاجية مرتفعة ودخلت منتجاتها الأسواق العالمية واحتفظت هذه الصناعة بمعدل نمو سنوى ٣٠٪ ، وأقدمت الحكومة على زيادة مساهمتها التدريجية فى هذا المجال خلال الخطة الخمسية التاسعة ، ١٩٩٦ - ٢٠٠٠ ، وذلك لرفع وزيادة القدرة التنافسية[١].

وأقدمت الحكومة الصينية على إنتاج الأقمار الصناعية والصواريخ بأنواعها وإطلاق الأقمار الصناعية والصواريخ واستعادتها والتحكم فيها بالفضاء، وأصبحت الصين من بين الدول المصدرة لهذه الصناعة، ونجحت الصين فى إطلاق (٥١) قمراً صناعيًّا بواسطة صواريخ محلية فى الفترة من ١٩٧٠م -١٩٩٨م [٢].

وخلاصة القول: إن الصين بزعامة (ماوتسى تونج) استطاعت فى فترة زمنية وجيزة من الاستقلال وهى بلد زراعى فى المقام الأول، أن تغير ملامحها إلى بلد صناعى متطور يصنع الطائرات والسيارات، وغيرها من الأسلحة الحربية المتقدمة ، الأمر الذى يعكس مدى التقدم الصناعى الذى طرأ على المجتمع الصينى .

١- محمود عبد الفضيل : العرب والتجزئة الآسيوية «الدروس المستفادة» ، مركز الدراسات العربية ، بيروت ...؟، ص ١٥٠.

٢- Qin Shi : op.cit,p.132.

ولعل فهم السياسة الصينية الصناعية فى وجهيها السلمي والعسكري يمكن إيجازه بسؤال حول مصدر قدرة الصين فى النصف الثانى من القرن العشرين على تمويل الانطلاقة الاقتصادية، ولعل المقصود بهذا فى الدرجة الأولى، هو الإشارة إلى وعي الصينيين شعبا وحكومة، لحاجاتهم وطموحاتهم واستعدادهم للتضحية فى سبيل تحقيق أهدافهم القومية التى رسمها الزعيم الصيني (ماو تسي تونج) وهى تحقيق طفرة اقتصادية واجتماعية لا مثيل لها ، واضعا فى ذاكرته أمجاد الحضارة الصينية وتفوقها على العديد من الحضارات القديمة سواء فى المجال السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي.



ماوتسى تونج والمساواة الاجتماعية بين الأقليات

نتناول فى هذا الفصل سياسة ماو الاجتماعية تجاه قوميات المجتمع وخاصة ما يتعلق منها بالمظاهر السلوكية المرتبطة بالبناء الثقافى القومى ، والتى تتمثل فى حرية الاعتقاد الدينى وحرية استخدام اللغة المحلية وكذلك احترام العادات والتقاليد إلى جانب الإشارة للسياسة التى تضعها الدولة للمساواة بين القوميات وسياسة الحكم الذاتى ، وذلك فى ضوء الدستور الصينى.

ويتكون المجتمع الصيني من ست وخمسين قومية، تشكل منها قومية الهان (HAN) ما يقرب من ٩١٪ من مجموع السكان، وتسمي الهان القومية الأم نظرا لتعدادها وتاريخها، ويطلق عليها أيضا القومية الصينية . فيما يشكل عدد أبناء القوميات الأخري الخمس والخمسين نحو ٩٪من مجموع السكان . ونظرا لأن قومية الهان أكبر القوميات الصينية تعدادا تسمى القوميات الأخرى بالأقليات القومية.

وتجدر الإشارة إلى أن السياسة الصينية نحو القوميات التى يتألف منها المجتمع الصينى لم تكن بدرجة ثابتة فى المساواة والعدل على طول التاريخ الصينى ، وذلك بالرغم من أن كثيرا من الأقليات القومية حددت ملامح الحضارة الصينية لعدة قرون .

فقبل إعلان الجمهورية على يد «ماو» كانت القوميات الأقلية تشكو كثيرا من تعصب الحكام الرجعيين لقومية الهان (Han) ، مما أدى إلى ظلم هذه القوميات من قبل الحكام وتعرضها لحياة بائسة ومريرة على سبيل المثال مسلمى تركستان الشرقية ، والتى يطلق عليها اسم «سينكيانج» .

وخلال التاريخ الصينى بمراحله تحققت الفرضية القائلة: «بأن أية جماعة طائفية

أو أقلية يتم تعريضها لتمييز سياسى أو مادى إنها تكون فى خطر ومحنة جماعية ، وأغلبية تلك الجماعات أو الأقليات تفتقر أو تفقد بعض أو كل الفرص الاقتصادية التى تتاح أمام الجماعات المسيطرة ، وتواجه أغلب تلك الجماعات أو الأقليات قيودا جماعية على حقوق الأفراد السياسية والمدنية ، كما تواجه خطر الإبادة الثقافية المتمثلة فى الضغوط لتبنى الثقافة المهيمنة ، مما يؤدي إلى إنكار حق التعبير الثقافى لدى الأقليات .

ومما يذكر فى هذا السياق أن العلاقات بين قوميات المجتمع الصينى عبر التاريخ الصينى يلاحظ أنها شبه متوترة ، لعدم وجود مساواة فى التعامل فيما بينهم ، وتعنت الحكام لقومية على حساب الأخرى. وبالرغم من ذلك إلا أن الحكام الصينيين كانت لديهم القدرة الفائقة للسيطرة على هذه الأقليات القوميات ، وذلك لأن المناطق التى يقطن فيها الغالبية العظمى منهم كانت مهمة استراتيجيا [١] .

بيد أنه بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية على يد الزعيم «ماو» عام ١٩٤٩م، وضعت الحكومة المركزية سلسلة من سياسات الأقليات تعتمد على أنه ليست كل أقلية عددية هى بالضرورة مقهورة ، وليست كل أغلبية عددية هى بالضرورة قاهرة. وتبني «ماو» هذا الشعار قائلاً:.... إن أبناء الصين شركاء في الوطن،....ويشهد لهم التاريخ في وحدة الكفاح المشترك ضد الأسر الحاكمة والتي تعد من أصل أجنبي،...... وإن الوحدة التاريخية لأبناء شعبنا العظيم من أهم مقوماته ،..........فما يفصل بين الناس شيء كما يفصل التاريخ، وما يوحد بينهم شيء كما يوحد التاريخ،.....ولكي تكون جماعة من البشر أمة يجب أن تنصهر أولا في بوتقة التاريخ، ومن ثم وحدة الأهداف ، والإحساس بالانتماء للجماعة ، وبالتالي يتحقق التجانس القومي.....»[٢].

وعليه فقد أنشأت خمس مناطق ذاتية الحكم للقوميات الأقلية وهـى: (منطقة قوانغشى – منطقة سينكيانج الويغورية – منطقة نينغشيا – منطقة منغوليا الداخلية – منطقة التبت)، وذلك إلى جانب مائة وأربع وعشرين محافظة أو لواء ذات حكم ذاتى ،

١- The Encyclopedia Americana : op.cit. p. 5.

٢- تشونج ون شيان : مرجع سابق ، ص ٢٥٩.

بالإضافة إلى ذلك هناك لجنة للقوميات فى المجلس الوطنى لنواب الشعب، ولجنة الدولة لشؤون القوميات التابعة للحكومة المركزية التى تضع وتنفذ القوانين والسياسات المتعلقة بالأقليات.

ولكن ما هى السياسة التي انتهجها «ماوتسي تونج» تجاه الأقليات القومية الصينية عقب انتصار الثورة الصينية ؟

منذ إعلان قيام جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩م،أصبحت السياسة تجاه القوميات تسير وفق ما ورد فى الدستور الجديد للبلاد ، ووفقا لواقع القوميات الأقلية. وما نادى به الزعيم «ماو» من سياسات يمكن عرضها على النحو التالي :

١- سياسة المساواة بين جميع القوميات .

٢- سياسة حرية الاعتقاد الدينى.

٣- سياسة الحكم الذاتى .

٤- حرية استخدام اللغة المحلية .

٥- احترام العادات والتقاليد.

١- سياسة التمسك بالمساواة :

اتبعت الحكومة الصينية سياسة التمسك بالمساواة بين جميع القوميات، ومعارضة التميز والاضطهاد والفوضى ، ويرى «ماو» أنه من أجل تعزيز الوحدة بين القوميات على اختلافها يجب التمسك بمبدأ المساواة بين جميع القوميات كبيرة كانت أو صغيرة ، وانطلاقا من هذا المبدأ وضعت الدولة سلسلة من السياسات والقوانين والإجراءات التى تضمن المساواة بين مختلف القوميات.

فالمادة الرابعة من دستور جمهورية الصين الشعبية تنص على الآتى: «جميع القوميات بجمهورية الصين الشعبية متساوية وتحمى الدولة الحقوق والمصالح المشروعة للقوميات الأقلية ، وتصون علاقة المساواة والوحدة والعون المتبادل بين مختلف القوميات وتطورها ،

ويحظر التعصب ضد أية قومية أو اضطهادها، وتحظر كل محاولة لتصديع وحدة القوميات أو خلق الانشقاق بينها»[1].

٢- سياسة حرية الاعتقاد الدينى:

انطلاقا من مبدأ المساواة الذى فرضته السياسة الصينية بين جميع القوميات، وضعت الحكومة الصينية سياسة حرية الاعتقاد الديني لمواطنيها، وقد ضمنت هذه الحرية في قوانينها. فبالنظر إلى الفقرة الخامسة من البرنامج المشترك الذى أجازه المؤتمر الاستشاري السياسي الأول للشعب الصيني فى سبتمبر ١٩٤٩م، تنص على «أن لمواطني جمهورية الصين الشعبية حرية الاعتقاد الديني» . وقد نصت دساتير جمهورية الصين الشعبية التى أجازتها المجالس الوطنية المختلفة لنواب الشعب على هذا الحق .

والواضح مما سبق أن «ماو» تبنى وضع مبدأ مشتركٍ بين جميع القوميات، وهو مبدأ المساواة فى الحقوق والواجبات، وأنه ليس أمام القانون قومية كبرى وصغرى، فالكل سواسية.

٣- سياسة الحكم الذاتي:

سياسة الحكم الذاتي هي سياسة أساسية للحكومة الصينية إزاء قضية القوميات ويعني الحكم الذاتي الإقليمي القومي إقامة أجهزة مناسبة ذات حكم ذاتي لممارسة سلطة الحكم الذاتى تحت قيادة الدولة الموحدة فى المناطق التى يتجمع فيها أبناء القوميات الأقلية، حيث يديرون شؤونهم المحلية بصفتهم أسيادا على هذه المناطق.

ولقد كفل الدستور الصينى هذا الحق لأبناء القوميات فالمادة ١١٢ فى الدستور تنص على «أجهزة الحكم الذاتي لأقاليم الحكم الذاتي القومي هي مجالس نواب الشعب والحكومات الشعبية والولايات للمناطق والمحافظات الذاتية الحكم».

وعليه فقد حرص الزعيم «ماو» على دعم المناطق الذاتية الحكم الخاصة بالقوميات

١- دستور جمهورية الصين الشعبية : دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، ١٩٨٣، ص ١٣ .

الأقلية وهى : (منطقة قوانغشى – منطقة سينكيانج الويغورية – منطقة نينغشيا – منطقة منغوليا الداخلية – منطقة التبت)، وذلك إلى جانب مائة وأربع وعشرين محافظة أو لواء ذات حكم ذاتى ، بالإضافة إلى ذلك إنشاء لجنة للقوميات فى المجلس الوطنى لنواب الشعب، ولجنة الدولة لشؤون القوميات التابعة للحكومة المركزية التى تضع وتنفذ وتفحص القوانين والسياسات المتعلقة بالأقليات [١].

وتجدر الاشارة إلى أن أقاليم الحكم الذاتى تنقسم إلى ثلاثة أنواع [٢]:

١- المناطق ذات الحكم الذاتى التى تؤسس فى مناطق يتجمع فيها أقلية قومية واحدة ويتبعها عدد من الولايات والمحافظات .

٢- مناطق حكم ذاتى تؤسس فى مناطق تتجمع فيها أقلية كبيرة نسبيا وعدة أقليات قومية قليلة السكان.

٣- مناطق حكم ذاتى تضم اثنتين أو أكثر من الأقليات القومية التى يتساوى عدد سكانها تقريبا واسم كل منطقة من هذا النوع تكون عموما باسم القوميتين ، وإذا كانت منطقة الحكم الذاتى تضم أكثر من قوميتين أو ثلاث يكون الاسم الخاص بهذه المنطقة يحمل أسماء القوميات أو يكتفى باسم أحدها بعد المداولة مع رؤساء القوميات داخل جهاز الحكم الذاتى. ويتعين أن يكون رئيس الحكم الذاتى أو رئيس المنطقة مواطنا من أبناء أحد القوميات التى تمارس أو تشترك فى الحكم الذاتى فى المنطقة .

حيث كفل الدستور الصينى هذا الحق لأبناء القوميات فيلاحظ أن المادة ١١٤ تنص على «منصب رئيس المنطقة أو الولاية أو المحافظة الذاتية الحكم يتولاه مواطن من القومية أو إحدى القوميات التى تمارس سلطة الحكم الذاتى الإقليمى» [٣].

١- رعاية الحكومة للأقليات : مجلة الصين اليوم «مقال» العدد الرابع السنة ١٩٩٦ ، ص ١٣ .

٢- Qin Shi : Op.cit.p.p.27-28.

٣- دستور جمهورية الصين الشعبية : مرجع سابق ، ص ٧٧ .

ومن الطبيعي أن تضم مناطق الحكم الذاتى بأنواعها الثلاثة السابقة بعضاً من سكان قومية الهان (Han) الأكثر تعداداً للسكان على مستوى البلاد.

ومما هو جدير بالذكر أن سياسة الحكم الذاتي الإقليمي القومي تشتمل على الأسس والمبادئ التالية[1]:

١- تتكون أجهزة الحكم الذاتي فى مختلف أقاليم الأقليات القومية من ممثلي الأقليات القومية باعتبارهم أعضاء أساسيين وينبغى أن يكون لجميع القوميات الأخرى التي تقطن في نفس إقليم الحكم الذاتى عدد معين من المندوبين فى جهاز الحكم.

وبالنظر فى الدستور الصيني نجد أن المادة ١١٣ كفلت ذلك الحق لأبناء القوميات حيث تنص على «مجلس نواب الشعب للمنطقة أو الولاية أو المحافظة الذاتية الحكم يجب أن يضم إلى جانب نواب القومية أو القوميات التى تمارس الحكم الذاتى الإقليمي عددا مناسبا من نواب القوميات الأخرى التى تقطن ذلك الإقليم الإداري ، ورئاسة اللجنة لمجلس نواب الشعب للمنطقة أو الولاية أو المحافظة الذاتية الحكم ونيابة رئاسة اللجنة يجب أن تضم مواطناً أو أكثر من أبناء القومية أو القوميات التي تمارس الحكم الذاتي الإقليمي.

٢- تضع أجهزة الحكم الذاتي لوائح الحكم الذاتي وقوانينه المحلية بناءً على أحوال الأقليات القومية فى أقاليمها.

وتعد المادة (١١٦) في الدستور الصيني مؤيدة لهذا حيث تنص على «أن لمجالس نواب الشعب لأقاليم الحكم الذاتى القومي سلطة وضع ولوائح خاصة وفقا للخصائص السياسية والاقتصادية والثقافية للقومية أو القوميات التى تقطن كل إقليم منها ، ولوائح الحكم الذاتي واللوائح الخاصة للمناطق الذاتية الحكم تصبح نافذة المفعول بعد عرضها على اللجنة الدائمة للمجلس الوطنى لنواب الشعب ومصادقة اللجنة عليها».

٣- يمكن لأجهزة الحكم الذاتى فى أقاليم الحكم أن تنظم وتدير بذاتها أعمال البناء

١- تشين شي : مرجع سابق ، ص ٥٠.

الاقتصادي والثقافي ، وأن تنشئ وفقا لنظام الدولة العسكري قوات محلية للأمن العام تتولى الحفاظ على النظام العام فى منطقة الحكم الذاتي . وقد نص الدستور الصيني على ذلك فى مادته ١٢٠التى تنص على «يجوز لأجهزة الحكم الذاتى لكل إقليم من أقاليم الحكم الذاتى القومى أن تنشئ وفقا لنظام الدولة العسكرى وحسب الحاجة الواقعية وبتصديق مجلس الدولة قوة محلية للأمن العام تتولى الحفاظ على النظام العام».

٤- تتمتع أجهزة الحكم الذاتي فى إدارة الشؤون المالية داخل أقاليمها بصلاحيات تزيد على صلاحيات الحكومة المحلية فى نفس مستواها. وقد نص الدستور الصيني على ذلك فى مادته (١١٧) على أنه «لأجهزة الحكم الذاتي لأقاليم الحكم الذاتي القومي سلطة الحكم الذاتي في إدارة المالية المحلية وكل الإيرادات المالية التي تخص أقاليم الحكم الذاتي القومي بموجب النظام المالي للدولة تنظمها وتستخدمها بذاتها أجهزة الحكم الذاتي لتلك الأقاليم» .

٥- تستخدم أجهزة الحكم الذاتي عند ممارسة وظائفها اللغة أو اللغات المكتوبة والمنطوقة التي تتداولها الأقليات القومية في ذات الإقليم ، وينص الدستور الصيني في مادته ١٢١ على ذلك إذ تنص المادة على «تستخدم أجهزة الحكم الذاتى لكل إقليم من أقاليم الحكم الذاتي القومي عند ممارسة وظائفها اللغة أو اللغات المنطوقة منها والمكتوبة المتداولة محليا وفقا لأحكام لائحة الحكم الذاتي لذلك الإقليم[1] .

٦- على أجهزة الحكم الذاتي أن تراعي كل المراعاة خصائص الأقليات القومية وعاداتها وتقاليدها عندما تمارس أعمالها.

وتجدر الإشارة إلى أن الحكومة الصينية أخذت على عاتقها عمليات المساعدات المالية والثقافية لمناطق الحكم الذاتي ، فيلاحظ أن الحكومة تهتم بتنمية الأقليات اقتصاديًّا وثقافيًّا، وتقدم لهم مساعدات كبيرة مالية وتكنولوجية وثقافية وتزودها بالمتخصصين في جميع المجالات.

١- المرجع سابق : ص، ص٨٠-٨١.

وقد قامت الدولة بإنشاء العديد من المعاهد لتأهيل كوادر من أبناء الأقليات القومية ليكونوا نواة لحكام المناطق القومية فى مناطق حكمهم الذاتى الخاص بقومياتهم ، بالإضافة إلى اتخاذهم مراكز قيادية متقدمة فى ميادين الاقتصاد والثقافة والعلوم والتربية والتعليم والإعلام والنشر والطب والصحة العامة.

ويلاحظ أن الدستور الصينى تضمنت بعض مواده المساعدات التى تقدمها الدولة للقوميات الأقلية حيث إن المادة (١٢٢) من الدستور تنص على «تساعد الدولة القوميات ماديا وتقنيا لتعجيل خطواتها فى تطوير أعمال البناء الاقتصادى والبناء الثقافى، وتساعد الدولة أقاليم الحكم الذاتى القومى فى تأهيل أعداد كبيرة من الكوادر من مختلف المستويات والتخصصات والعمال والفنيين فى مختلف المهن من بين أبناء القومية أو القوميات المحلية.

ويود الإشارة إلى أن مناطق الحكم الذاتى فى المجال المالى لا تحول فائض الإيرادات الأصلية إلى الحكومة المركزية ولكن يدخل فى حساب الولاية أو المحافظة أو المنطقة الذاتية الحكم، وإذا كانت الإيرادات تقل عن المدفوعات فيجب على الحكومة أن ترصد مبلغا من المال كمعونة لسد العجز فى ميزانية إقليم الحكم الذاتى.

وإلى جانب ذلك تعفي الدولة بعض المناطق ذات الحكم الذاتى من الضرائب ، وذلك على حسب احتياج وحاجة كل منطقة ، كما أن كل منطقة ذاتية الحكم لها حق وضع لوائح مجال الصحة فمثلا بعض مناطق الحكم الذاتى تضع لائحة مجانية لعلاج الأفراد ، وتتمتع كافة المناطق بعديد من الصلاحيات فى مناطق حكمها دون تدخل الدولة[1].

وفى الحقيقة أن سياسة الحكم الذاتى الإقليمى القومى التى وضعها «ماو» وتتبعها الحكومة الصينية أدت للتضامن والتعاون بين القوميات الصينية على اختلافها، إلى جانب دفع مناطق الأقليات للازدهار والتطور.

١- ين مينغ : الأقليات القومية في الصين على طريق التقدم ، دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين ٢٠٠٨م، ص٢٩.

٤- حرية استخدام اللغة المحلية:

إن سياسة حرية استخدام القوميات الأقلية للغاتها المحلية ، نص عليها الدستور الصينى ، وعليه يتحتم على أجهزة الحكم الذاتى فى أقاليم الحكم الذاتى القومى ، أن تستعمل لغات القوميات المنطوقة أو المكتوبة فى أداء أعمالها فعلى سبيل المثال لابد أن تستخدم المحاكم الشعبية فى مختلف مناطق الحكم الذاتى اللغات المحلية للقوميات الأقلية عند القيام بالاستجواب أو إصدار الأحكام أو الوثائق الأخرى.

فيلاحظ أن المادة (٦٧) من الدستور الصينى تنص على : أن القوميات الأقلية لها حرية تطوير لغاتها القومية حسبما ترى ، إلى جانب استخدامها فى جميع مجالات حياتها .

وقد وضع «ماو» نظاماً يلزم فيه الدولة بإصدار الكتب والجرائد والمجلات بلغات القوميات الأقلية مثل لغة قومية منغوليا والتبت والقازاق ، وذلك إلى جانب الإذاعات المحلية التى تبث من خلالها البرامج باللغات المحلية للقوميات ، وكذلك الإذاعة الشعبية المركزية أيضا تبث برامج بلغات القوميات الأقلية على اختلافها .

فمعظم القوميات الأقلية تستخدم لغاتها المنطوقة والمكتوبة ما عدا قوميات (هوى ومان وشه) يستخدمون اللغة الصينية فى تعاملاتهم إلى جانب لغاتهم المحلية. بيد أن اللغة الصينية هى اللغة الرسمية لجميع أبناء القوميات الأقلية إلى جانب لغاتهم المحلية.

وخلاصة القول إنه مع وجود اختلافات فى اللغات المحلية بين الأقليات القومية الصينية ، إلا أنه لم تحدث نزعات انفصالية بين القوميات ، ويمكن اعتبار ذلك قياسيا بلغة النوبيين فى جمهورية مصر العربية ، رغم كونها غير اللغة العربية ، مع ذلك فلم تظهر نزعات انفصالية ، وأن اللغة الصينية الرسمية من أهم وسائل انتقال الثقافة بين قوميات المجتمع الصينى، وإنها وسيلة الاتصال والتفاهم فيما بينهم ، حيث تقوم اللغة الصينية بدور فعال فى تماسك المجتمع الصينى.

٥- سياسة احترام العادات والتقاليد:

من الطبيعى أن يكون لقوميات المجتمع الصينى عادات وتقاليد ، تميز كل قومية عن الأخرى ، وتتسم بخصوصية ثقافية ، تتضح معالمها من خلال تراثها الثقافى فقد

أقرت الحكومة الصينية حق احترام عادات وتقاليد جميع القوميات وقد نص الدستور الصينى عليها فى العديد من مواده ، وذلك ليكون احترام العادات والتقاليد أمرا لابد منه ، أن يحترمه جميع القوميات سواء كانت كبيرة التعداد السكانى أو قليلة التعداد. ولا يكون هناك من يتدخل فى عادات وتقاليد القوميات . حيث أجازت الدولة فى قوانينها أجازات الأعياد المختلفة للقوميات ، وكذلك منع تربية الخنازير فى الأقاليم التى تحرم أكل لحومها، وإقامة المطاعم الإسلامية فى المدن التى يستوطن فيها مسلمون مع تجهيز الأطعمة الإسلامية الخاصة فى وحدات العمل التى يشتغل بها مسلمون . فضلا عن إنتاج وتموين اللوازم الخاصة بالقوميات الأقلية فى تقاليدها القومية بما يتفق وثقافتها الخاصة الموروثة من تراثها الثقافي.

ومجمل القول أن الصين بقيادة «ماو» وضعت نظاما استطاعت من خلاله صهر الفوارق القومية واللغوية بين الأقليات القومية، باتباع سياسة الحكم الذاتى الإقليمى وجعل الأقليات القومية أسياد أنفسهم ، والاهتمام بإصلاح لغاتهم المحلية واستخدامها فى المؤسسات التعليمية والإعلامية ، إلى جانب احترام عادات وتقاليد الأقليات التى تميزهم ثقافيا واجتماعيا. علاوة على عدم المساس بحرية الاعتقاد الدينى ، الأمر الذى جعل النسيج السكانى للصين متجانسا من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، واختفت الصراعات بين الأقليات من ناحية والحكومة المركزية من ناحية أخرى . مما أدى إلى اهتمام الأقليات بالتنمية والارتقاء بالمجتمع من أجل تحقيق مستويات معيشية أفضل . وانعكس هذا التجانس فى التكوين السكانى للصين فى صورة حصول كل الأقليات على حقوق متساوية من الناحية السياسية والاقتصادية ولإحساسهم بالانتماء لبناء اجتماعى وسياسى واحد. الأمر الذى يتضح من خلاله أن الزعيم ماوتسى تونج حاول من خلال الدستور أن يضمن التماسك الاجتماعى ، والاستقرار السياسى ، بين مختلف قوميات المجتمع الصينى.

الخاتمة

ويبقى السؤال فى النهاية عما بقى من إسهامات «ماوتسى تونج» للصين وللعالم؟ إن هذا السؤال لابد وأن يثور بالطبع حتى نتبين ما قد يكون هناك من أثر باقٍ لماوتسى تونج بعد أكثر من ستين عاما من ثورته على بلاده وعلى العالم.

وحديثنا هنا سيكون عن الأثر الذى يعبر حاجز الزمن بعد أن تناولنا فى الصفحات السابقة آثار الإسهامات «الماوية» التى امتدت عبر المكان . ونعتقد أن إضافات «ماو» إلى نظرية الثورة الاشتراكية كانت تحمل فى مضمونها رسائل بالغة الأهمية ، وهذه الرسائل لا تزال تجد الصدى وتحظى بالتأثير سواء فى داخل الصين أو خارج حدودها .

أما الرسالة الأولى : فهى أهمية أن تعنى كل دولة - وهى بصدد الاستفادة من تجارب الدول التى سبقتها على طريق التقدم والنمو أن تغربل هذه التجارب بما يتفق وظروفها الموضوعية الخاصة ، فنظريات ونماذج النمو التى تصلح لدولة قد لا تصلح لأخرى ، والمهم هو أن تتلاحم عملية الاستفادة من الآخر مع عملية الحفاظ على الذات .

لقد كان أهم إسهامات «ماو» فى نظرية الثورة الاشتراكية هو نقده لماركسية أوربا المتقدمة ولينينية روسيا وإخضاعهما معا للتعديلات التى فرضها الواقع الصينى الخاص. ولم يحل هذا بينه وبين الإفادة من طاقاتها الثورية لتغيير أحوال الصين وتخليصها من التخلف والاستعمار.

وفى زمن العولمة المتوحشة تتعالى الأصوات اليوم -وخصوصا فى دول العالم الثالث- بضرورة عدم الانسياق لنظريات ونماذج النمو السائدة فى العالم والتى تطرح نفسها بديلا صالحا لكل زمان ومكان ودون قيد أو شرط . إن هذه الأصوات ترفع اليوم ما نادى به ماوتسى تونج من ستين عاما أو يزيد حيث أطلق صيحته الشهيرة بتصيين كل ما يفد إلى بلاده من فكر وممارسات.

وأما الرسالة الثانية : التى تنطوى عليها إضافات «ماوتسى تونج» فى نظرية الثورة الاشتراكية ، فهى تأكيده على أهمية الالتفات إلى علاقات الإنتاج وإلى دورها الفعال فى دفع التطور فى قوى الإنتاج وفى عملية النمو الاقتصادى بصفة عامة .

وتتصل الرسالة الثالثة : بما آمن به «ماو» من أولوية البناء الفوقي وعناصره لاسيما في الدول المتخلفة فى إنجاز عمليات التحول الاقتصادي والسياسي في المجتمعات. وفي الصين ما بعد «ماو» ، استلهمت القيادة السياسية الفكرة واستمرت في اعتمادها على الدولة والحزب (وهما عنصران من عناصر البناء الفوقي) لإرشاد عمليات التحول الاقتصادي إلى نظام السوق، وكذلك للحيلولة دون انفجار مظاهر عدم الاستقرار السياسي التى قد تترتب على تلك العمليات .

ولاشك أن الفكرة «الماوية» ترتبط اليوم أعمق ارتباط بالجدل الذي عاد إلى الظهور من جديد حول الدور الذى ينبغى أن تستعيده الدولة فى توجيه حركة النمو والتقدم الاقتصاديين ، ليس فقط فى البلدان المتخلفة ولكن فى بلدان العالم المتقدم أيضا.

وهكذا فإن إسهامات «ماوتسي تونج» كمفكر ومناضل ينتمي إلى القارة الآسيوية لا تزال تحلق حتى اليوم فى سماء عالمنا. ولعل هذا يقدم أقوى الأدلة وأصدق البراهين على استحقاقه صفة الزعيم الخالد : الخالد بفضل نضاله وكفاحه من أجل بناء الصين الحديثة ، والخالد بفضل إسهاماته الفكرية والعملية التى تجاوزت حدود مكانه وعبرت حواجز زمانه.

والله ولى التوفيق ،،،

ملحق الصور



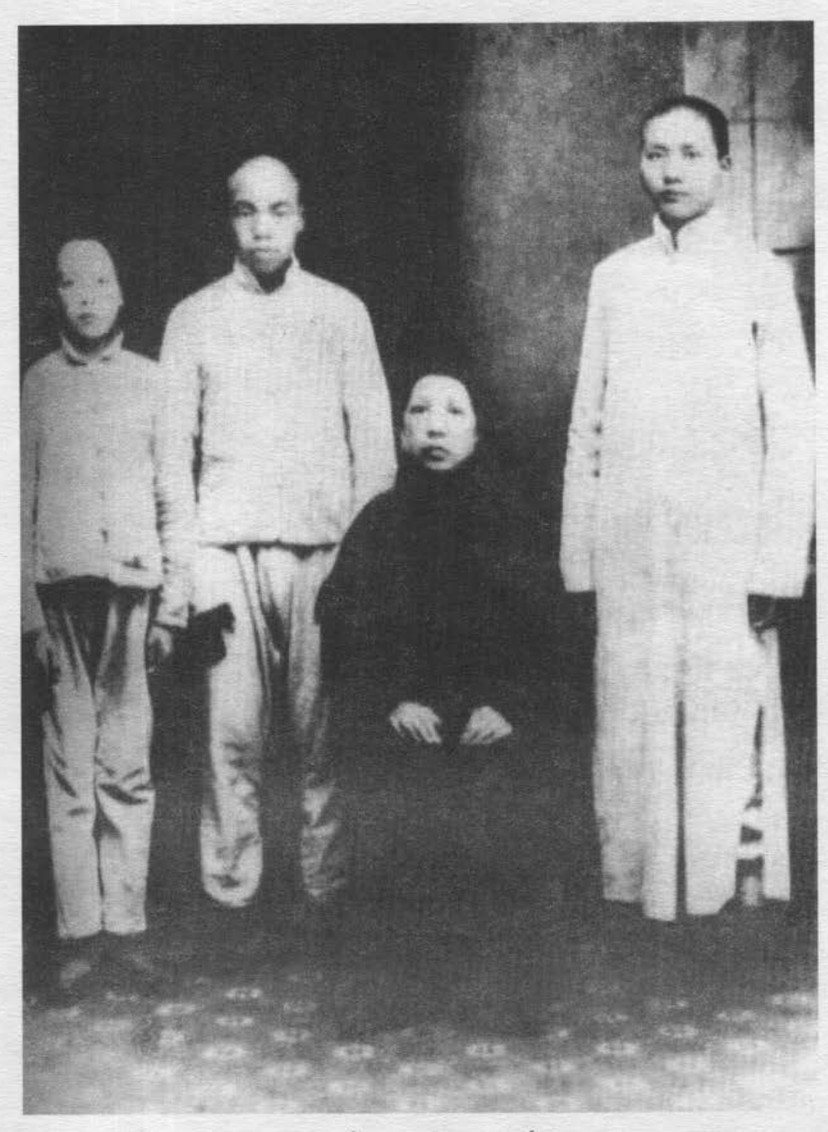
ماوتسى تونج في طفولته إلى جوار أمه واقفاً



ماوتسى تونج في فترة شبابه (عام ١٩١٤)



طلاب الصف الثامن في مدرسة المعلمين الأولى بمقاطعة هونان
عام ١٩١٧، ماوتسى تونج في الصف الرابع، الثاني من اليمين



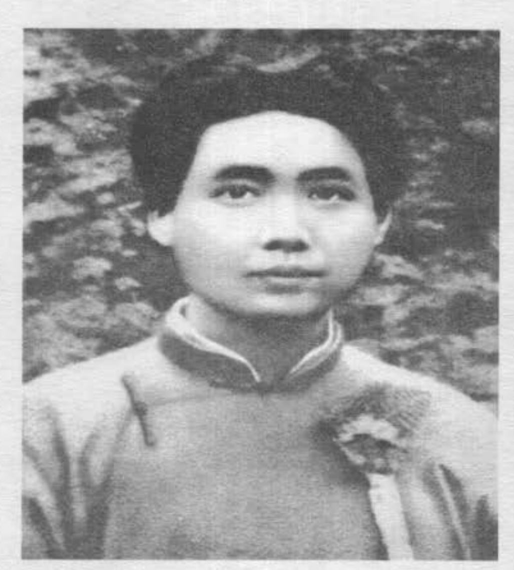
ماوتسى تونج (الأول من اليمين) مع أمه وإخوته ماو تسي صين (الثاني من اليسار) وماو تسي نان (وكلاهما استشهدا في الثورة) في تشانغشا عام ١٩١٩



مع الأصدقاء في حديقة تاورانتينغ بيكين في شتاء ١٩١٩، ماوتسى تونج هو الرابع من اليسار



يخطب في مؤتمر فيالق الفلاحين الفقراء لثماني محافظات في قاعدة جيانفتتسي الثورية عام ١٩٢٣



ماو في شانغهاي عام ١٩٢٤



ماوتسى تونج في فوانغتشو عام ١٩٢٥



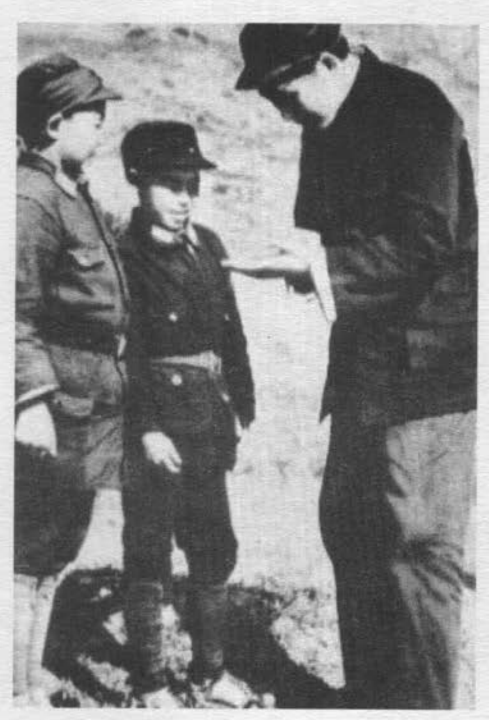
مع شيوى له لي عام ١٩٢٧، كان شيوى معلم ماو في مدرسة المعلمين الأولى بمقاطعة هونان، وانضم إلى الحزب الشيوعي الصيني عام ١٩٢٧



مع بعض الرفاق الذين اشتركوا في انتفاضة حصاد الخريف (سبتمبر - أيلول - ١٩٢٧) في بانآن، ماوتسى تونج في الصف الخلفي، الثالث من اليسار عام ١٩٢٧



ماوتسى تونج في باوآن في شمالي شنس عام ١٩٣٦ (التقط هذه الصورة ادغار سو)



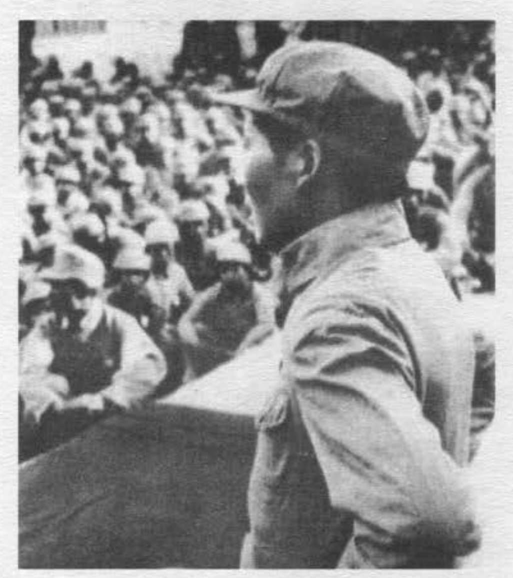
يتحدث مع جنديين يافعين في بانآن عام ١٩٢٩



ماو ورفاقه في الجيش الأحمر عام ١٩٣٢



من اليسار إلى اليمين، لين بوه تشيوي، ماوتسى تونج، تشو ده، شو ان لاي في بانآن عام ١٩٣٧



يخطب في الجامعة العسكرية السياسية للشعب الصيني المعادية للغزاة اليابانيين في بانآن عام ١٩٣٨



يكتب "حول الحرب الطويلة الأمد" داخل كهف في باناَن، في مايو (أيار) ١٩٣٨



يتحدث مع الفلاحين في بانغجيالينغ ببانآن عام ١٩٣٩



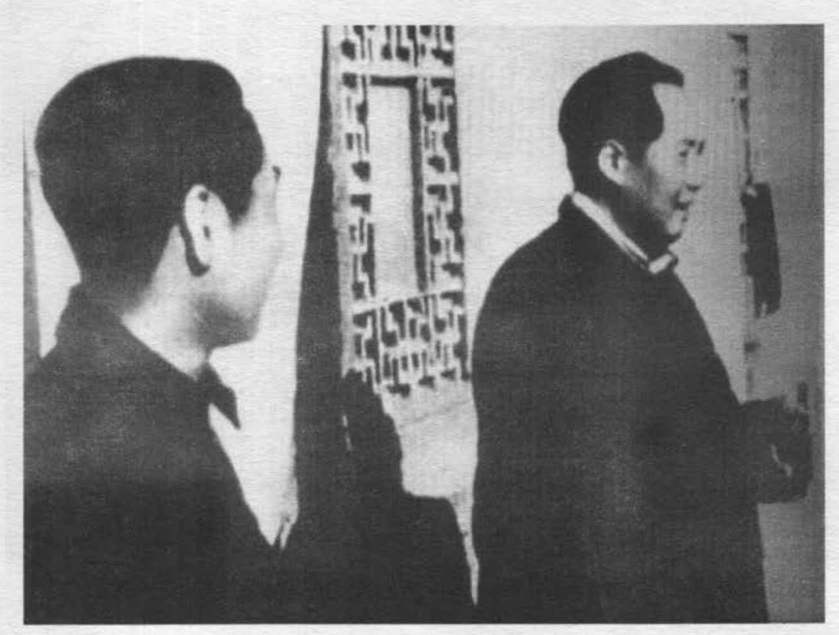
ماوتسى تونج مع باتريك هبرلي في مطار بانان كان باتريك هبرلي وهو مبعوث الحكومة الأمريكية للتفاوض مع ماوتسى تونج في نوفمبر ١٩٤٤



وصول ماوتسى تونج إلى تشونغتشينغ بالطائرة ليتفاوض مع الكومينتانغ في ٢٨ أغسطس (آب) ١٩٤٥



مع تشو ده عام ١٩٤٥



مع شو ان لاي في تشوقوانتشاي بمحافظة جياشيان في شمالي شنتشي عام ١٩٤٧



ماو وقد انتخب رئيساً لجمهورية الصين الشعبية في الدورة الأولى للمؤتمر الاستشاري السياسي للشعب الصيني عام ١٩٤٩



إعلان تأسيس جمهورية الصين الشعبية على منصة تيان ان مـن ببكين أول أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٤٩



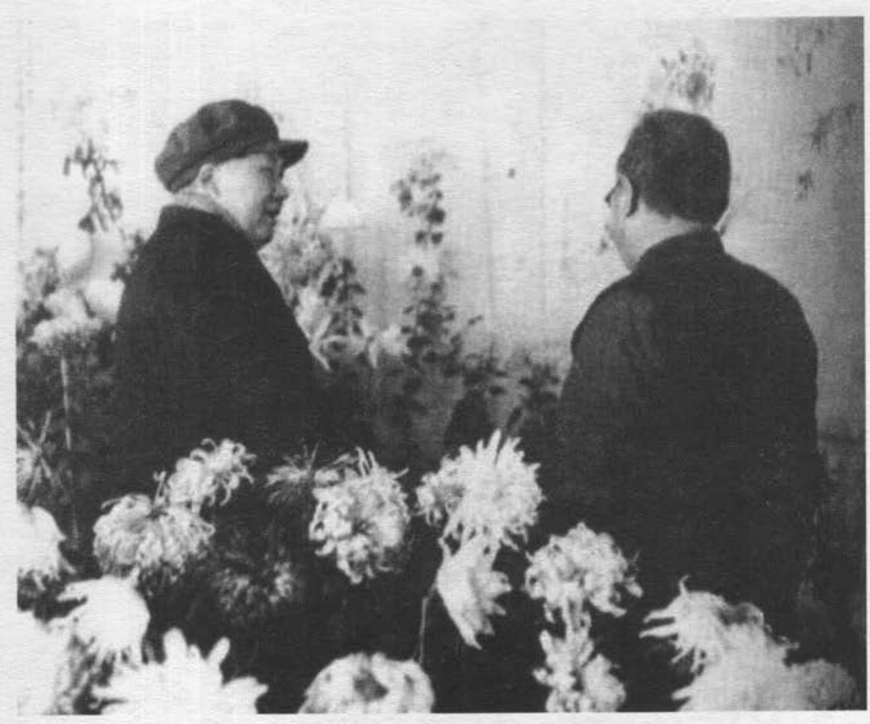
مع ابنه الأكبر ماو ان بنغ (وقد توفى في حرب مقاومة العدوان الأمريكي ومساعدة كوريا) عام ١٩٤٩



ماوتسى تونج يستعرض وحدة دبابات لجيش التحرير الشعبي الصيني في مطار شيبوان في بيبنغ مارس (آذار) ١٩٤٩



مع ابنته لي مين عام ١٩٥١



يبدي إعجابه بأزهار الأقحوان في تشبيوان بكين عام ١٩٥١



على منصة تيان آن مـن في العيد الوطني عام ١٩٥١



مع شو ان لاي في اجتماع لمجلس الحكومة الشعبية المركزية عام ١٩٥٢



ماوتسى تونج وتشوداه وشو ان لاي يحضران المهرجان الرياضي
الأول لجيش التحرير الشعبي عام ١٩٥٢



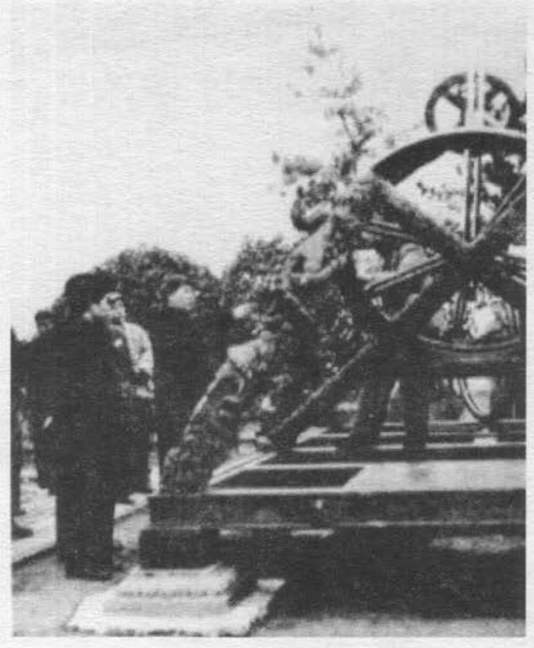
ماوتسى تونج يوقع اسمه للذكرى على دفاتر مندوبي مختلف المقاطعات
من متطوعي الشعب الصيني العائدين من كوريا عام ١٩٥٢



مع حه شيانغ نينغ (الأول من اليمين) شخصية شهيرة في الفئة الثورية من الكومينتانغ، وما شبوى لون شخصية ديمقراطية في حفلة رأس سنة ١٩٥٢



يجدف قارباً مع تشنغ تشيان عضو الجيل الأول من الكومينتانغ ورئيس الحكومة الشعبية في مقاطعة هونان، في تشونغنانهاي ببكين عام ١٩٥٢



يزور مرصد التلال الارجوانية في نانجينغ عام ١٩٥٢



يتفقد ميناء شنغانغ في تانعقو عام ١٩٥٢



عيد موكب الرئيس ماوتسى تونج ، بكين ، الصين مايو ١٩٥٢



الاحتفال بتحرير بكين



ماوتسي تونج يصوت ورقة اقتراعه في انتخاب ممثلي
مجلس الشعب لمنطقة شيدان ببكين في ٨ ديسمبر
(كانون الأول) ١٩٥٢



يتحدث مع تشن جيا قنغ (في الوسط) وتشوانغ سينغ لي (إلى اليمين)
وهما مغتربان صينيان شهيران عام ١٩٥٤



العمال يحتفلون مع ماوتسى تونج بمناسبة مرور ٢١ عاماً في السلطة



ماوتسى تونج، يحيي الدالاي لاما في عام ١٩٥٤



يتحدث مع العلماء البارزين في شباو تونغ وهوا لو فينغ ونونغ دي تشو والصحفي الشهير هو بوي تشي خلال الدورة الثانية للمؤتمر الاستشاري السياسي الثاني للشعب الصيني عام ١٩٥٦



ماوتسى تونج أثناء زيارته إلى موسكو نوفمبر ١٩٥٧



(من اليسار) مع تشو ده وشو ان لاي وتشن بون وليو شاو تشى ودنغ شياو سينغ



مع ممثلين عن مختلف القوميات الصينية لدى حضوره المؤتمر الوطني
الثالث لعصبة الشبيبة الديمقراطية الصينية الجديدة عام ١٩٥٧



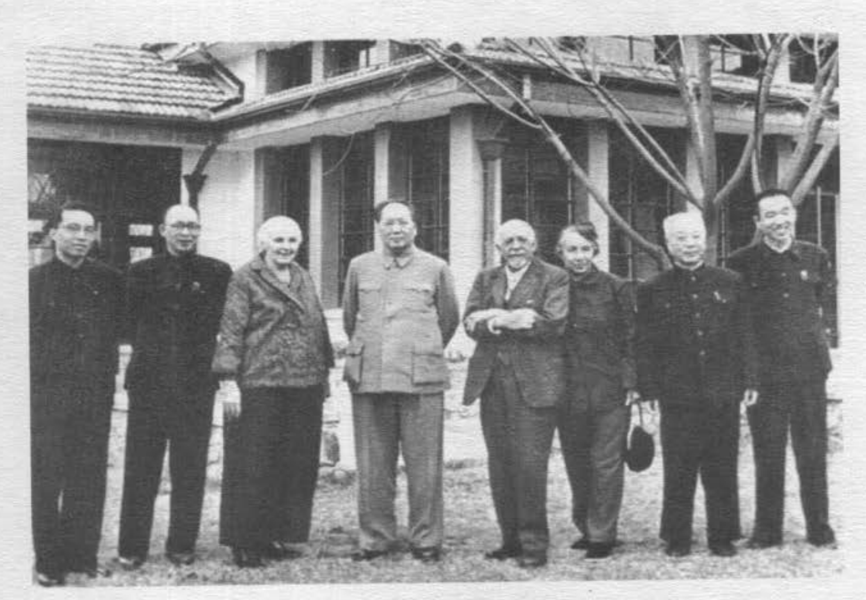
مع المارشال تشن بي عام ١٩٥٨



مع المارشال حه لونغ عام ١٩٥٩



ماو في أحد المتنزهات مع أسرته في مدينة شانسي



ماو مع المربي والباحث الاجتماعي الأمريكي دوبويس والكاتبة آنا لويس

في ووهان عام ١٩٥٩



يتحدث مع الفلاحين في مسقط رأسه شاوشان بمقاطعة
هونان عام ١٩٥٩



مع معلمي وطلاب مدرسة شاوشان عام ١٩٥٩



مع المربي والباحث الاجتماعي الأمريكي و.ا.ب. دونوبس والكاتبة التقدمية الأمريكية انا لويس سترونغ في ووهان عام ١٩٥٩



مع الكاتب الشهير لاو شه (الأول من اليمين) وممثل في أوبرا بكين يدعى مي لان فانغ (الثاني من اليمين) عام ١٩٦٠



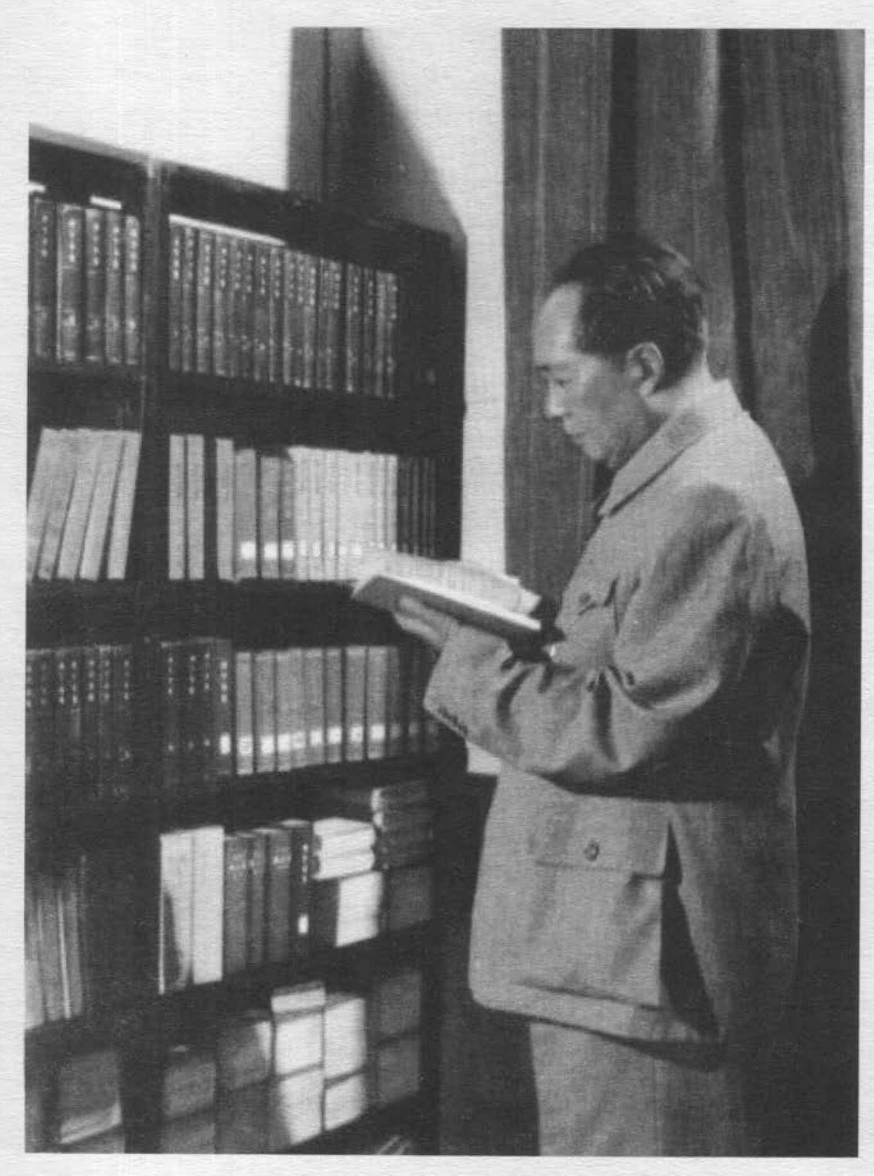
خلال الدورة الثانية للمجلس الوطني الثاني لنواب الشعب قابل ماوتسى تونج أعضاء قياديين من التبت نفابونفوانغ جنبي (الثاني من اليمين) وبابالا قلبه ناجي (الرابع من اليمين) عام ١٩٦٠



يسبح في نهر اليانغتسي بمدينة ووهان عام ١٩٦١



ماوتسى تونج وسونغ تشينغ لينغ أرملة صون يات صن في مقر
صون يات صن السابق في شنغهاي في ١١ مايو (آيار) ١٩٦١



الزعيم «ماو» في مكتبته الخاصة



مع لاعبي كرة الطاولة عام ١٩٦٢



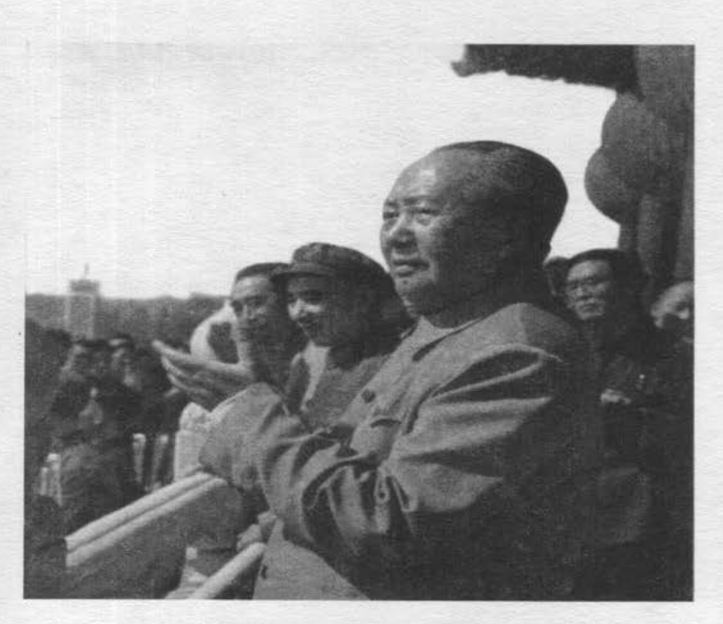
مع ماو ان تشينغ (الأول من اليسار)، ابنه الثاني، وشاو هوا (الثاني من اليمين)، زوجة ابنه، وآخرين عام ١٩٦٢



مع كو مو جو الكاتب البارز والمؤرخ الشهير عام ١٩٦٤



ماوتسى تونج يصافح العالم الشهير لي سي قوانغ خلال الدورة الأولى
للمؤتمر الاستشاري السياسي الرابع للشعب الصيني عام ١٩٦٤



ماو في أحد الاحتفالات مع أبناء القوميات الصينية عام ١٩٦٥



ماو يستعرض أحد الأسلحة مع قادة الجيش



يتحدث مع راعٍ في خنان



ماوتسى تونج استعراض القوات في ساحة تيانانمين. بكين . أغسطس ١٩٦٦



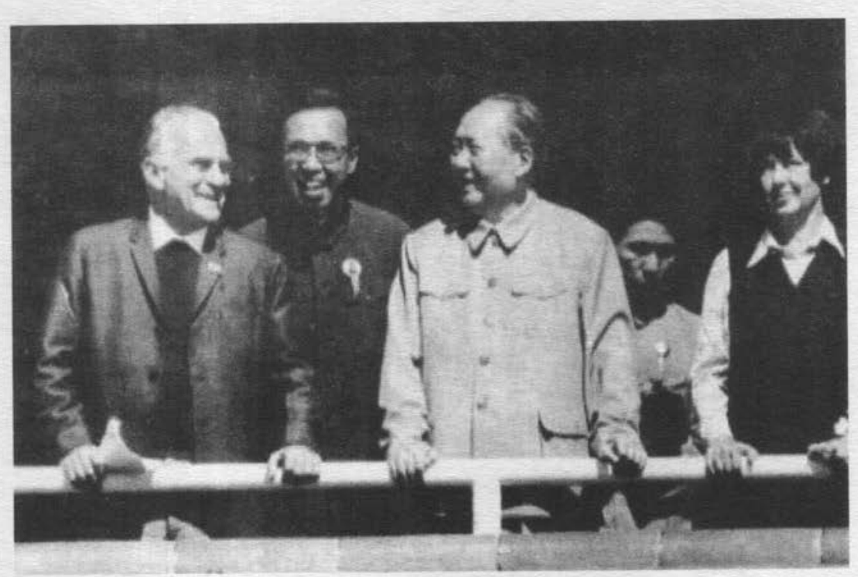
ماو في مكتبه في مقاطعة بيكين عام ١٩٦٩



مجموعة طوابع بريدية تحمل صور الزعيم ماو



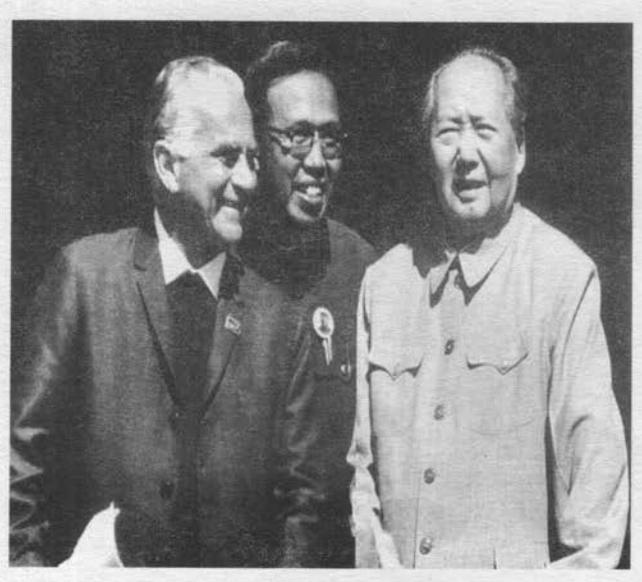
يشاهد الألعاب النارية مع الأمير الكمبودي نورودوم سيهانوك على
منصة تيان آن من في أول مايو (آيار) عيد العمال العالمي عام ١٩٧٠



مع إدغار سنو الكاتب والصحفي الشهير الأمريكي وزوجته على
منصة تيان ان من في العيد الوطني عام ١٩٧٠



عملة صينية تحمل مجسم ماو



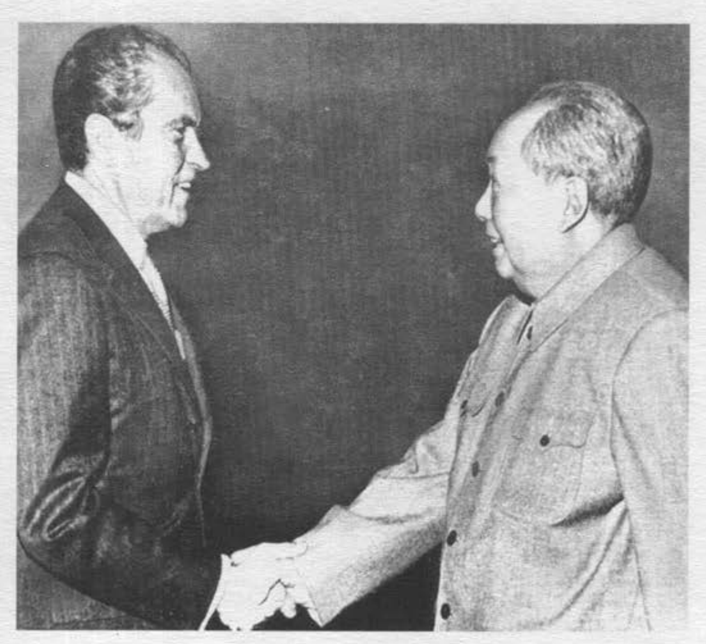
ماو مع ادغار سنو الكاتب والصحفي الشهير الأمريكي عام ١٩٧٠



يصافح الرئيس الأمريكي السابق ريتشارد نيكسون في تشونغنانهاي
في ٢١ فبراير (شباط) ١٩٧٢



يقابل رئيس الوزراء الياباني السابق كاكوى ناناكا في تشونغنانهاي في
٢٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٢



ماوتسى تونج والرئيس الأمريكي نيكسون



يقابل الفيزيائي الصيني حامل الجنسية الأمريكية الدكتور لي تشنغ داو الحائز على جائزة نوبل، عام ١٩٧٤



ماو في إحدى المدارس الابتدائية الصينية



جانب من عملة ورقية تحمل صورة ماو



ماو وهو مسترخٍ في أحد الجبال



رسم زيتي يصور ماو وهو يدعو إلى عالم حر ومَن حوله يحملون سلاحاً تقليديًا قديماً



دو بوا ، مع ماوتسى تونج في حديقة بحيرة القطرية الشهيرة



ماوتسى تونج يلتقي بريسبان نورما الشيوعية



ماو يقرأ بياناً على الشعب



البانتشن لاما وماوتسى تونج ، الدالاي لاما



يصافح كيم ابل سونغ الأمين العام للجنة المركزية لحزب العمال الكوري ورئيس جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية



مع تشو ده والمبعوث الأمريكي الجنرال جورج مارشال في بانآن، كان مارشال عضواً من "اللجنة الثلاثية" التي كانت ، وفقاً لاتفاق التفاوض في تشونغتشينغ، تشرف على تنفيذ اتفاقية الهدنة بين الكومينتانغ والحزب الشيوعي الصيني



صورة توضح جثمان الزعيم ماو ومن حوله الرفاق

الفهرس

إهداء ٥
المقدمة ٧
الفصل الأول : (المدخل التاريخي) ١٣
١-التاريخ الصينى القديم ١٤
٢- التاريخ الصينى الحديث ٢١
- ثورة الصين والتغيير ٢٣
٣- تاريخ الصين المعاصر ٢٤
- ماوتسى تونج والثورة الثقافية ٢٥
الفصل الثاني : (الفكر الاجتماعي قبل ماوتسي تونج) ٢٩
أولاً: «أسس الفكر الصينى» ٢٩
أ- الكون والآلهة عند الصينيين ٣٢
ب-القواسم المشتركة فى الفكر الصينى............................ ٣٤
ج-المدارس الفلسفية الصينية الكبرى ٣٧
ثانياً : «الفكر الصينى والفلسفة الكونفوشيوسية» ٤٠
- ماوتسي تونج وفلسفة كونفوشيوس. ٤٥
١-مبدأ الطاعة. ٤٥
٢-السلطة ورضاء الشعب... ٤٦
٣-دور الحكام فى الإصلاح ٤٨
الفصل الثالث : (نشأة ماوتسى تونج واتجاهاته الفكرية) ٥٣
أولا: **نشأته** وبيئته.. ٥٣
ثانيا : العوامل المؤثرة على تفكير ماوتسى تونج ٦١
ثالثا: ماوتسى تونج وطور الأيديولوجيات.......................... ٦٧
رابعا: ماوتسى تونج ومفهوم الثورة................................ ٧٠
خامساً: ماوتسي تونج وتصيين الماركسية ٧٢

الفصل الرابع : (العمل الثورى لماوتسى تونج) ٧٩
أولا: الفترة (من ١٩٢٥ م إلى ١٩٢٧ م)........................ ٨٣
ثانيا : الفترة (من ١٩٢٧م إلى ١٩٣٧م) ٨٧
ثالثا : فترة الحرب الصينية اليابانية (١٩٣٧م إلى ١٩٤٥م) ٩٣
رابعا : الفترة (من ١٩٤٦ إلى ١٩٤٩م) ٩٨
خامسا : إعلان الجمهورية عام ١٩٤٩م ١٠١
الفصل الخامس : (إصلاحات ماوتسى تونج الاقتصادية) ١٠٣
مقدمة : ١٠٣
أولاً : «ماو» والإصلاح الزراعى.............................. ١٠٤
(أ)- قانون الإصلاح الزراعي ١٠٥
(ب)- المزارع التعاونية ١٠٩
(ج)- الكوميونات ١١١
ثانياً : «ماو» وتحديث الصناعة. ١١٦
الصناعات الصينية ١٢٥
١ - الصناعة اليدوية الصينية ١٢٥
٢ - الصناعات الصغيرة........................ ١٢٦
٣- الصناعات الثقيلة ١٢٧
الفصل السادس : (ماوتسى تونج والمساواة الاجتماعية بين الأقليات) ١٣١
١ -سياسة التمسك بالمساواة ١٣٣
٢ - سياسة حرية الاعتقاد الدينى........................ ١٣٤
٣- سياسة الحكم الذاتى........................ ١٣٤
٤ -حرية استخدام اللغة المحلية. ١٣٩
٥ - سياسة احترام العادات والتقاليد. ١٣٩
الخاتمة.. ١٤١
ملحق الصور. ١٤٥



ماوتسي تونغ

لماذا نترجم أفكار غيرنا لنقرأ لهم ...ولماذا لا نترجم أفكارنا بلغة غيرنا لنتواصل معهم ؟ تردد في ذهني كثيراً هذا السؤال خاصة بعد ثورة شباب التحرير في الخامس والعشرين من يناير، والثورات العربية المتلاحقة ، والتي لم يكن لها جميعاً قائد سوي الشعوب العربية العظيمة ، ولكي نحافظ علي مكتسبات ونجاح الثورة المصرية بل والعربية ، فلا غضاضة أن ننظر الي تجارب الشرق الآسيوي في كيفية تأمين إنتصار الثورة ، والمضي قدماً في التقدم والنمو . وأن نغربل هذه التجارب بما يتفق وظروفنا الموضوعية الخاصة ، فنظريات ونماذج كثيرة قد تصلح لدولة ولا تصلح لأخرى ، والمهم هو أن تتلاحم عملية الاستفادة من الآخر مع عملية الحفاظ على الذات.

والكتاب يتعرض لتجربة واقعية زعيمها شخصية آسيوية صينية وهو " ماوتسي تونج " فقد كانت لإسهاماته وإضافاته نجاحاتها الباهرة التي يأتي في مقدمتها دون شك تأمين الانتصار للثورة الاشتراكية في الصين ، وذلك في ظل ظروف داخلية ودولية شديدة الوطأة علي الثوار هناك . وبفضل هذا النجاح الكبير ، كان لابد لأفكار " ماو" أن تلهم تجارب ثورية أخري في العالم رأت فيها مخزوناً يمكن أن تنهل منه لحفز حركات التحرر فيها . ولم يكن التأثير قاصراً علي الدول التي تشابهت ظروفها مع الصين فحسب ، وإنما امتد هذا الأثر أيضاً إلى بعض المجتمعات الغربية المتقدمة التي تبنت جماعات من مواطنيها أفكار" ماو " وممارساته.

وفى

زمن العولمة المتوحشة تتعالى الأصوات اليوم - وخصوصا فى دول العالم الثالث - بضرورة عدم الانسياق لنظريات ونماذج النمو السائدة فى العالم والتى تطرح نفسها بديلا صالحا لكل زمان ومكان ودون قيد أو شرط إن هذه الأصوات ترفع اليوم ما نادى به ماوتسى تونج من ستين عاما أو يزيد حيث أطلق صيحته الشهيرة بتصيين كل ما يفد الى بلاده من فكر وممارسات

ومن خلال هذا الكتاب نوجه النداء " بتعريب " أو " تمصير "ما يفد إلينا من تجارب وممارسات بما يتفق وعروبتنا ومصريتنا. أو نترجم أفكارنا بلغة غيرنا لنتواصل معهم قبل فوات الأوان .



